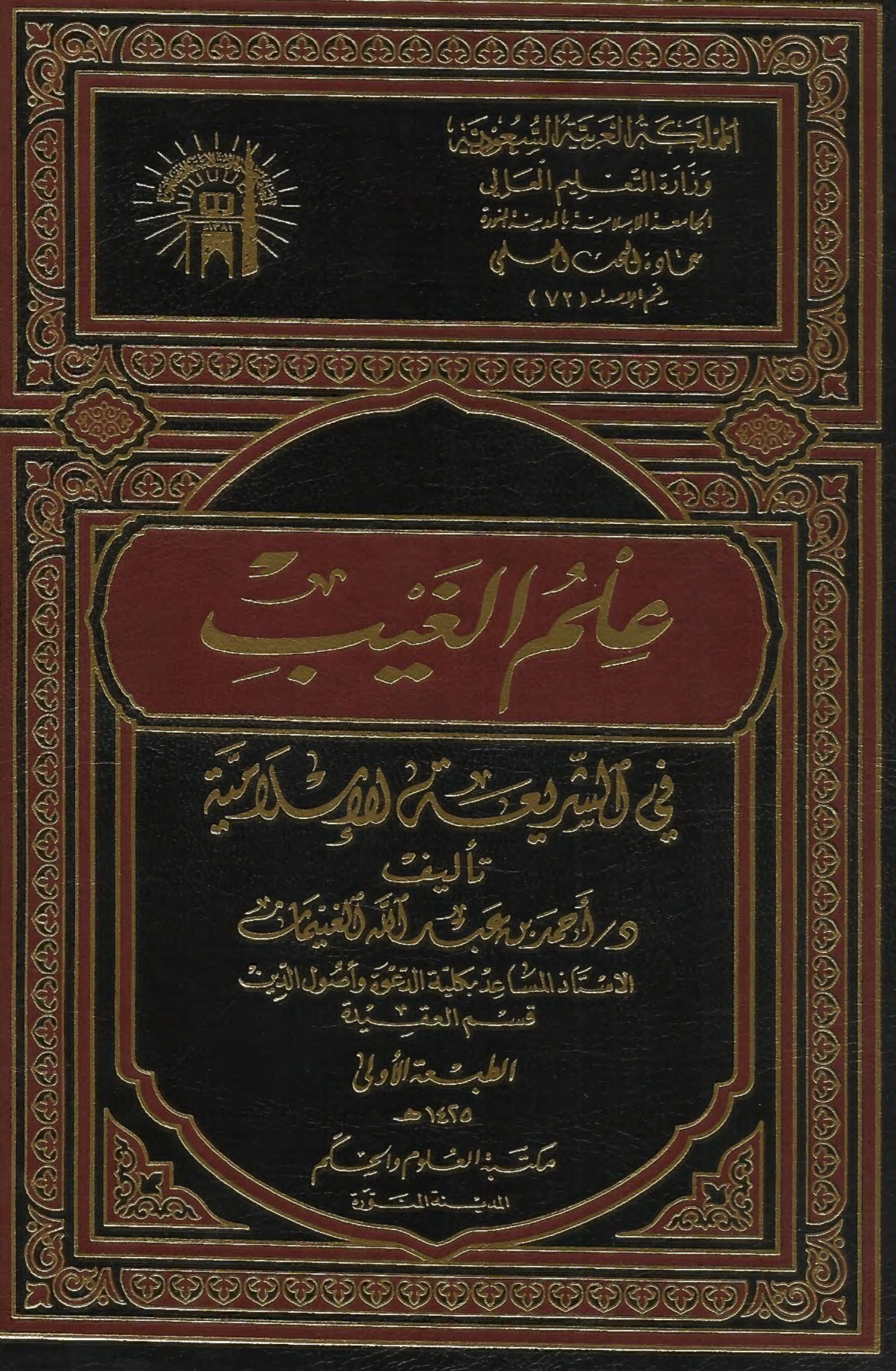

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة البحث العلمي
رقم الإصدار (٧٢)
علم الغيب
في الشريعة الإسلامية
تأليف
د/ أحمد بن عبد الله الغنيمان
الأستاذ المساعد بكلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة
الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ
مكتبة العلوم والحكم
المدينة المنورة


علم الغيب
في الشريعة الإسلامية
١

ح الجامعة الإسلاميّة، ١٤٢٥هـ

فهرس مكتبة الملك فهد الوطنيّة أثناء النشر

الغنيمان، أحمد بن عبد الله

علم الغيب في العقيدة الإسلامية

أحمد بن عبد الله الغنيمان

المدينة المنوّرة، ١٤٢٥هـ

٥٩٦ ص، ١٧ x ٢٤ سم

ردمك: ٠-٢٨٢-٠٢-٩٩٦٠

١-السّمعيّات ٢- نقد. _ العقيدة الإسلامية أ_العنوان

ديوي ٢٤٣ ١٤٢٥/٢١٧٥

رقم الإيداع: ١٤٢٥/٢١٧٥

ردمك: ٠-٤٨٢-٠٢-٩٩٦٠

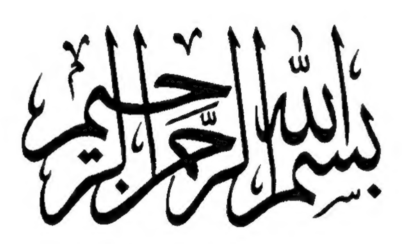
المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة البحث العلمي
رقم الإصدار (٧٢)



عِلْمُ الغَيْبِ في الشَّرِيعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ

تأليف
د/ أحمد بن عبد الله الغنيمان
الأستاذ المساعد بكلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدّمة معالي مدير الجامعة الإسلاميّة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على رسوله الأمين، وعلى آله وأصحابه، والتّابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدّين.

أما بعد: فإنّ أشرف ما تتجه إليه الهمم العالية هو طلب العلم، والبحث والنّظر فيه، وتنقيح مسائله، وسلوك طريقه، لأنّ ذلك هو الذي يوصل إلى السّعادة، كما قال الرّسول ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ : «من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنّة».

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ ،[فاطر من الآية: ٢٨].

وأوّل ما بدئ به رسول الله ــ صلّى الله عليه وسلّم ــ هو وحي الله إليه بالعلم ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۞ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ، [العلق: ١-٥].

وقال تعالى يخاطبه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ ، [محمّد من الآية: ١٩].

وقال تعالى ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ ، [طـه من الآية: ١١٤].

وما قامت به الحياة السّعيدةفي الحياة الدّنياوالآخرةإلاّ بالعلم النّافع.

ولذا كان التّعليم هو الهدف الأعظم لمؤسس المملكة العربيّة السّعوديّة الملك عبد العزيز رحمه الله، ولأبنائه كذلك من بعده، ففي عهد خادم الحرمين الشّريفين، أوّل وزير للمعارف بلغت مسيرة التّعليم مستوى عالياً، وازدهر التّعليم العالي وارتقت الجامعات، ومن هذه الجامعات العملاقة، الجامعة الإسلاميّة بالمدينة النّبويّة، فهي صرح شامخ، يشرف بأن يكون إحدى المؤسّسات العلميّة والثّقافيّة، التي تعمل على هدي الشّريعة الإسلاميّة، وتقوم بتنفيذ السّياسة التّعليميّة بتوفير التّعليم الجامعيّ والدّراسات العليا، والنّهوض بالبحث العلمي والقيام بالتّأليف والتّرجمة والنّشر، وخدمة المجتمع في نطاق اختصاصها.

ومن هنا، فعمادة البحث العلمي بالجامعة تضطلع بنشر البحوث العلمية، ضمن واجباتها، التي تمثل جانباً هامّاً من جوانب رسالة الجامعة ألا وهو النّهوض بالبحث العلمي والقيام بالتّأليف والتّرجمة والنّشر.

ومن ذلك كتاب: [**علم الغيب في العقيدة الإسلامية. تأليف: د/أحمد بن عبد الله الغنيمان**].

نفع الله بذلك ونسأله سبحانه أن يرزقنا العلم النّافع والعمل الصّالح، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمّد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين.

معالي مدير الجامعة الإسلاميّة

د/ صالح بن عبد الله العبود

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ [١].

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾ [٢].

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ [٣].

أما بعد فإن الله – سبحانه وتعالى – أرسل رسوله بالإسلام ودين الحق والهدى والنور؛ ليله كنهاره لا يزيغ عنه إلا هالك، من تمسك به رشد، ومن أعرض عنه غوى وهلك؛ كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم في قوله: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا

---

[١] آل عمران (١٠٢)

[٢] النساء (١)

[٣] الأحزاب (٧٠، ٧١).

يزيغ عنها إلا هالك...»[1].

والبيضاء هي الملة والحجة الواضحة التي لا تقبل الشبه أصلا، وهي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقد كان أول ما دعا إليه النبي صلى الله عليه وسلم إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وتنزيهه عن كل عيب ونقص. بل إن دعوته صلى الله عليه وسلم قد تركزت على التوحيد حتى إنه في آخر حياته وفي سكرات موته يدعو إلى التوحيد، ويأمر الناس بالتمسك به، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة على وجهه، فإذا اغتم كشفها، فقال – وهو كذلك – لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، يُحَذِّر ما صنعوا ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي أن يُتخذ مسجداً» متفق عليه.

فما انتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن أكمل الدين، وبينه أكمل البيان، فترك الناس على الحنيفية السمحة ملة أبينا إبراهيم الخليل – عليه السلام – كما بين ذلك جل وعلا بقوله: ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من

---

[1] أخرجه ابن ماجه (ح ٤٣، ٤٤) وأحمد في المسند ١٢٦/٤، والحاكم ٩٦/١، وابن أبي عاصم في السنة من طرق عدة وغيرهم. وقال الألباني حديث صحيح له طرق أخرى، انظر تخريج السنة لابن أبي عاصم ص (١٩، ٢٧).

المشركين﴾[١].

فمن انحاز عن ملة إبراهيم هلك وضل ضلالاً مبيناً كما قال تعالى: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه. . .﴾[٢].

ولقد بقي الصحابة والتابعون وتابعوهم على هذه الملة السمحة المبنية على إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، فأظهرهم الله على غيرهم من الأمم على مقتضى سنته التي كتبها في الأزل أن الأرض يرثها الصالحون من عباده، كما قال تعالى: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون * إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين﴾[٣].

فثارت أحقاد أعداء الملة والدين وأخذوا يدسون في الإسلام ما ليس منه ووجدوا من يأخذ بأفكارهم ومذاهبهم الهدامة، وركزوا في ذلك على إخراج الناس من هذه الملة السمحة والتوحيد الخالص إلى الشرك بالله – سبحانه وتعالى – وكان من هذه الدعوات الهدامة: الدعوة إلى الغلو في الأشخاص من الأنبياء والصالحين وغيرهم، ورفعهم فوق مترلتهم، حتى بلغ الحد بهم أن وصفوهم بصفات الربوبية التي لا يجوز وصف أحد بها غير الله – سبحانه وتعالى – كادعائهم أنهم يعلمون الغيب أو يتصرفون في الكون. ومنهم من غلا في ذلك فادعى أنهم يعلمون كل شيء، ومنهم

---

(١) الأنعام (١٦١).

(٢) البقرة (١٣٠).

(٣) النبياء (١٠٥-١٠٦).

من كان دون ذلك في الادعاء فنسب إليهم علم بعض الغيوب دون بعض.

ومن هذه الطوائف والفرق الرافضة الذين غلوا في أئمتهم حتى وصفوهم بصفات الباري – سبحانه وتعالى – وبعض طوائف الصوفية الذين غلوا في مشايخهم وأوليائهم فادعوا أنهم يعلمون الغيب على تفاوت فيما بينهم.

وسبب هذا كله هو الغلو في الصالحين؛ الذي حذر الله – سبحانه وتعالى – المؤمنين منه في قوله: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ [١].

فالخطاب في هذه الآية عام يتناول جميع الأمة تحذيراً لهم أن يفعلوا بنبيهم صلى الله عليه وسلم فعل النصارى في عيسى، واليهود في عزير. كما هي القاعدة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ في معنى هذا الآية : (ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسى حتى رفعوه فوق المترلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدونه. بل قد

---

[١] النساء (١٧١).

غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه، فادعوا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقاً أو باطلا، أو ضلالا أو رشاداً، أو صحيحا أو كذباً، ولهذا قال تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ [١].

كما أن النبي ﷺ حذر أمته من ذلك كما جاء في عدة أحاديث منها ما يلي : قوله ﷺ : «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله» [٢].

وقوله ﷺ : «إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين» [٣].

وخاف على قبره أن يتخذ وثناً يعبد فدعا الله أن يحفظه فاستجاب الله دعاءه وحفظه من ذاك.

ومنهم أهل الزندقة من المنجمين والكهان ومن سار على نهجهم ممن انتشرت آراؤهم ومذاهبهم وشاع ذكرهم في هذا العصر خاصة، والعصور الماضية عامة.

---

[١] تفسير القرآن العظيم ٢/٤٣٠.

[٢] البخاري (ح ٣٤٤٥) وأحمد ١/٢٣ ، ٢٤ ، ٥٥.

[٣] أخرجه النسائي في كتاب المناسك باب التقاط الحصى ٥/٢٦٨ واللفظ له، وابن ماجه (ح ٣٠٢٩) وأحمد ١/٢١٥، ٢٤٧، وقال أحمد شاكر اسناده صحيح انظر تحقيقه للمسند (١٨٥١) وصححه الألباني انظر الصحيحة (ح ١٢٨٣) والسنة لابن أبي عاصم (٨٣).

ومعلوم من الدين بالضرورة أن علم الغيب من خصائص الله وحده؛ كما قال تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ [1].

ولكن الذين أُشْرِبَت قلوبهم الضلال والهوى أبوا إلا أن ينسبوا إلى أوليائهم وأقطابهم وأئمتهم علم الغيب، ومن يضلل الله فلن تجد له ولياً مرشداً.

ولقد هيأ الله علماء الإسلام وحراس الملة والدين فوقفوا سداً منيعاً في الذود عن حمى الإسلام، فقاموا بذلك حق قيام وجاهدوا أعداء الدين بكل وسيلة شرعية توصل إلى المطلوب، فألفوا الكتب والرسائل، وأقاموا المناظرات والمواعظ والدروس وغير ذلك للذود عن حمى الملة والدين، فحفظ الله بهم دينه ونصر جنده وأعز حزبه ...

ولقد مَنَّ الله علي باختيار هذا الموضوع الذي هو علم الغيب في العقيدة الإسلامية بتوجيه من والدي الكريم حفظه الله ورعاه وجعل الجنة مثوانا ومثواه، ورأيت أن أساهم بما فتح الله علي ويسر لي في هذا الموضوع، فقمت بجمع أقوال أولئك الجهابذه من العلماء وحصره في الرسالة ورسمت لذلك خطة سرت فيها على النحو التالي:

خطة البحث:

قسمت الموضوع إلى مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة.

أما المقدمة فهي هذه .

---

[1] النمل ٦٥.

وأما التمهيد فقد قسمته إلى مبحثين :

المبحث الأول : جعلته في تعريف الغيب في اللغة .

المبحث الثاني : جعلته في تعريف الغيب في الشرع

وأما الباب الأول : فقسمته إلى تمهيد وفصلين :

فالتمهيد ذكرت فيه أقسام الغيب .

وأما الفصل الأول : فجعلته في الغيب المطلق، وذكرت تحته ستة مباحث:

المبحث الأول : بيان الغيب المطلق .

المبحث الثاني : العلم بالساعة .

المبحث الثالث : العلم بالغيث .

المبحث الرابع : العلم بالأجنة في الأرحام .

المبحث الخامس : العلم بما تكسبه الأنفس في المستقبل.

المبحث السادس : العلم بالموت زمانه ومكانه.

وأما الفصل الثاني : فجعلته في الغيب النسبي، وذكرت تحته أربعة مباحث.

المبحث الأول : في بيان الغيب النسبي .

المبحث الثاني : في الفراسة وعلم الغيب .

المبحث الثالث : في الإلهام والتحديث .

المبحث الرابع : في الرؤى المنامية .

وأما الباب الثاني : فجعلته في بيان أن علم الغيب من خصائص الله

ـــ سبحانه وتعالى ـــ وذكرت فيه فصلين:

الفصل الأول : في بيان الأدلة من الكتاب على اختصاص الله بعلم الغيب .

الفصل الثاني : في بيان الأدلة من السنة على اختصاص الله بعلم الغيب .

وأما الباب الثالث : فتحدثت فيه عن الرسل ـــ عليهم السلام ـــ وعلم الغيب .

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : في بيان مكانة الرسل ومترلتهم وصفاقم البشرية .

الفصل الثاني : في تبرؤ الرسل ـــ عليهم السلام ـــ من معرفة الغيب.

الفصل الثالث : في تأييد الله ـــ عز وجل ـــ للرسل ـــ عليهم السلام ـــ بإطلاعهم على أمور من الغيب .

وأما الباب الرابع : فجعلته في مدعي الغيب وحكم الإسلام فيهم وذكرت تحته خمسة فصول:

الفصل الأول : في الكهان والمنجمين وحكمهم.

الفصل الثاني : في علم الغيب عند الصوفية.

الفصل الثالث : الكشف عند الصوفية.

الفصل الرابع : علم الغيب عند الرافضة.

الفصل الخامس : بعض الآثار المترتبة على ادعاء الغيب.

أما الخاتمة فذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث المتواضع .

منهج البحث:

وقد رسمت لنفسي منهجا سرت عليه في هذا البحث وهو على النحو التالي :

بعد عزو الآيات والأحاديث إلى مواضعها، حاولت أن أذكر حكم العلماء على كل حديث .

ركزت في تفسير الآيات على ثلاثة تفاسير هي تفسير الطبري والقرطبي وابن كثير لأمور منها :

أن الطبري ــ رحمه الله تعالى ــ يهتم بالروايات وأقوال السلف الصالح، وغالباً ما يرجح ما يراه صحيحاً. هذا فضلا عن كونه يعتبر من التفاسير المتقدمة .

وأما القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ فلكونه يهتم بالأحكام غالباً.

وأما ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ فلتأخره ولتميزه عمَّن سبقه بربط الآيات بعضها ببعض . فضلا عن دفاعه وبيانه واهتمامه بمنهج السلف الصالح ــ رضوان الله عليهم ــ وخاصة في أمور الاعتقاد.

التزمت في الإحالة على الأحاديث بكتابة رقمها فقط دون الإشارة إلى الكتاب واسم الباب وخلافه. إلا أن يكون الكتاب المحال إليه غير مرقم الأحاديث فإني أحيل على الكتاب والباب وأحياناً الجزء والصفحة ، كما هي العادة في ذلك.

التزمت بالاستدلال بالأحاديث الصحيحة إلا إذا كان الحديث في محل الاستئناس والاستشهاد لا الاستدلال فإني أورده مع بيان ضعفه.

قمت بالترجمة لبعض الأعلام الذين رأيت أنه ينبغي أن أترجم لهم وأعرف بهم.

حاولت توثيق كل قول بعزوه إلى مصدره إلا في حالة عدم وجود المرجع وتوفره لدي فإني أحيل إليه بالواسطة مع ذكر الإحالة إلى المرجع الأصلي.

ركزت على ذكر المنهج الصحيح لأهل السنة والجماعة، وبذلت جهدي في تعضيده وبيان أدلته من الكتاب والسنة. وصرفت النظر عن إثارة الشبه اقتداء بنهج السلف الصالح الذين كانوا يكرهون بل وينهون عن مناظرة أهل البدع أو الجلوس معهم أو نقل شبههم، كما بين ذلك اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة، والبغوي، وابن بطة وغيرهم.

فمنهجهم هو تقرير عقيدة السلف الصالح مدعمة بالأدلة النقلية والعقلية دون عرض الشبه أو الخوض في أدلتها إلا عند الحاجة[١] واتبعت ذلك إلا عندما اضطر إليها فإني أحاول أن أعالجها دون تتبع الشبه ومحاولة إثارتها، خلافاً لمنهج الخلف الذين كانوا يثيرون الشبه ويحاولون الرد عليها.

---

[١] انظر شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة ١/٥٣، ١١٤.

جعلت أول صحيفة في الباب ذكر اسم الباب وما يندرج تحته من فصول أو مباحث وسرت على ذلك في كل فصل أو مبحث.

قمت بعمل فهارس للأحاديث والآثار وأخرى للمراجع والموضوعات.

شكر وتقدير:

هذا وفي الختام أشكر الله ـــ العلي القدير ـــ على ما منَّ به علي ووفقني من إتمام هذا البحث الذي جاء على قدر الجهد، كما أشكر القائمين على هذا الصرح الشامخ ـــ الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ـــ على تمكيني من المضي في هذا الطريق.

كما أسأل الله عز وجل لوالدي السداد والفوز بالجنة والنجاة من النار فإنه لم يبخل علي بوقته ونصحه وتوجيهه.

كما أشكر شيخي وأستاذي الدكتور : أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي على ما قام به من تشجيعي في الكتابة في هذا الموضوع وعلى ما أرشدني إليه من توجيهات وتوصيات بناءة ساهمت في إنجاز هذا البحث، فأسأل الله ـــ العلي القدير ـــ أن يرفع درجته، وأن يُجزل له المثوبة في الدنيا والآخرة.

كما أشكر كل من أعانني أو دلني على مرجع أو قول أو موضوع في هذا البحث، وأسأل الله أن يجزيهم كل خير .

هذا وما كان فيه من صواب فمن الله وحده وما كان فيه من خطأ فمن نفسى وتقصيري فإن سنة الله اقتضت أن لا يكمل عمل لمخلوق.

جعلت أول صحيفة في الباب ذكر اسم الباب وما يندرج تحته من فصول أو مباحث وسرت على ذلك في كل فصل أو مبحث.

قمت بعمل فهارس للأحاديث والآثار وأخرى للمراجع والموضوعات.

شكر وتقدير:

هذا وفي الختام أشكر الله ــ العلي القدير ــ على ما منَّ به علي ووفقني من إتمام هذا البحث الذي جاء على قدر الجهد، كما أشكر القائمين على هذا الصرح الشامخ ــ الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ــ على تمكيني من المضي في هذا الطريق.

كما أسأل الله عز وجل لوالدي السداد والفوز بالجنة والنجاة من النار فإنه لم يبخل علي بوقته ونصحه وتوجيهه.

كما أشكر شيخي وأستاذي الدكتور : أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي على ما قام به من تشجيعي في الكتابة في هذا الموضوع وعلى ما أرشدني إليه من توجيهات وتوصيات بناءة ساهمت في إنجاز هذا البحث، فأسأل الله ــ العلي القدير ــ أن يرفع درجته، وأن يُجزل له المثوبة في الدنيا والآخرة.

كما أشكر كل من أعانني أو دلني على مرجع أو قول أو موضوع في هذا البحث، وأسأل الله أن يجزيهم كل خير .

هذا وما كان فيه من صواب فمن الله وحده وما كان فيه من خطأ فمن نفسى وتقصيري فإن سنة الله اقتضت أن لا يكمل عمل لمخلوق.

هذا وصلى الله على نبينا محمد و على آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أحمد بن عبدالله الغنيمان

١٤١١/١١/٢هـ

تمهيد

في تعريف الغيب وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الغيب في اللغة.

المبحث الثاني: في تعريف الغيب في الشرع.



المبحث الأول: تعريف الغيب في اللغة

قال ابن فارس: (الغين والباء أصل صحيح يدل على تستر الشيء عن العيون ثم يقاس.) [١] على كل شيء يدل على التستر.

(والغيب: ما غاب عنك مما لا يعمله إلا الله.

وكذلك يطلق فيراد به كل ما غاب عن الشخص كما يقال غابت الشمس، تغيب غيبة وغيوبا وغيباً) [٢] وغيبوبة[٣].

(ويقال أيضاً رجل غائب وقوم غَيَبٌ بفتحتين، وقوله وإن كان أصحاب الوصية غيباً وهو مثل خادم وخَدَماً، وأما غُيَّب فقياس) [٤].

ويقال أيضاً غاب عني الأمر غيباً وغياباً ومغاباً ومغيباً، وتغيب أي بطن. وتقول غيَّبه هو وغيَّبه عنه.

وفي الحديث لما هجا حسان قريشاً قالت: (إن هذا لشتم ما غاب عنه ابن أبي قحافة) [٥]. أرادوا بذلك أن أبا بكر كان عالما بالأنساب

(١) معجم مقاييس اللغة ٤٠٣/٤.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) لسان العرب ٦٥٤/١ مادة غيب.

(٤) المعرب في ترتيب المعرب ١١٩/٢. مادة غيب.

(٥) روى مسلم عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لحسان: حين أراد أن يهجوا قريشاً: «لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي منهم نسباً حتى يلخِّص لك نسبي فأتاه حسان. ثم رجع فقال: يا رسول الله قد لخص لي نسبك =

والأخبار، فهو الذي علّم حسان أنساب قريش ومعايبها) [(١)].

(وجمع الغائب غُيَّب وغُيَّاب وغَيَب أيضاً، وصحت الياء فيها تنبيهاً على أصل غاب، وإنما تثبت فيه الياء مع التحريك لأنه شبه بصَيَد وإن كان جمعاً وصيد مصدر قولك: بعير أصيد؛ لأنه لا يجوز أن ينوي به المصدر) [(٢)].

(وغيابة الوادي قعره، وكذلك غيابة البئر، قال تعالى: ﴿وألقوه في غيابةالجب﴾ [(٣)].

وتقول وقعنا في غيْبة وغَيَابة أي هبطة من الأرض) [(٤)] يغاب فيها.

(وغاب الرجل عن بلده، وأغابت المرأة فهي مَغِيْبةٌ؛ إذا غاب عنها زوجها) [(٥)].

= والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين» (ح ٢٤٩٠) ورواه الطبراني (ح ٣٥٨٢).

(١) لسان العرب ٦٥٤/١ مادة غيب، وانظر تاج العروس ٤٩٧/٣، ٥٠٢.

(٢) الصحاح ١٩٦/١ مادة غيب.

(٣) يوسف (١٠).

(٤) الصحاح ١٩٦/١ مادة غيب. وانظر: تاج العروس مادة غيب ومجمل اللغة مادة غيب.

(٥) مقاييس اللغة ٤٠٣/٤ مادة غيب.

(وقولهم غيَّبه غَيَابة أي دفنه في قبره) [١]. (قال شَمِر كل مكان لا يدرى ما فيه فهو غيب وكذلك الموضع الذي لا يدرى ما وراءه وجمعه غيوب، قال أبو ذؤيب:

ترمي الغُيُوب بعينه ومظرفه * مغطى كما كشف المُستأخِذُ الرَّمِدُ [٢]

(وغاب الرجل غيباً وتغيب إذا سافر أو بان، وأنشد ابن الأعرابي فقال:

ولا أجعل المعروف جل إليه * ولا عدة في الناظر المُتَغيِّب) [٣].

وأغابت المرأة فهي مَغِيْبٌ؛ غابوا عنها، وفي الحديث (أمهلوا حتى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة) [٤] وهي التي غاب عنها زوجها .

وفي حديث ابن عباس : (أن امرأة مغيبة أتت رجلا تشتري منه شيئاً فتعرض لها فقالت: ويحك إني مُغِيْبٌ فتركها) [٥] [٦].

(والغيب الشحم أي شحم ثَرِب الشاة، وشاة ذات غَيْب أي شحم لتغيبه عن العين) [٧].

---

(١) الصحاح مادة غيب.

(٢) تهذيب اللغه ٤٠٣/٤ مادة غيب . وتاج العروس.

(٣) لسان العرب مادة غيب.

(٤) رواه البخاري (ح ٥٢٤٧)، ومسلم (ح ٧١٥) كتاب الرضاعة (٥٧).

(٥) رواه أحمد في المسند ١٦٩/١، ١٧٠، وصححه أحمد شاكر انظر المسند بتحقيق أحمد شاكر (ح ٢٢٠٦و٢٤٣٠).

(٦) لسان العرب مادة غيب.

(٧) تاج العروس مادة غيب، وانظر التكملة والصلة لكتاب تاج اللغة ٣٢/١ مادة غيب.

(فالغيب كل ما غاب عن العيون وإن كان محصلا في القلوب، والغيب المطمئن من الأرض وجمعه غيوب، ويقال سمعت صوتاً من وراء الغيب أي من موضع لا أراه) [١].

قال بعضهم (بدا غَيَبَان الشجرة وهي عروقها التي تغيب في الأرض فحفرت عنها حتى ظهرت) [٢] (والغابة الأجمة والجمع غابات وغاب وسميت بذلك؛ لأنه يغاب فيها.

والغِيْبَة الوقيعة في الناس؛ لأنها لا تقال إلا في غيبتهم) [٣]

ونخلص من هذا أن الغيب يطلق ويراد به كل ما غاب عن العيون، ومنه الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ــ سبحانه وتعالى ــ والذي أنا بصدد الكلام عليه، ويطلق أيضاً على كل ما غاب عن الشخص المعين. والله تعالى أعلم.

---

(١) لسان العرب مادة غيب .

(٢) التكملة والصلة مادة غيب .

(٣) مقاييس اللغة مادة غيب .

المبحث الثاني: تعريف الغيب في الشرع

الغيب في اللغة يدل على معنى واسع شامل.

أما المعنى الشرعي فدائما يدل على معنى خاص محدد بإطار معين، فالغيب في اللغة يطلق على كل ما غاب واستتر عن العيون سواءً كان حسياً أو معنوياً، وسواء كان مما يجب الإيمان به أو مما لا يجب الإيمان به.

وقد ورد عن السلف عدة أقوال في تعريف الغيب وتفسيره، أذكر بعضاً منها:

١- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «ما آمن مؤمن بمثل إيمان بغيب ثم قرأ ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ [١] إلى قوله: ﴿ينفقون﴾ »[٢].

٢- ما رواه ابن جرير — رحمه الله تعالى — عن ابن عباس — رضي الله عنه — في قوله تعالى ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ قال: (بما جاء منه يعني الله جل ثناؤه) [٣]

---

(١) البقرة (٣).

(٢) رواه الحاكم ٢/٢٦٠، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

انظر: غريب الحديث لابن إسحاق الحربي ٢/٦٠٩، ٦١٢، وتفسير ابن أبي حاتم ١/٣٤.

وذكره ابن كثير في تفسيره ١/٦٣.

(٣) جامع البيان ١/٢٣٦، رقم الأثر (٢٧٢).

٣- عن ابن مسعود ـــ رضي الله عنه ـــ «عن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿يؤمنون بالغيب﴾. أما الغيب ما غاب عن أعين العباد من أمر الجنة والنار وما ذكر الله تبارك وتعالى في القرآن لم يكن تصديقهم بذلك يعني المؤمنين من العرب — من قبل أصل كتاب أو علم كان عندهم»[1].

٤- عن الربيع بن أنس: «﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ آمنوا بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه، آمنوا بالحياة بعد الموت فهذا كله غيب» [2].

٥- وعن قتادة في قوله ﴿ الذين يؤمنون بالغيب﴾ قال: آمنوا بالجنة والنار والبعث بعد الموت وبيوم القيامة وكل هذا غيب) [3].

٦- وعن مجاهد في قوله ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ قال: يؤمنون بالله) [4].

---

(١) المصدر السابق رقم الأثر (٢٧٣)، رواه ابن أبي حاتم في تفسيره عن السدي باختلاف في اللفظ ١/٣٥.

(٢) جامع البيان ١/٢٣٦، رقمه (٢٧٦)، وابن أبي حاتم عن أنس عن أبي العالية ١/٣٥.

(٣) جامع البيان رقم الأثر (٢٧٥).

(٤) غريب الحديث لابن إسحاق الحربي ٢/٦٠٩-٦١٢، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٣٥.

٧- عن زيد بن أسلم: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ قال: بالقدر[1].

وقد اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ على خمسة أقوال:

١- أنه كل ما غاب عن الحواس مما لا يوصل إليه إلا بالخبر دون النظر؛ كوجوب البعث ووجود الجنة ونعيمها والنار وعذابها والحساب.

٢- أنه القدر.

٣- أنه الله تعالى.

٤- أنه القرآن.

٥- أن المراد به أنهم يؤمنون بقلوبهم الغائبة عن الخلق لا بألسنتهم التي يشاهدها الناس. أي: ليسوا منافقين يقولون ما ليس في قلوبهم، بل آمنوا إيماناً صادقاً لا يشوبه نفاق ونحوه.

وحسن القرطبي هذا القول واستشهد بقول الشاعر:

وبالغيب آمنا وقد كان قومنا ❋ يصلون للأوثان قبل محمد[2].

قال الراغب: (من قال إن الغيب هو القرآن أو القدر فإنه إشارة

(١) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٣٦/١، رقم الأثر (٧٢).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٦٣/١.

منهم إلى ما يقتضيه لفظه) [١].

قال ابن العربي كلها قوية إلا الثاني والثالث فإنه يدرك بصحيح النظر فلا يكون غيبا حقيقة، والأقوى هو الأول القائل بأنه الغيب الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما لا هتدي إليه العقول، وكذلك الأخير الذي هو الإيمان بالقلوب الغائبة عن الخلق) [٢].

ويحتمل أن يكون مراده القدر الذي قضاه الله وعلمته ملائكته أو غيرهم قبل وقوعه، ولعله مراده، ويحتمل أن يكون مراده أن القدر ليس غيباً مطلقاً وهذا بعيد، أما بالنسبة لله فلعله أراد أن الله ليس غيباً لكون الخلق يعرفونه بالفطرة والجبلة كما يعرفونه بمخلوقاته وغير ذلك من الأشياء التي تدل عليه مما يدرك بصحيح النظر. ولعل هذا هو مراده، أما ذات الله وصفاته على التفصيل فهي غيب لا تدرك إلا بطريق الوحي كما قال تعالى: ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ والله تعالى أعلم.

قال ابن عطية: (هذه الأقوال لا تتعارض بل يقع الغيب على جميعها) [٣].

---

(١) المفردات ٣٦٦، وانظر أنوار التنــزيل ٦١/١، وتفسير أبي السعود ٣٠/١.

(٢) أحكام القرآن ٨/١، ٩ وانظر: أنوار التنــزيل ١٦/١، وتفسير أبي السعود ٣٠/١.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١٠٠/١.

وقال القرطبي: (إن الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ غائب عن الأبصار غير مرئي في هذه الدار غير غائب بالنظر والاستدلال، فهم يؤمنون أن لهم رباً قادراً يجازي على الأعمال، فهم يخشونه في سرائرهم وخلوهم التي يغيبون فيها عن الناس لعلمهم باطلاعه عليهم، وعلى هذا تتفق الآراء ولا تتعارض والحمد لله [١].

وقال ابن تيمية ـــ رحمه الله تعالى ـــ في تعريف الغيب: (إن اسم الغيب من الأمور الإضافية يراد به ما غاب عنا فلم ندركه، ويراد به ما غاب عنا فلم يدركنا، وذلك لأن الواحد منا إذا غاب عن الآخر مغيباً مطلقاً لم يدرك هذا وهذا، والله سبحانه شهيد على العباد رقيب عليهم، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض، فليس هو غائباً عنا وإنما لما لم يره العباد كان غيباً، ولهذا يدخل قي الغيب المؤمن به وليس هو بغائب، فإن الغائب اسم فاعل من قولك غاب يغيب فهوه غائب والله شهيد غير غائب.

وأما الغيب فهو مصدر غاب يغيب غيباً، وكثيراً ما يوضع المصدر موضع الفاعل كالعدل والصوم والزور، ويوضع المفعول كالخلق والرزق، ودرهم ضرب الأمير ....) [٢].

وقد قسم الرازي ـــ رحمه الله تعالى ـــ وغيره الغيب إلى

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١/١٦٣.

(٢) مجموع الفتاوى ١٤ /٥١.

قسمين هما :

الأول : قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ (١).

فهذا القسم لا يمكن أن يطلع عليه أحد من خلق الله؛ إلا من ارتضى من بعض أنبيائه ورسله فإنه قد يطلعهم على شيء من أمر الغيب كما أخبر بذلك في قوله: ﴿إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾ (٢).

والقسم الثاني: قسم نصب عليه دليل كالخالق وصفاته واليوم الآخر وأحواله وهو المراد بقوله تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ (٣).

وبالنظر إلى هذا الأقوال التي سُقْتُهَا في تعريف الغيب نجد أن أقوال السلف من الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن سار على نهجم لا تتعارض في تعريف الغيب؛ لأن كل ما ذكروه يكمل بعضه بعضاً ومن ثم يؤدي إلى تعريف كامل شامل فهذا يذكر جزءاً، والآخر يذكر جزءاً آخر، وإذا ضممناها إلى بعضها نجد أن الغيب يطلق على كل منها، وكذلك نلاحظ أن كل من جاء بعد القرون

---

(١) الأنعام ٥٩.

(٢) الجن ٢٧.

(٣) انظر التفسير الكبير للرازي ٣١/٢، وانظر أنوار التنزيل ١٦/١.

الأولى ممن تقدم ذكرهم فإن تعريفه لا يكاد يخرج عن تعريف من سبقه.

والخلاصة أن كل هذه التعريفات تطلق على الغيب ويكمل بعضها بعضاً في تعريفه. والله تعالى أعلم.



الباب الأول: أقسام الغيب

وفيه تمهيد وفصلان.

التمهيد في: أقسام الغيب.

الفصل الأول الغيب المطلق.

الفصل الثاني: الغيب النسبي.

تمهيد في : أقسام الغيب.

ينقسم الغيب إلى قسمين:

١ــ غيب مطلق .

٢ــ غيب إضافي [نسبي].

والغيب المطلق هو: المتعلق بالله سبحانه وتعالى دون من سواه .

والغيب النسبي هو: الذي يمكن للمخلوق معرفته، ويكون ذلك بمعرفة أسبابه، وقد يعرفه البعض ويجهله البعض الآخر.

وقد دل على هذا التقسيم آيات من كتاب الله ــ سبحانه وتعالى ــ إليك بعضاً منها:

قال الله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين﴾[1].

فمفاتح الغيب لا يعلمها أحد سواه، وكذلك ما في البر والبحر لا يعلمه جميعه على جهة التفصيل إلا هو. ولكن قد يحصل العلم ببعضه لبعض خلقه ممن توفرت له أسباب معرفته؛ لأن هذا من علم الشهادة الذي يمكن معرفته وذلك بعد توفر الأسباب.

فالعلم بالأول: من الغيب المطلق الذي لا يعلمه إلا الله ــ سبحانه وتعالى .

---

[1] الأنعام ٥٩. وسيأتي ذكر أقوال المفسرين فيها انظر ص ٧٥ والباب الثاني.

والعلم بالثاني: من الغيب النسبي الذي يمكن للمخلوق معرفته لا على جهة التفصيل، فيكون علم شهادة بالنسبة لمن علمه، وغيب لمن لم يتمكن من معرفته .

ومن الآيات التي يمكن أن يستشف منها هذا التقسيم: قوله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ [1].

فهذه الآية تدل على الغيب المطلق الذي لا يمكن لأحد سوى الله معرفته. وأيضا قوله تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ [2].

هذه بعض الآيات التي تدل على الغيب المطلق الذي اختص الله بعلمه وإلا فهي كثيرة وسيأتي ذكر الكثير منها في ثنايا البحث.

أما الآيات التي تدل على الغيب النسبي فمنها ما يلي: قوله تعالى: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ [3].

وقوله تعالى: ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا

---

[1] النمل ٦٥.

[2] لقمان ٥٤.

[3] ال عمران ٤٤.

قومك من قبل هذا . . .﴾[١].

وقوله تعالى: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾[٢].

وغير هذه الآيات مما يدل على القسم الثاني كثير.

فهذه الأنباء التي قَصَّهَا الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ على رسوله ﷺ وذكرها في كتابه هي غيب عن الرسول الله ﷺ وغيب بالنسبة لنا قبل أن يخبرنا بها الله جل جلاله، وشهادة بالنسبة لمن وقعت له. فهي غيب لمن لم يحضرها، شهادة لمن حضرها.

هذه هي أقسام الغيب وسيأتي زيادة بيان لهذين النوعين إن شاء الله تعالى في موضعه.

---

(١) هود ٤٩.

(٢) يوسف ١٠٢.

الفصل الأول : الغيب المطلق

وتحته مباحث :

المبحث الأول : في بيان الغيب المطلق .

المبحث الثاني : علم الساعة

المبحث الثالث : العلم بالغيث

المبحث الرابع : العلم بالأجنَّة في الأرحام

المبحث الخامس : علم ما تكسبه الأنفس في المستقبل

المبحث السادس : علم الموت، زمانه ومكانه



المبحث الأول: بيان الغيب المطلق

هو الغيب الذي اختص الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ بعلمه دون من سواه، فلا يمكن لغيره أن يعلمه.

قد ورد إثبات علمه له ونفيه عمن سواه في مواضع كثيرة من القرآن الكريم منها ما تقدم آنفا:

قال تعالى : ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ (١).

وقال تعالى : ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات البر والبحر ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ (٢).

أنواعه:

ويمكن أن نجعل هذا القسم على نوعين :

النوع الأول : ماورد النص الصريح بأن الله تعالى قد كتمه عن خلقه فلم يَطَّلِع عليه أحد سواه، ولا يمكن أن يعرفه أحد من الخلق لا ملك مقرب ولا نبي مرسل. وهذا مثل علم الله بوقت مجيء الساعة ومفاتح الغيب الخمسة التي اختص الله بعلمها.

وقد أكثر الناس من سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم عن الساعة؛ فكان الجواب أن علمها عند الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ .

---

(١) النمل ٦٥.

(٢) الأنعام ٥٩.

وقال تعالى : ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها * فيم أنت من ذكراها * إلى ربك منتهاها * إنما أنت منذر من يخشاها﴾ (١).

وقال الله تعالى : ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يُجَلِّيها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفيٌ عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث. . .﴾ (٣).

وهذا النوع لا يمكن لأحد من الخلق أن يطلع عليه.

والنوع الآخر: ما لم يرد فيه نص صريح على أن الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ قد كتمه عن خلقه .

فهذا النوع قد يطلع الله بعض خلقه على شيء منه كملائكته ورسله. وقد أشار الله إلي ذلك في قوله: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا* إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾ (٤).

ومعنى الآية كما قال القرطبي ـــ رحمه الله تعالى ـــ : (إن الله تعالى لا يظهر على غيبه إلا من ارتضى، أي اصطفى للنبوة فإنه يطلعه على ما

---

(١) النازعات ٤٢، ٤٥.

(٢) الأعراف ١٨٧.

(٣) لقمان ٣٤.

(٤) الجن ٢٦، ٢٧.

شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم ليكون ذلك دلالة على نبوته) [١].

وقوله تعالى : ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء﴾ [٢] ففي هاتين الآيتين دليل على أن الرسل لا يعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه لأنهم مؤيدون بالمعجزات [٣] [٤].

وقد أطلع الله ــ سبحانه وتعالى ــ كثيرا من رسله على بعض المغيبات. وسيأتي بإذن الله تعالى بيان ذلك مفصلا في الباب الثالث.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢٨/١٩. وانظر جامع البيان ١٢/٢٩. وتفسير القرآن العظيم ٢٧٣/٨.

(٢) ال عمران ١٧٩.

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ٢٧/١٩.

(٤) راجع في هذا المبحث : أحكام القرآن لابن العربي ١٠٨٦/٣. وتفسير ابن كثير ٣١٤/٢، ١٤٦/٥. وتفسير المنار ٣٥٣/٧. وأضواء البيان ١٩٥/٢، درء تعارض العقل والنقل ٧٣/٥، وفتح الباري ١٢٤/١، ٣٦٤/١٣ وما بعدها، وبهجة النفوس ٢٧٢/٤.

المبحث الثاني: علم الساعة :

أولا : الساعة في اللغة : (جزء من أجزاء الليل والنهار، والجمع ساعات ... وتصغيره سويعة، والليل والنهار معاً أربع وعشرون ساعة.وإذا اعتدلا فكل واحدٍ منهما ثنتا عشرة ساعة) [١].

وتطلق أيضا ويراد بها وقت معين وذلك كقوله تعالى : ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة. . .﴾ [٢].

قال القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ : (أي في وقت العسرة) [٣].

وكقوله تعالى ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون﴾ [٤] أي في الوقت الذي تقوم فيه القيامة.

وكذلك تطلق ويراد بها الوقت القليل من الزمان وذلك كقوله تعالى: ﴿ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم﴾ [٥].

(فالساعة في الأصل تطلق ويراد بها معنيان:

أحدهما : أن تكون عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءاً هي مجموع اليوم والليلة.

---

(١) لسان العرب ١٦٩/٨. مادة سوع .

(٢) التوبة ١١٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٧٨/٨.

(٤) الروم ١٢.

(٥) يونس ٤٥.

والثاني : أن تكون عبارة عن جزء قليل من الليل أو النهار، كما يقال جلست عندك ساعة، أي: وقتاً قليلا، ثم استعير لاسم يوم القيامة)[١].

ثانياً : الساعة في الشرع : إذا أطلقت الساعة في الشرع فإنما يراد بها الوقت الذي تقوم فيه القيامة، واليوم الذي يبعث الله فيه الناس للجزاء والحساب.

قال الزجاج : (معني الساعة في كل القرآن الوقت الذي تقوم فيه القيامة، يريد أنها ساعة حقيقية يحدث فيها أمر عظيم فلقلة الوقت الذي تقوم فيه سماها ساعة) [٢].

وقال الراغب: الساعة جزء من أجزاء الزمان، ويعبر به عن القيامة.

قال تعالى: ﴿اقتربت الساعة ...﴾[٣] وقال ﴿يسألونك عن الساعة..﴾ [٤] تشبيهاً بذلك لسرعة حسابه كما قال تعالى: ﴿وهوأسرع الحاسبين﴾ [٥] [٦].

وقال القرطبي: (سميت القيامة بالساعة لسرعة الحساب فيها) [٧].

---

(١) لسان العرب ١٦٩/٨. مادة سوع .

(٢) لسان العرب ١٦٩/٨ مادة سوع . مختارالصحاح مادة سوع.

(٣) القمر ١.

(٤) الأعراف ١٨٧.

(٥) الأنعام ٦٢.

(٦) المفردات للأصفهاني ٢٤٨.

(٧) الجامع لأحكام القرآن ٤١٢/٦.

وقسم الراغب القيامة إلى ثلاث ساعات فقال:

١ـــ الكبرى وهي بعث الناس للمحاسبة.

٢ـــ الوسطى وهي موت أهل القرن الواحد.

٣ـــ الصغرى وهي موت الإنسان) [١]. وذلك نحو ما ورد في الأثر عن أنس مرفوعا بسند ضعيف: (من مات فقد قامت قيامته) [٢].

وعلم الساعة الذي سأتطرق إليه في هذا المبحث هو: علم الوقت الذي تقوم فيه القيامة حين يتغير هذا الكون وتبدل السموات غير السموات والأرض غير الأرض، ويتغير كل شيء في هذه الدنيا، وتبدأ حياة أخرى للبشر لم يعرفوها من قبل، وذلك حين يبعثهم الله للجزاء والحساب على الأعمال التي قدموها في هذه الدنيا.

وقد تتبعت الآيات التي وردت في القرآن الكريم عن يوم القيامة بلفظ الساعة فوجدتها تناهز الثلاثين آية.

وقد أكثر الله من ذكرها في كتابه ولعل ذلك لكثرة المنكرين لها من المشركين المكذبين للنبي صلى الله عليه وسلم، ولكثرة السائلين عنها سواء كانوا من المشركين استهزاءً أو من المؤمنين طلباً لمعرفة وقت مجيئها، وقد جاء في الكتاب والسنة من الأدلة الشرعية مايقرر وجوب الإيمان بحقيقة

---

(١) المفردات للأصفهاني ٢٤٨.

(٢) قال الحافظ العراقي في تخريج الاحياء : رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث أنس بسند ضعيف ٦٤/٤ وفي المقاصد الحسنة رواه الديلمي مرفوعا عن أنس رضي الله عنه ٤٢٨.

الساعة، وتفويض علمها إلى الله ــ سبحانه وتعالى ــ وذلك بأساليب متنوعة منها ما يلي:

أولا : إثبات مجيئها وتأكيد وقوعها

دل القرآن الكريم على ذلك في آيات عديدة منها ما يلي:

قوله تعالى ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ [١].

وقاله تعالى ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي ليأتينكم﴾[٢].

وقوله تعالى ﴿وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾ [٣].

قال ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ في تأويل هذه الآية: (أي ولتوقنوا بذلك أن الساعة التي وعدكم الله أن يبعث فيها الموتى من قبورهم جائية لا محالة ﴿لا ريب﴾ يقول: ولاشك في مجيئها وحدوثها ﴿وأن الله يبعث من في القبور﴾ بعد فنائهم) [٤].

وقال القرطبي وابن كثير والخازن بنحو ما قال [٥].

---

(١) طه ١٥.

(٢) سبأ ٣.

(٣) الحج ٧.

(٤) جامع البيان ١٧/١٢٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٢/١٥، وتفسير القرآن العظيم ٥/٣٩٣ ولباب التأويل في =

وقاله تعالى: ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل﴾ [(١)].

قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ : (يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم وإن الساعة التي تقوم فيها القيامة لجائيه فارض بها لمشركي قومك الذين كذبوك وردوا عليك ما جئتهم به من الحق) [(٢)].

وقال القرطبي ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ﴿وإن الساعة لآتية﴾ أي : لكائنه فيجزي كلا بعمله [(٣)].

وقال ابن كثير ـــ رحمه الله تعالى ـــ : (أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقيام الساعة وأنها كائنة لا محالة [(٤)].

ودلت السنة على ذلك أيضاً فمنها ما يلي:

١ـــ عن ابن عباس ـــ رضي الله عنهما ـــ قال: (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال: اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد ملك السماوات والأرض ومن

= معاني التنزيل ٢٨٢/٣.

(١) الحجر ٨٥.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن ٥١/١٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٥٤/١٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤٦٣/٤.

فيهن ...ولك الحمد أنت الحق، ووعد الحق ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق والنار حق، والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق، والساعة حق...) الحديث [١].

٢ــ ما رواه الإمام أحمد عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمه دعاءً وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم. وفيه (أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير. وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك. وأشهد أن وعدك حق ولقاءك حق والجنة حق والساعة آتية لا ريب فيها وأنت تبعث من في القبور...) الحديث [٢].

قال ابن حجر ــ رحمه الله تعالى ــ : (والساعة) أي يوم القيامة. وأصل الساعة القطعة من الزمان، وإطلاق الحق على ما ذكر من الأمور معناه أنه لابد من كونها وأنها مما يجب أن يصدق بها، وتكرار لفظ الحق للمبالغة في التأكيد) [٣].

ثـــانيـــاً : قرب مجيئها:

دل القرآن الكريم على ذلك في آيات كثيرة منها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب . . .الآية﴾ [٤].

---

(١) البخاري (ح ١١٢٠).

(٢) مسند الإمام أحمد ١٩١/٥.

(٣) الفتح ٤/٣.

(٤) الشورى ١٧.

وقوله تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ [(١)].

قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ في معنى هذه الآية: (يعني تعالى ذكره بقوله ﴿اقتربت الساعة﴾ دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة. وقوله ﴿اقتربت﴾ افتعلت من القرب، وهذا من الله تعالى ذكره إنذار لعباده بدنو القيامة وقرب فناء الدنيا، وأمرلهم بالاستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم وهم عنها في غفلة ساهون)[(٢)]

ودلت السنة أيضا على ذلك؛ فمنها ما يلي:

١- ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين أصابعه السبابة والوسطى....» الحديث[(٣)].

٢- عن عبد الله بن حوالة قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لنغنم على أقدامنا فرجعنا فلم نغنم شيئاً، وعرف الجهد في وجوهنا فقام فينا فقال: (اللهم لا تكلهم إلي فأضعف عنهم، ولا تكلهم إلى

---

(١) القمر ١.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن ٢٧/٨٤.

(٣) وراه مسلم (ح/٨٦٧)، والبخاري بنحوه عن سهل بن سعد رضي الله عنه (ح٤٩٣٦)، والنسائي في العيدين باب كيف الخطبة ٣/١٠١، والترمذي بنحوه (ح٢٢١٣)، عن قتادة، وأحمد ٥/٣٤٨ بنحوه عن بريدة.

أنفسهم فيعجزوا عنها، ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم. ثم وضع يده على رأسي أو قال: على هامتي، ثم قال: يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت أرض المقدس فقد دنت الزلازل والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب إلى الناس من يدي هذه من رأسك)[١].

٣- ما رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري ــ رضي الله عنه ــ قال: صلى بنا الرسول صلى الله عليه وسلم يوماً صلاة العصر بنهار ثم قام خطيباً .. إلى أن قال وجعلنا نلتفت إلى الشمس هل بقي منها شيء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا إنه لم يبق من الدنيا في ما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه)[٢].

ثـــالـــثـــاً : إتيانهـــا بغتة :

من الأمور التي تحصل عند قيام الساعة أنها تفجأ الناس بقيامها وحلولها. مما يدل على أن الخلق لم ولن يعلموا بوقت قيامها، ولذلك تبرأ أفضل الخلق عليه أفضل الصلاة والسلام من العلم بوقت قيامها. وقد دل الكتاب العزيز على إتيانها بغتة في آيات كثيرة منها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون﴾[٣].

---

(١) أبو داود (ح ٢٥٣٥) وسكت عنه. وأحمد ٢٨٨/٥.

(٢) الترمذي (ح ٢١٩١) وقال حديث حسن صحيح.

(٣) يوسف ١٠٧.

وقوله تعالى: ﴿هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون﴾[(١)].

وقوله تعالى: ﴿فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم﴾ [(٢)].

قال ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ في تأويل هذه الآية: (يقول تعالى ذكره فهل ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله من أهل الكفر والنفاق؛ إلا الساعة التي وعد الله خلقه بعثهم من قبورهم أحياء أن تجيئهم فجأة لا يشعرون بمجيئها) [(٣)].

وقال القرطبي رحمه الله تعالى ــ : ﴿فهل ينظرون إلا أن تأتيهم الساعة بغتة﴾ أي فجأة، وهذا وعيد للكفار ﴿فقد جاء أشراطها﴾ أي أماراتها وعلامتها) [(٤)].

وقال ابن كثير بنحو ما قالا [(٥)].

وقوله تعالى: ﴿حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها﴾ [(٦)].

---

(١) الزخرف ٦٦.

(٢) محمد ١٨.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن ٥٢/٢٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٠/١٦.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٢٩٧/٧.

(٦) الأنعام ١٣.

قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ : (حتى إذا جاءتهم الساعة التي يبعث الله فيها العباد من قبورهم فجأة من غير علم تفجأه بوقت مفاجئتها إياه) [١].

قال البرسوي [٢]: (بغتة حال من فاعل جاءتهم، أي باغتة مفاجئة، والبغت مفاجئة الشيء بسرعةٍ من غير أن يشعر به الإنسان، حتى لو كان له شعور بمجيئه ثم جاءه بسرعة لا يقال فيه بغتة، والوقت الذي تقوم فيه القيامة يفجأ الناس في ساعة لا يعلمها إلا الله تعالى . والمعنى أنهم كذبوا إلى أن ظهرت الساعة بغتة) [٣].

وقوله تعالى: ﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ [٤].

قال ابن كثير ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة﴾:

قال مجاهد : فجأة .

وقال قتادة : بعث القوم أمر الله، وما أخذ الله قوماً قط إلا عند

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن ١١/٣٢٤.

(٢) اسمه: إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي الحنفي الخلوتي، متصوف مفسر تركي مستعرب. ولد في أيدروس وسكن القسطنطينية، كان من أتباع الطريقة الخلوتية فنفي إلى تكفور ؛ ثم عاد إلى بروسة فمات فيها سنة ١١٢٧هـ . انظر الأعلام للزركلي ١/٣١٣.

(٣) روح البيان ٣/٢١.

(٤) الحج ٥٥.

سكرهم وغرهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله فإنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون) [(١)].

دلت السنة على ذلك أيضاً فمن ذلك ما يلي:

١ـ ما رواه البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في حديث طويل وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف بلبن لقحته [(٢)] فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط [(٣)] حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها» [(٤)].

٢ـ حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: «خسفت الشمس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فقام فزعاً يخشى أن تكون الساعة، حتى أتى المسجد فقام يصلي بأطول قيام وركوع وسجود ...» الحديث [(٥)].

٣ـ حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في ليلة

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥/٤٤٢.

(٢) اللقحة بالفتح والكسر الناقة القريبة العهد بالنتاج .. يقال ناقة لقوح إذا كانت غزيرة اللبن، النهاية في غريب الحديث ٤/٢٦٢.

(٣) أي يطيّنه ويصلحه، وأصله من اللصوق. النهاية في غريب الحديث ٤/٢٧٧.

(٤) البخاري (ح ٧١٢١). وأحمد عن أبي هريرة ٢/٣٦٩.

(٥) رواه البخاري (ح ١٠٥٩)، ومسلم (ح ٩١٢)، والنسائي (ح ١٥٠٣).

الإسراء عندما تذاكر الأنبياء يأجوج ومأجوج وفيه فقال عيسى عليه السلام: (... فأدعوا الله فيرسل السماء بالماء فيحملهم في البحر، ثم تنسف الجبال وتمتد الأرض مد الأديم فعهد إليّ متى كان ذلك، كانت الساعة من الناس كالحامل التي لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادها) [١].

وإتيانها بغتة يدل على أن علمها موكول للواحد الأحد الذي لايعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض. كما يدل أيضا على عدم علم الخلق بها وإلا لما فاجأهم وهم على تلك الحالة التي مرت صفتها.

رابعـــاً : موقف المؤمنين والكافرين من الساعة.

يتميز موقف المؤمنين بتصديقهم وإيمانهم بالساعة وما تشتمل عليه من أحداث وأهوال، كما أنهم يؤمنون بوقوعها وأنها آتية لا محالة، كما يؤمنون بأن علم وقت مجيئها موكول إلى الله عز وجل لا يعلمه إلا هو ﴿قل إنما علمها عند الله﴾ فهو المختص بذلك وحده لا شريك له.

وقد دل القرآن الكريم في غير ما آية على موقف المؤمنين:

قال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون﴾ [٢].

---

(١) رواه ابن ماجه (ح ٤٠٨١)، وأحمد ٣٧٥/١، وقال أحمد شاكر اسناده صحيح انظر تحقيقه للمسند ١٩٠/٥ (ح ٣٥٥٦).

(٢) الأنبياء ٤٩.

قال تعالى: ﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً * يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق﴾ (١).

فالمؤمنون مشفقون خائفون من قيامها؛ لأنهم لا يعلمون متى تفجأهم .

قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ﴿والذين آمنوا مشفقون منها﴾ يقول: والذين صدقوا بمجيئها ووعد الله إياهم الحشر فيها ﴿مشفقون منها﴾ يقول وجلون من مجيئها خائفون من قيامها لأنهم لا يدرون ما الله فاعل بهم فيها) (٢).

وقال القرطبي ـــ رحمه الله تعالى ـــ: ﴿والذين آمنوا مشفقون منها﴾ أي خائفون وجلون لاستقصارهم أنفسهم مع الجهد والطاعة كما قال: ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون﴾ وقوله : ﴿ويعلمون أنها الحق﴾ أي التي لاشك فيها) (٣).

هذا هو موقف المؤمنين وحالهم وإيمانهم بالساعة .

أما الكافرون بها فهم على خلاف ذلك مكذبين معاندين مستهزئين بها .

---

(١) الشورى ١٧ـــ١٨.

(٢) جامع البيان ٢٥/٢٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٦/١٥.

قال عز وجل مبيناً حالهم وموقفهم من الساعة :

قال : ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض﴾ [(١)].

وقال تعالى: ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب * يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا إن الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد﴾ [(٢)].

وقال تعالى على لسان بعض المكذبين بلقاء الله: ﴿... وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾ [(٣)].

وقال تعالى: ﴿بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا﴾ [(٤)].

قال ابن جرير ــ رحمه الله ــ في تأويل هذه الآية: (يقول تعالى ذكره: ما كذب هؤلاء المشركون بالله وأنكروا ما جئتهم به يا محمد من الحق .. إلا من أجل أنهم لا يوقنون بالمعاد، ولا يصدقون بالثواب والعقاب تكذيباً منهم بالقيامة، وبعث الأموات أحياء لحشر القيامة.

وقوله: ﴿وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا﴾ يقول واعتدنا لمن كذب

---

(١) سبأ ٣.

(٢) الشورى ١٧، ١٨.

(٣) فصلت ٥٠.

(٤) الفرقان ١١.

ببعث الأموات أحياء بعد فنائهم لقيام الساعة ناراً)[١].

وقال ابن كثير نحوه[٢].

وقد دلت السنة على كلا الموقفين :

فمما جاء من السنة في بيان موقف المؤمنين ما يلي:

حديث أسامة بن زيد ـــ رضي الله عنه ـــ قال: (خسفت الشمس فقام النبي صلى الله عليه وسلم فزعاً يخشى أن تكون الساعة، فأتى المسجد فصلى بأطول قيام وركوع وسجود رأيته قط يفعله) الحديث[٣].

فدل هذا الحديث على عدم علم النبي صلى الله عليه وسلم بوقت قيامها وإلا لما كان فزعه شديداً خوفاً من قيامها. وموقف النبي صلى الله عليه وسلم هو الموقف الأسمى للمؤمنين .

وعن النواس بن سمعان ـــ رضي الله عنه ـــ قال: ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رجعنا إليه عرف ذلك فينا فقال: ما شأنكم ؟ قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل ...) الحديث[٤].

---

(١) جامع البيان ١٨/١٨٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٦/١٠٤.

(٣) رواه البخاري (ح ١٠٥٩). وقد تقدم تخريجه انظر ص ٣٤.

(٤) رواه مسلم (ح ٢١٣٧) .

فالدجال من علامات الساعة وأشراطها، فإذا كان الإنسان لا يعلم متى يخرج فمن باب أولى عدم علمه بوقت مجيئ الساعة.

وكثيراً ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يوجه من يسأله عن الساعة إلى الإعداد لها، والاستعداد للقاء الله عز وجل بالعمل الصالح .

عن أنس ـــ رضي الله عنه ـــ أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال: متى الساعة ؟ قال وما أعددت لها ؟ قال لاشيء غير أني أحب الله ورسوله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنت مع من أحببت) [1].

أما ما يدل من السنة على موقف الكافرين فمنه ما يلي :

حديث ابن عباس ـــ رضي الله عنه ـــ قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ففتته بيده فقال: يا محمد: أيحيي الله هذا بعدما أرم ؟ قال: (نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم) [2].

خامساً: اختصاص الله بعلمها دون من سواه :

دل الكتاب العزيز في غير ما موضع منه على تفرد الله ـــ سبحانه

---

(١) رواه البخاري (ح ٣٦٨٨) .

(٢) رواه الحاكم ٤٢٩/٢ وقال حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ووافقه الذهبي وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٢١/٢٣. وابن أبي حاتم، انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٨٠/٦.

فالدجال من علامات الساعة وأشراطها، فإذا كان الإنسان لا يعلم متى يخرج فمن باب أولى عدم علمه بوقت مجيئ الساعة.

وكثيراً ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يوجه من يسأله عن الساعة إلى الإعداد لها، والاستعداد للقاء الله عز وجل بالعمل الصالح .

عن أنس ــ رضي الله عنه ــ أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال: متى الساعة ؟ قال وما أعددت لها ؟ قال لاشيء غير أني أحب الله ورسوله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنت مع من أحببت) [(١)].

أما ما يدل من السنة على موقف الكافرين فمنه ما يلي :

حديث ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ففتته بيده فقال: يا محمد: أيحيي الله هذا بعدما أرم ؟ قال: (نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم) [(٢)].

خامساً: اختصاص الله بعلمها دون من سواه :

دل الكتاب العزيز في غير ما موضع منه على تفرد الله ــ سبحانه

---

(١) رواه البخاري (ح ٣٦٨٨) .

(٢) رواه الحاكم ٤٢٩/٢ وقال حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ووافقه الذهبي وأخرجه أيضاً ابن جرير في تفسيره ٢١/٢٣. وابن أبي حاتم، انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٨٠/٦.

وتعالى ــ بعلمها، كما دل على أنه لم يطلع عليها ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلا.

قال تعالى: ﴿إليه يرد علم الساعة﴾ (١).

وقال أيضاً: ﴿وعنده علم الساعة وإليه ترجعون﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً﴾ (٣).

قال ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ في تأويل هذه الآية: (يسألك الناس يا محمد عن الساعة متى هي قائمة ؟ قل لهم: إنما علم الساعة عند الله لا يعلم وقت مجيئها غيره) (٤).

وقال القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ : ﴿قل إنما علمها عند الله﴾ أي أجبهم عن سؤالهم وقل علمها عند الله، وليس في إخفاء الله وقتها عنى ما يبطل نبوتي، وليس من شرط النبي أن يعلم الغيب بغير تعليم من الله عز وجل) (٥).

وقال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ يقول تعالى مخبراً لرسول صلى

---

(١) فصلت ٤٧.

(٢) الزخرف ٨٥.

(٣) الأحزاب (٦٣).

(٤) جامع البيان ٤٩/٢٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٨/١٤.

الله عليه وسلم : (إنه لا علم له بالساعة، وإن سأله الناس عن ذلك، وأرشده إلى أن يرد علمها إلى الله عز وجل كما قال له في سورة الأعراف: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي﴾ فاستمر الحال في رد علمها إلى الذي يقيمها) [١].

وقوله تعالى: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة﴾ [٢].

قال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ: (أمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم إذا سئل عن وقت الساعة أن يرد علمها إلى الله تعالى. فإنه هو الذي يجليها لوقتها، أي: يعلم جلية أمرها ومتى يكون على التحديد. لا يعلم ذلك إلا هو تعالى، ولهذا قال: ﴿ثقلت في السموات والأرض﴾ أي: ثقل علم وقتها على أهل السموات والأرض) [٣].

وقوله تعالى: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها * فيم أنت من ذكراها * إلى ربك منتهاها﴾ [٤].

قال ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ : ﴿إلى ربك منتهاها﴾ يقول إلى

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٦/٤٧٢ بتصرف .

(٢) الأعراف ١٨٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢/٥٢٠.

(٤) النازعات ٤٢ ــ ٤٤ .

ربك منتهى علمها أي إليه ينتهي علم الساعة، ولا يعلم وقت قيامها غيره ...) [١].

وكذلك الآيات والأحاديث المتقدمة في كونها تأتي بغتة كلها تدل دلالة واضحة على أن الناس لا يعلمون وقت مجيئها وإلا لما كان إتيانها بالنسبة لهم بغتة إذا كانوا يعلمون وقتها، ولذلك كان اتيانها من غير علم سابق .

فالآيات صريحة بأن علمها موكول إلى الله ــ سبحانه وتعالى ــ فلا يعلمها أحد سواه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل والآيات واضحة أشد الوضوح فلا تحتاج إلى بيان .

وقد دلت السنة على ذلك أيضاً في عدة أحاديث منها ما يلي:

جاء في حديث جبريل ــ عليه السلام ــ المشهور من رواية أبي هريرة وعمر وابنه ــ رضي الله عنهم ــ وفيه : (قال يا رسول الله متى الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم من السائل ...) الحديث [٢].

وفي رواية لأحمد عن عامر بن أبي عامر الأشعري: (.. قال متى الساعة يا رسول الله ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سبحان الله خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله، عنده علم الساعة ...) [٣].

---

(١) جامع البيان ٤٨/٣٠.

(٢) رواه البخاري (ح ٤٧٧٧). ومسلم عن ابن عمر (ح ٨) وعن أبي هريرة (ح١٠).

(٣) المسند ١٢٩/٤ ، ١٦٤. وكذلك رواه عن عبد الله بن عباس ٣١٩/١.

وعن أنس ـــ رضي الله عنه ـــ (أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال: متى الساعة ؟ قال: وماذا أعددت لها ؟ قال: لاشيء إلا أني أحب الله ورسوله. فقال صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت ...) [(١)].

ومنها أيضاً ما تقدم في الغيب المطلق مما يدل على اختصاص الله وحده دون من سواه بعلمها .

وبهذا يتبين لنا مما تقدم عدة حقائق :

أولا: أن الله عز وجل أكد مجيء الساعة وأنها واقعة لا محاله.

فهذا إخبار من الله ـــ عز وجل ـــ كشف لنا به عن طرف من الغيب الذي لا نعلمه إلا بإخباره لنا ـــ سبحانه وتعالى ـــ فلو لم يخبرنا بذلك ولا أخبرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم لما علمناه من تلقاء أنفسنا.

ثانياً : أن الساعة قريبة بحيث يتوقع الناس مجيئها في كل لحظه.

وبذلك يعلم أن الساعة ليست بعيدة الأجل، بل قريبة، فتوقع قيامها في أي لحظه لا يعني علماً بالغيب؛ بل ذلك مما جاءت به النصوص الشرعية.

ثالثاً : أن قيامها سيكون مفاجئاً بدون علم أحد بوقته .

---

(١) رواه البخاري (ح ٣٦٨٨). ورواه بلفظ آخر (ح ٥٩).

رابعاً : أن المؤمنين مصدقون بوقوعها فهي من الغيب الذي يصدق به المؤمنون لأنه مما أخبرهم به ربهم عز وجل .

خامساً : أن تحديد زمن وقوعها من الغيب المطلق الذي اختص الله بعلمه فلا يعلمه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.

وبهذا تتبين لنا الجوانب التي تعتبر غيباً مطلقا والجوانب التي لا تعتبر من الغيب المطلق في أمر الساعة .

سادساً : أشراط الساعة :

قد تبين مما سبق أن علم الساعة من اختصاص الله ـــ جل وعلا ـــ، وأنه لا يمكن لأحد من الخلق كائناً من كان أن يطلع على وقت مجيئها ووقت قيامها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.

ولكن الله ـــ جل وعلا ـــ جعل لها أمارات وعلامات وأشراط تدل عليها وعلى قربها.

وقد وردت آثار تبين علاماتها وأماراتها.

وهذه الآثار التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم وبين فيها علاماتها وأماراتها هي من الأمور الغيبية التي قد خصه الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ بالاطلاع عليها، فكانت هذه العلامات التي أخبر بها من الغيب الذي أطلعه الله عليه وخصه به، وسأرجئ الحديث عنها إلى موضعها في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى .

المبحث الثالث: العلـــم بـــالغيث

تـــعـــريفـــه :

(الغيث هو المطر والكلأ، وقيل الأصل المطر ثم سمي ما ينبت به غيثاً ... ويقال غاثهم الله، وأصابهم غيث، وغاث الله البلاد يغيثها غيثاً إذا نزل بها الغيث وغِيْثَت الأرض تُغَاثُ غَيْثاً فهي مَغِيثَة ومَغْيُوثَة، وغِيْثَ القوم أصابهم الغيث وسمي الغيث غيثاً لأنه يغيث الخلق. ويطلق الغيث ويراد به الكلأ الذي ينبت من ماء السماء) [(١)].

قال قتادة: ذكر أن رجلا قال لعمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ يا أمير المؤمنين قحط المطر وقل الغيث وقنط الناس. فقال: مطرتم إن شاء الله ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا﴾ [(٢)].

ويطلق الغيث على المطر؛ ولكن المطر أشمل وأعم من الغيث؛ لأن المطر يطلق على النافع والضار، أما الغيث فلا يطلق إلا المطر النافع فقط.

قال تعالى: ﴿وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين﴾ [(٣)].

وقال تعالى: ﴿وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود﴾ [(٤)].

---

(١) انظر لسان العرب ١٧٤/٢ مادة غيث .

(٢) أخرجه بن جرير في تفسيره ٣١/٢٥، والآية في الشورى ٢٨.

(٣) الشعراء ١٧٣، والنمل ٥٨ .

(٤) هود ٨٢.

وقال تعالى: ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ [١].

وقال تعالى: ﴿ولا جناح عليكم إن كان بكم أذىً من مطر . . .﴾ [٢].

وقال تعالى في ذكر الغيث: ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته﴾ [٣].

فالمطر غالباً ما يطلق في القرآن على العذاب بخلاف الغيث فإنه لم يرد إلا في نزول رحمة الله من الماء.

قال القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ: (الغيث ما كان نافعاً في وقته والمطر قد يكون نافعا وضارا في وقته وغير وقته) [٤].

وقد ورد ذكر الغيث وإنزال الماء من السماء في الكتاب والسنة بأساليب متنوعة منها ما يلي :

أولا : إنزال المطر من فعل الله عز وجل :

ورد ذلك في عدة آيات من القرآن الكريم منها :

قوله تعالى: ﴿وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء﴾ [٥].

وقوله تعالى: ﴿أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء

---

(١) الأنفال ٣٢.

(٢) النساء ١٠٢ .

(٣) الشورى ٢٨ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٩/١٦ .

(٥) الحجر ٢٢ .

ماءً﴾[١] وقوله تعالى: ﴿أفرأيتم الماء الذي تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون. لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون﴾ [٢].

قال ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ في تأويل هذه الآية: (يقول تعالى ذكره أفرأيتم أيها الناس الماء الذي تشربون، أأنتم أنزلتموه من السحاب فوقكم إلى قرار الأرض أم نحن مترلوه لكم، لو نشاء جعلنا ذلك الماء الذي أنزلناه لكم من المزن ملحاً أجاجاً ــ والأجاج ما اشتدت ملوحته ــ فلم تنتفعوا به في شرب ولا غرس ولا زرع) [٣].

وقال القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ: ﴿أفرأيتم الماء الذي تشربون﴾ لتحيوا به أنفسكم وتسكنوا به عطشكم؛ ﴿أأنتم أنزلتموه﴾ من الحساب ﴿أم نحن المنزلون﴾ فإذا عرفتم أني أنزلته فلم لا تشكروني بإخلاص العبادة لي) [٤].

وقال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ : قوله: ﴿أأنتم أنزلتموه من المزن﴾ يعني السحاب قاله: مجاهد وغير واحد) [٥].

وقوله تعالى: وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته﴾ [٦].

---

(١) النمل ١٠ .

(٢) الواقعة ٦٨.

(٣) جامع البيان ٢٧/٢٠٠.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٧/٢٢٠ .

(٥) تفسير القرآن العظيم ٨/١٨ .

(٦) الشورى ٢٨ .

قال ابن جرير في تأويل هذه الآية: (يقول تعالى ذكره والله الذي ينزل المطر من السماء فيغيثكم به أيها الناس ﴿من بعد ما قنطوا﴾ يقول من بعد ما يئسوا من نزوله ومجيئه) [١].

وقال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا﴾ أي من بعد إياس الناس من نزول المطر ينزله عليهم في وقت حاجتهم وفقرهم إليه كقوله تعالى: ﴿وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين﴾ [٢].

وقوله تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث﴾ الآية [٣].

قال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ في تأويل هذه الآية: (هذه مفاتيح الغيب التي استأثر الله بعلمها فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها فعلم وقت الساعة لا يعلمه لا نبي مرسل ولا ملك مقرب. ﴿لا يجليها لوقتها إلا هو﴾ وكذلك إنزال الغيث لا يعلمه إلا الله؛ ولكن إذا أمر به علمه ملائكته الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه) [٤].

وورد في السنة ما يدل على ذلك أيضاً:

عن زيد بن خالد الجهني قال : صلى بنا رسول الله صلاة الصبح

---

(١) جامع البيان ٣١/٢٥ .

(٢) تفسير القرآن الكريم ١٩٤/٧ .

(٣) لقمان ٣٤ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣٥٤/٧ .

بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: (أتدرون ماذا قال ربكم)؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا؛ فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب)[١].

وعن أنس ـــ رضي الله عنه ـــ أن رجلا دخل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله هلكت المواشي وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا. قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال: «اللهم اسقنا اللهم اسقنا اللهم اسقنا».

قال أنس: فلا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة ولا شيء، ولا بيننا وبين سلع من بيت ولا دار. قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت.. الحديث[٢].

وفي حديث أبي هريرة في مجيء جبريل ـــ عليه السلام ـــ ليعلم

---

(١) رواه البخاري (ح ٨٤٦)، ومسلم (ح ٧١)، والنسائي بنحوه (ح ١٥٢٤) باب ١٦، (٣/١٦٤)، وأحمد بنحوه (٣/١١٦، ١٣٣).

(٢) رواه البخاري (ح ١٠١٢)، ومسلم ونحوه (ح ٨٩٧).

الناس أمور دينهم وفيه «في خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله، ثم قرأ: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت. . . ﴾[1].

قال ابن العربي ـــ رحمه الله تعالى: (من انتظر المطر من الأنواء على أنها فاعلة له دون الله فهو كافر، ومن اعتقد أنها فاعلة بما جعل الله فيها فهو أيضا كافر؛ لأنه لا يصح أن يكون الخلق والأمر إلا لله، كما قال تعالى: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾[2].

ومن انتظرها وتوقع المطر منها على أنها عادة أجراها الله فلا شيء عليه فإن الله قد أجرى العوائد في السحاب والرياح والأمطار بمعان ترتبت في الخلقة وجاءت على نسق العبادة)[3].

فتبين من هذا أن الله سبحانه وتعالى هو المتفرد بإنـــزال المطر وهو القادر عليه وحده دون من سواه، مما يوجب على الإنسان أن يطلب المطر منه وحده، وأن ينسبه إليه وحده، ويحمده ويشكره عليه وحده فهو الذي اختص بإنزال الغيث كما قال: ﴿. . . ينزل الغيث﴾ فلا أحد يستطيع أن ينـــزل الغيث غيره.

---

(١) مسلم الإيمان (ح ١٠)، وأحمد ٣١٩/١، ١٢٩/٤، ١٦٤، والبخاري بنحوه (ح ٤٧٧٧، ٤٧٧٨) والآية من سورة لقمان ٣٤.

(٢) الأعراف ٥٤.

(٣) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ٤٥/١ ـــ مخطوط.

أما ما يذكر من أن البشر قد توصلوا بفضل الله ثم بفضل ما سخره لهم من العلم الحديث ونحوه إلى إنــزال الغيث فليس ذلك على إطلاقه. فإن ما يسمونه بالمطر الصناعي ما هو إلا: (إحداث حالات من فوق السحب العابرة لتجود بالمطر باستخدام طرق صناعية للتكاثف، مثل نثر بلورات الثلج، أو الثلج الجاف «ثاني أكسيد الكربون الصلب» عن طريق طائرة تحلق فوق السحاب مما يعجل بسقوط المطر) [١].

واستخدموا في إنــزال المطر عدة طرق منها ما يلي:

الأولى: هي الطريقة الآنفة الذكر، وهي بث ثاني اكسيد الكربون الصلب في ظروف درجات حرارية واطئة جداً؛ والذي يعمل بدوره على تجميد عدد كبير من القطرات المائية الموجودة في السحب مما يؤدي إلى بداية عملية التساقط.

الثانية: تتخلص في إلقاء غاز يوريد الفضة «AGF» في السحب مما يؤدي إلى انخفاض حرارتها، وهذا يعمل على تكوين البلورات المجهرية الدقيقة جداً في الهواء مما يؤدي إلى خفض درجات الحرارة إلى أربع درجات مئوية، فينتج عن ذلك تكون البلورات الثلجية في السحب وبالتالي يؤدي إلى سقوط المطر.

الثالثة: تتخلص بتجميد عناصر السحب[٢].

---

(١) الموسوعة الثقافية لفظة مطر.

(٢) الطقس والمناخ والأرصاد الجوية ٣٤٤.

ومن المعلوم أنه كلما ازدادت احتمالات تجمد السحب فإنه ينشأ التساقط إذ أن زيادة رطوبة السحب يزيد من احتمال سقوط المطر، غير أنه يطرأ تطورات شديدة على السحب تؤدي إلى زيادة أو نقصان الرطوبة، فعند وقوع التجمد على ارتفاعات شاهقة فإنه يؤدي إلى انعدام جميع أشكال التساقط، ومن ثم تتشتت السحب ولا يسقط المطر ولذلك حاول الإنسان تحويل هذه السحب المتبعثرة إلى سحب ممطرة باستخدام الطرق الآنفة الذكر.

ولكن نتائج تلك الطرق والأبحاث لا زالت غير دقيقة وصعبة، فقد لا تتضح دائما إمكانية التساقط الاصطناعي من السحب ولذا فإن استخدام هذه الطرق الكميائية في علمية التساقط الاصطناعي متواجدة على نطاق ضيق إن لم تكن فاشلة[1].

وفي الحقيقة أن إنـــزال المطر في عرف بعض الناس ينحصر في سقوطه على الأرض، وهذه نظرة ساذجة؛ وإلا فإن إنـــزال المطر يمر بمراحل دقيقة وعظيمة لا يقدر عليها إلا الله عز وجل:

أولها: تبخر هذه السحب من البحار وارتفاعه إلى السماء ـــ كما يذكر ذلك الطبائعيون[2]. فمن يستطيع ذلك؟

---

(١) انظر الطقس والمناخ والأرصاد الجوية ٣٤٤، ٣٤٥.

(٢) وقد كان العرب يزعمون أن بعض المطر أصله من البحر إلا أنهم يسندون فعل ذلك للفاعل المختار ـــ جل وعلا ـــ ومن أشعارهم في ذلك قول طرفة بن العبد: =

ثانيها: تجمع هذه الأبخرة في منظومة واحدة تشكل سحاباً في السماء فمن يستطيع أن يفعل ذلك؟

فهذه البحار موجودة والشمس موجودة، والرياح موجودة، وهي أطراف في هذه العملية فلماذا لا نرى السحاب ينعقد في كل لحظة مع أن أسبابه الظاهرة موجودة.

ثالثها: تهيؤ السحاب للنزول، وهي عملية تجري في السماء بتقدير الله ــ عز وجل ــ ومشيئته. فكم نرى السحاب في السماء ثم لا ينزل المطر؟ ذلك لأن الله عز وجل لم يرد إنزاله.

رابعها: سقوط المطر ونزوله، فهذه المرحلة تعتبر مرحلة نهائية في نزول المطر .

فإذا عمد الإنسان إلى بعض التجارب التي ينزل بها شيئاً مما في هذا

= لا تلمني إنها من نسوةٍ رقَّد الصيــفُ مَقَاليتَ نُزُرْ

كبنات البحر يمأن إذا أنبتَ الصيفُ عساليجَ الخَضِرِ

قوله بنات البحر يعني المزن التي أصل مائها من البحر.

وقول أبو ذئيب الهذلي:

سقى أم عمرو كل آخر ليلةٍ حناتم سود ماؤهن ثجيجُ

تروت بماء البحر ثم تنصبتْ متى لجج خضر لهن نئيج

يعني السحاب شربن من ماء البحر، و(متى) بمعنى (من) في لغة هذيل، ومتى لجج يعني من لجج أخرجت الماء من البحر. انظر أضواء البيان ٧٨٧/٥، وكتاب شرح أشعار الهذليين ١٢٩/١. وديوان طرقة بن العبد ٧٣، ٧٤.

السحاب بدعوى أنه يستطيع أن يترل المطر فإن ذلك يكون تفكيراً ساذجاً .

وهذا لا يسمى مطراً وإنما يسمى استمطاراً؛ إذ السحاب قد رفع وجمع وهيِّئ فإذا جيء ببعض المواد الكميائية وألقيت على السحب فتساقط منه بعض القطرات فهل يسمى هذا مطراً ؟!.

ما أحرى الإنسان أن يعيد النظر في نفسه وقدرته ليعرف الفرق بين قدرة خالقه وقدرته الضعيفة العاجزة .

فلو تأمل الإنسان المطر الإلهي وهو يترل بكميات وهيأة عجيبة ثم قارن بها ما يعمله الإنسان لإنزال المطر لأدرك معنى قوله تعالى: **﴿وينزل الغيث﴾**. هذا فضلا عن (أن المطر الصناعي ما هو إلا عملية أقرب إلى النظرية منها إلى العملية، فهي طريقة غير ناجحة، بل فاشلة) [١].

ولوصحت ونجحت لا نتشرت بشكل كبير في العالم. وكل ما في الأمر أن دور الإنسان ينحصر في محاولته لجمع شتات السحب ومن ثم تجميدها لتكون مهيئة للسقوط .

فتبقى الآية دالة على تفرد الله ــ سبحانه وتعالى ــ بإنزال المطر دون غيره .

ثانياً: لا يعلم وقت نزول المطر إلا الله سبحانه وتعالى:

ورد ذلك في عدة آيات من القرآن الكريم منها ما يلي:

---

(١) انظر الأرصاد الجوية ١٥٥ وما بعدها.

قوله تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث . . ﴾ الآية [١].

قال قتادة ــ رحمه الله تعالى ــ في تأويل هذه الآية: ﴿وينزل الغيث﴾ فلا يعلم أحد متى يترل الغيث ليلا أو نهاراً ..) [٢].

وقال ابن عمر ــ رضي الله عنه ــ : (لا يعلم أحد متى يترل الغيث إلا الله) [٣].

وقال الشوكاني ــ رحمه الله تعالى ــ : ﴿وينزل الغيث﴾ قال: في الأوقات التي جعلها معينة لإنزاله ولا يعلم ذلك غيره) [٤].

وقوله تعالى: ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته﴾[٥]. وقوله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها . . ﴾ [٦].

قال ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ في تأويل هذه الآية: (إن الله عنده علم ما غاب علمه عن خلقه فلم يطلعوا عليه ولم يدركوه ولم يعلموه ولن يدركوه ..، وعنده أيضاً علم ما لم يغب عنكم؛ لأن ما في

---

(١) لقمان ٣٤.

(٢) انظر جامع البيان ٨٨/٢١، وتفسير القرآن العظيم ٣٥٧/٦،٣٥٨.

(٣) انظر جامع البيان ٨٨/٢١.

(٤) فتح القدير ٢٤٧/٤.

(٥) الشورى ٢٨.

(٦) الأنعام ٥٩.

البر والبحر مما هو ظاهر للعين يعلمه العباد فعنده علم ما خفي عنكم وما لم يخف، فأخبر أن عنده علم كل شيء كان ويكون وما هو كائن مما لم يكن بعد إذا كان كيف يكون)[1].

وورد من السنة ما يدل على ذلك منه ما يلي:

عن ابن عمر ــ رضي الله عنه ــ قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم (مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون في غد ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت وما يدري أحد متى يجيء المطر)[2].

عن ابن عمر ــ رضي الله عنه ــ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله)[3].

حكم من ادعى العلم بنزول المطر :

دلت هذه النصوص على أن علم وقت نزول المطر مختص بالله

---

(١) انظر جامع البيان ٤٠٢/١١.

(٢) البخاري (ح ١٠٣٩).

(٣) البخاري (٧٣٧٩)، (٤٦٩٧).

وحده دون من سواه، فلا يستطيع أحد أن يعرف وقت نزول المطر ويجزم به؛ لأنه بذلك يكون مدعياً لعلم الغيب الذي اختص الله به؛ فمن ادعى ذلك وجزم به فهو كافر.

أما إذا لم يجزم بذلك وجعل الحكم بحسب العادة والتجربة فلا يُكَفَّر ولا يُفَسَّق ؛ لأن ذلك جائز .

قال القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ : (قال علماؤنا : أضاف الله سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتابه إلا من اصطفى من عباده، فمن قال: إنه يترل الغيث غداً وجزم به فهو كافر، أخبر عنه بأمارة إدعاها أما لا ...).

أما إن لم يجزم وقال: إن النوء يترل الله به الماء عادة؛ وأنه سبب الماء عادة، وأنه سبب الماء على ما قدره الله وسبق في علمه لم يُكَفَّر؛ إلا أنه يستحب أن لا يتكلم به فإن فيه تشبيهاً بكلمة الكفر، وجهلا بلطف حكمته، لأنه يترل متى شاء مرة بنوء كذا ومرة دون النوء ..) [١].

وعلى هذا فالاستدلال بالعلامات التي وضعها الله سبحانه وتعالى وأجرى بها العادة لتدل على نزول المطر أو غيره، لاشيء في الاستدلال بها على ما تدل عليه من نزول المطر أو غيره؛ فإن الله قد جعل السحب مبشرات بالخير .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧/٢.

قال تعالى: ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من رحمته﴾ [١]

وقال: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت﴾ [٢]

وقال: ﴿أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون﴾[٣].

قال القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ: (أي الرياح تبشر بالمطر) [٤].

وقال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ: (يذكر تعالى نعمه على خلقه بإرسال الرياح مبشرات بين يدي رحمته بمجيء الغيث عقبها..) [٥].

وتبين من هذه الآيات أن توقع نزول المطر بالاستدلال بالرياح أمر جائز؛ لأن الله ــ سبحانه وتعالى ــ جعل هذه الرياح علامات لذلك، وأرشدنا إليها في الآيات السابقة.

كما أن العرب تستدل على الأمطار بعلامات يعرفونها بحسب ما اعتادوه وجربوه من أنواع الرياح وأنواع السحب، كما في قصة الأعمى مع ابنته التي أخرجها الخطيب البغدادي بسنده حيث قال:

---

(١) الروم ٤٦.

(٢) الأعراف ٥٧.

(٣) النمل ٦٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٢٩.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣/٤٣٦.

خرج أعرابي ضرير في لقاء إبل له[(١)] ضلت ومعه بنت له تقوده فمر بواد معشب فقالت: يا أبت ما رأيت مرتع إبل كهذا. فقال إن رد الله علينا إبلنا سرحنا فيه، فلم يلبثا أن وجداها، فأرسلا فيه فجعلت تخضم[(٢)] أطوله وأقصره فبينما هما كذلك قالت ابنته: يا أبت إني أخاف المطر، قال: وما الذي ترين؟ قالت: أرى سحاباً دواني وسحابا بواني[(٣)] فقال: ارعي لا بأس عليك، فرعت ساعة، ثم قالت يا أبت إني أخاف المطر. قال وما الذي ترين؟ قالت: أراها كبطون الأُتن القُمُر[(٤)] في المرابض الغبر[(٥)] قال: ارعي لا بأس عليك فرعت ساعة ثم قالت: يا أبت إني أخاف المطر قال: وما الذي ترين قالت: أرى سحاباً دون سحاب كأنه نعام يعلق بأرجله. قال: ارعي لا بأس عليك. فرعت ساعة؛ قالت: يا أبت إني أخاف المطر. قال: وما الذي ترين؟ قالت: سحاباً أكاد أرفعه بيدي. قال: ارعي لا بأس عليك. فرعت ساعة ثم قالت: إني والله أخاف المطر. قال:

---

(١) أي في طلب إبل له ضاعت.

(٢) تخضم تقطع وتأكل، والخضم بجميع الفم.

(٣) سحاباً دواني أي قريبة، وسحاباً بواني أي بائنة من الأولى بعيدة عنها، وقد يراد بها السحب المليئة بالمطر. لسان العرب مادة بون ٦١/١٣.

(٤) أتن جمع أتانة، وهي الحمارة. القمر أي شديدة البياض والعرب تصف السحاب الممطر الشديد البياض بذلك لكثرة ماءه. لسان العرب مادة قمر، ١١٣/٥.

(٥) المرابض الغبر أي: كثير الغبار من قلة المطر. لسان العرب مادة غبر، ٤/٥.

وما الذي ترين؟ قالت: أراها قد اسلنطحت[١] وانتصبت وابيضت، قال ويحك! فانجي بنا ولا أظنك ناجية. فلم يبلغا آخر الوادي حتى سال أوله..)[٢]

وبصرف النظر عن صحة القصة من عدم صحتها، إلا أنها مما يدل على ما كان لدى العرب من الاستدلال بأنواع السحب على وقت نزول المطر.

فالاستدلال بمثل هذه العلامات أمر جائز لا غبار عليه، وهو قد يصيب تارة ويخطيء أخرى.

ومثل هذا أيضا التوقعات والأرصاد الجوية الموجودة في العصر الحاضر، ما هي إلا توقعات مبنية على مقدمات مستفادة من الأحوال الجوية القائمة على دراسة الكتل الهوائية لمنطقة كبيرة، فتدرس الجهات الهوائية وترتيب الرياح، وتحديد نسبة وكثافة السحب المنتشرة، وتوزيع درجات الحرارة ومناطق الانخفاظات والارتفاعات الجوية، وبقية المعلومات الأخرى الجوية المتعلقة بظروف الدورة الهوائية..)[٣].

وكثيراً ما يكون الأمر على خلاف ما قالوه وتوقعوه. والقول بمثل هذه الأشياء لا بأس به؛ غير أنه لا يجوز أن يجزم المرء بما سيحدث في

---

(١) اسلنطحت أي اتسعت وانتشرت. لسان العرب مادة سلطح ٢/٨٨.

(٢) حكم الاشتغال بالنجوم ق ٥ ب ـــ ٦ ـــ أ.

(٣) انظر: كتاب الطقس والمناخ والأرصاد الجوية ١٩٦، وكتاب الطقس ٩٦.

المستقبل من أمطار أو أعاصير أو انخفاظ في الحرارة أو زيادة فيها؛ لأن هذا من علم الغيب الذي استأثر الله ــ سبحانه وتعالى ــ بعلمه دون من سواه. والجزم بمثل هذا لا يجوز كما تقدم ذكره.

فتبين من هذا اختصاص الله سبحانه وتعالى بعلم وقت نزول المطر وحده دون من سواه، وذلك قبل نزول الأمر به، فإذا ما أمر به علمته ملائكته.. [(١)].

ثالثاً: لا يعلم مقداره إلا الله:

ومما يدل على ذلك من القرآن الكريم ما يلي:

قوله تعالى: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها . .﴾ الآية [(٢)].

قوله تعالى: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض﴾ [(٣)].

قال القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ في تأويل قوله تعالى ﴿بقدر﴾ قال: أي مقدار يصلح؛ لأنه لو كثر أهلك، ومنه قوله تعالى: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ [(٤)].

قال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ في قوله تعالى: ﴿بقدر﴾ (أي: بحسب الحاجة لا كثيراً فيفسد الأرض والعمران، ولا قليلاً فلا يكفي

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٦/٣٥٤.

(٢) الرعد ١٧.

(٣) المؤمنون ١٨.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١٢/١١٢.

الزرع والثمار، بل بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب والانتفاع به) [١].

وقوله تعالى: ﴿والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً﴾ [٢].

قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ في تأويل هذه الآية (أي نزل سبحانه من الأمطار بمقدار حاجتكم إليه فلم يجعله كالطوفان فيكون عذاباً كالذي أنزل على قوم نوح؛ ولا جعله قليلا لا ينبت به النبات والزرع من قلته؛ ولكنه جعله غيثاً مغيثاً، وحياً للأرض الميتة محيياً) [٣].

وقال تعالى: ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ [٤].

قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (يقول تعالى ذكره وما من شيء من الأمطار إلا عندنا خزائنه وما ننـــزله إلا بقدر، لكل أرض معلوم عندنا حده ومبلغه) وذكر نحو ذلك بسنده عن ابن مسعود ـــ رضي الله عنه ـــ [٥].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥/٤٦٤.

(٢) الزخرف ١١.

(٣) جامع البيان ٢٥/٥٢.

(٤) الحجر ٢١.

(٥) جامع البيان ٢٤/١٨ بتصرف

وقال القرطبي ـــ رحمه الله تعالى ـــ : ﴿وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ أي: ولكن لا ننـــزله إلا على حسب مشيئتنا وعلى حسب حاجة الخلق إليه كما قال تعالى ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء﴾ [(١)] [(٢)].

ومن هنا يتبين لنا من هو الذي يعلم مقدار المطر المنـــزَّل، ويعلم حاجة العباد له فينـــزل المقدار الذي ينفعهم ويسد حاجتهم بدون زيادة أو نقصان. فهو المختص بعلم مقدار المطر، بل إنه يعلم مقدار القطرات التي تنـــزل من السحاب فكل شيء عنده بمقدار.

أما البشر فلا يمكن أن يعرفوا مقدار المطر الذي أنـــزله الله على وجه الدقة والتحديد وإن بلغوا من العلم ما بلغوا؛ وإن تطورت آلاتهم ووسائلهم؛ ولكن قد يعرفون مقداره بالجملة وذلك باستخدام أجهزة قياس المطر التي من أبسطها وأكثرها انتشاراً الجهاز القياسي «RAIN AUGE» وهو عبارة عن اسطوانة معدنية قطرها حوالي ٢ سم وبداخلها قمع لجمع الماء، ومقياس يقاس به، تجمع الجهاز الماء الساقط من المطر، ويوضع هذا الجهاز دائماً في العراء، فيدل على ارتفاع الماء المتجمع على كمية المطر الذي سقط.

(١) الشورى ٢٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠/١٤.

وهناك مقاييس أخرى غير هذه يمكن بواسطتها تقدير كمية المطر الساقط على الأرض[١].

وكل هذه المقاييس تقديرية تقريبية، وإلا فإنه لا يمكن أن يعلم أحد بمقدار المطر سوى الله ــ سبحانه وتعالى ــ وبعض الملائكة الموكلين بالقطر.

فيبقى تقدير كمية المطر من علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه، فمن زعم أنه يعلم مقدار المطر إطلاقاً فإنه كاذب مفتري على الله الكذب بادعائه علم الغيب.

رابعاً: لا يعلم أحد من الخلق المكان الذي سينـــزل فيه المطر:

قد وردت النصوص الشرعية تقرر هذه القضية، ومن تلك النصوص ما يأتي:

قال الله تعالى: ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت..﴾[٢].

قال ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ في تأويل هذه الآية: (والله الذي يرسل الرياح ليناً هبوباً طيباً نسيمها فينشئ بها سحاباً ثقالاً، حتى إذا أقلتها ساقه الله لإحياء بلد ميت قد تعفّت مزارعه[٣] ودرست مشاربه

---

(١) انظر الجغرافيا المناخية والنباتية ٢٢٢.

(٢) الأعراف ٥٧.

(٣) أي اندرست وانمحت بسبب انعدام الماء. انظر: اللسان ١٥/٧٢ مادة عفا، وانظر =

وأجدب أهله فأنزل الله به المطر وأخرج به من كل الثمرات) [١].

وقال القرطبي ـــ رحمه الله تعالى ـــ في معناها: (حتى إذا حملت سحابا ثقالا بالماء ﴿سقناه﴾ أي السحاب لبلد ميت ليس فيه نبات) [٢].

وقال ابن كثير ـــ رحمه الله تعالى ـــ: ﴿سقناه لبلد ميت﴾ : أي إلى أرض ميتة مجدبة لا نبات فيها، كما قال تعالى: ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها﴾ [٣].

وقال تعالى: ﴿أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز. . .﴾ [٤].

قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ في تأويل هذه الآية: (يقول تعالى ذكره أو لم ير هؤلاء المكذبون بالبعث بعد الموت أنا بقدرتنا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها...) [٥].

وقال القرطبي ـــ رحمه الله تعالى ـــ : (أو لم يعلموا كمال قدرتنا بسوقنا الماء إلى الأرض اليابسة التي لا نبات فيها لنحييها) [٦].

= أيضاً الصحاح ٦/٤٢٣٤ مادة عفا.

(١) جامع البيان ١٢/٤٩٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٢٩-٢٣٠ بتصرف.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣/٤٢٦.

(٤) السجدة ٢٧.

(٥) جامع البيان ٢١/١١٤.

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١٤/١١٠.

وبنحو ذلك قال ابن كثير[١].

فتبين من هذه الأدلة أن علم المكان الذي سينــزل فيه المطر موكول إلى علام الغيوب؛ الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، فهو الذي خلقه وهو أعلم به، بل إنه لا ينــزل إلا في المكان الذي يأمره أن ينــزل فيه فلا يمكن لأحد أن يدعي أن المطر سينــزل في المكان الفلاني أو في غيره ويجزم به. أما إذا رأى علامات يستدل بها على ذلك فلا شيء في ذلك بشرط عدم الجزم بنزول المطر كما تقدم[٢] لأن هذا من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ ثم ملائكته بعد إعلامهم به.

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٦/٣٧٣.

(٢) انظر ص ٥٣ وما بعدها.

المبحث الرابع: علم الأجنة في الأرحام:

هذا هو المفتاح الثالث من مفاتيح الغيب التي اختص الله بها، فإنه ــ سبحانه وتعالى ــ هو المختص وحده بعلم ما في الأرحام علماً يقينياً محيطاً شاملا لكل لحظة ولكل طور من أطوار الجنين، بخلاف غيره، فإنه إن علم شيئاً من أحوال الأجنة فإن علمه ظني قاصر غير محيط ولا شامل.

وعلم الأجنة علم عجيب دقيق يدلنا على عظمة الخالق الذي لا يعجزه شيء، كما يدلنا على حكمته البالغة حيث جعل الإنسان يمر بتلك المراحل والأطوار إلى أن يخرج من ظلمات الأرحام إلى نور الدينا؛ ومنها إلى ظلمات القبر حيث يعود إلى أصل خلقته، ثم يبعثه الله من الأرض للجزاء والحساب.

وقد أخبر الله ــ جل وعلا ــ في كتابه عن بعض علم ما في الأرحام من تلك المراحل والأطوار التي يمر فيها قبل خروجه، وحجب عنا علم الكثير منها فلم يطلعنا إلا على النزر اليسير؛ وذلك في آيات كثيرة من كتابه.

وكل تلك الآيات تدل على أن الله خلق الإنسان من ذلك الطين الأسود المنتن ثم كرمه ونفخ فيه من روحه.

قال تعالى: ﴿ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم * الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين * ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين * ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما

تشكرون﴾ (١).

وجعل سبب تناسله يكمن في ذلك الماء المهين الذي إذا استقر في الرحم تحول بعضه بعد حين إلى العلقة التي تعلق في جدار الرحم ــ وهي قطعة دم حمراء ــ ثم تتحول بقدرة الله وبأمره إلى المضغة التي تتشكل وتتصور، ثم إلى العظام التي تُكسى بعد ذلك باللحم والعصب، ثم يكون خلقاً آخر يختلف اختلافاً كلياً عن مبدئه فتبارك الله أحسن الخالقين.

وهذه المراحل والأطوار التي يمر بها الإنسان في تكوين خلقه هي التي أخبر الله بها إجمالا لتكون آية من آياته الدالة على عظمته وحكمته التي توجب على الإنسان صرف العبادة لله وحده لا شريك له. وهناك تفصيلات لأحوال الجنين استأثر الله بعلمها مما لا حاجة للإنسان في معرفتها.

وقد أطلع الله بعض الخلق على شيء من ذلك فعلمه من علمه وجهله من جهله؛ فتكون لمن علمها علم شهادة؛ لأنه عرفها وشاهدها، ولغيره من علم الغيب النسبي.

ومبدأ خلق الجنين يكون غيباً مطلقاً لجميع الخلق، ثم يكون نسبياً لبعضهم بعد أن يطلعهم الله على ما شاء منه، وذلك حسب المراحل والأحوال كما ورد في السنة.

فعلم الأجنة من الذكورية والأنوثة وتمام الخلقة وعدمها، وطول

---

(١) السجدة ٦-٩.

العمر وقصره وشقاوته أو سعادته، وأجله وحياته وموته وسلامة حواسه وطوله وقصره وبياضه وسواده....الخ تكون في بداية الخلق غيباً مطلقاً لجميع الخلق؛ ثم تكون غيباً نسبياً لبعضهم دون الآخر، فالملائكة تعلم ذلك حين يأمر الله الملك بأن يكتب رزقه وأجله وشقي أو سعيد فيكون معلوماً للملك مجهولا لغيره من الخلق. وكذلك الذكورة أو الأنوثة يعرفها الأطباء معرفة ظنية وبواسطة؛ وذلك بعد تمام الخلق لا قبله كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

فالله ــ جل وعلا ــ قد اختص بعلم الأجل والرزق والشقاوة والسعادة... الخ وقد يعلمها غيره بعد اطلاع الله ذلك لهم.

وفي هذا المبحث سيكون الحديث عن الأمور التي اختص الله بعلمها فأقول وبالله التوفيق:

الجنين في اللغة:

(يقول جن الشيء جناً أي: ستره، وكل شيء ستر عنك فقد جن عنك، وجنَّه الليل يجنه جناً وجنوناً وأجنه) [1] ومنه قوله تعالى: ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكبا﴾ [2].

(وسمي الجِنُّ به لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار ومنه سمي الجنين

---

(١) لسان العرب مادة جنن ١٣/٩٢.

(٢) الأنعام ٧٦.

جنيناً لاستتاره في بطن أمه) [١].

ويطلق الجنين على المقبور لأن القبر يواريه ويستره، ويسمى القبر جَنَناً لأنه يغطي ويستر صاحبه عن الأنظار[٢].

الرحم في اللغة:

(بالكسر كَكَتِف، منبت بيت الولد ووعاؤه والقرابة أصلها وأسبابـــها)[٣].

والرحم مؤنثة. قال ابن بري: شاهد تأنيث الرحم قولهم رحم معقومة) [٤].

وأولى منه وأحرى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ : «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله» [٥].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ قالت الرحم....» [٦].

قال ابن الأثير: (ذوا الرحم هم الأقارب ويقع على كل من يجمع

---

(١) لسان العرب مادة جنن ٩٢/١٣.

(٢) انظر: لسان العرب مادة جَنَنَ ٩٢/١٣، وجوهرة اللغة ٥٦/١ مادة جَنَنَ.

(٣) القاموس المحيط مادة (رحم) ١٨٨/١٣.

(٤) لسان العرب مادة رحم ٢٣٢/١٣.

(٥) رواه مسلم (ح ٢٥٥٥).

(٦) رواه مسلم (٢٥٥٤).

بينك وبينه نسب، ويطلق في الفرائض على الأقارب من جهة النساء)[١].

وقد ورد في النصوص الشرعية الحديث عن الجنين ورعاية الله ـ عز وجل له في مواضع عدة من القرآن الكريم يمكن تقسيمها إلى قسمين:ـ

أولا: بيان خلق الله عز وجل وعنايته ورعايته للجنين في رحم أمه:

ورد في القرآن آيات متعددة منها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا﴾[٣].

وقوله تالى: ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى﴾[٤].

وقوله تعالى: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه . . .﴾[٥].

وقوله تعالى: ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء . . .﴾[٦].

---

(١) النهاية لابن الأثير ٢/٢١٠ مادة رحم.

(٢) يس ٧٧.

(٣) الكهف ٩٧.

(٤) النجم ٤٦.

(٥) الإنسان ٢.

(٦) آل عمران ٦.

وقال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ في تأويل هذه الآية: (يعني جل ثناؤه: الله الذي يصوركم فيجعلكم صوراً أشباحا في أرحام أمهاتكم كيف يشاء وأحب، فيجعل هذه ذكراً وهذا أنثى، وهذا أسود وهذا أحمر يعرف عباده بذلك أن جميع من اشتملت عليه أرحام النساء ممن صوره وخلقه كيف شاء) [1].

وقال القرطبي: قوله تعالى: ﴿كيف يشاء﴾ يعني من حسن وقُبْحٍ وسواد وبياض وطول وقصر وسلامة وعاهة، إلى غير ذلك من الشقاء والسعادة) [2].

وقال ابن كثير ـــ رحمه الله تعالى ـــ بنحوه[3].

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئًا . . ﴾ الآية [4].

قال القرطبي ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (والمعنى يا أيها الناس إن كنتم في شك من الإعادة، ﴿فإن خلقناكم﴾ أي : خلقنا أباكم الذي هو أصل

---

(١) جامع البيان ٦/١٦٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٤/٨.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢/٦.

(٤) الحج ٥.

البشر.. ﴿من تراب﴾ ثم خلقنا ذريته من نطفة؛ وهو المني، سمي نطفة لقلته، وقد يقع على الكثير منه. ﴿ثم من علقة﴾ وهو الدم الجامد. والعلق الدم العبيط، أي الطري، وقيل الشديد الحمرة. ﴿ثم من مضغة﴾ وهي لحمة قليلة قدر ما يمضغ)[١].

وقال ابن كثير ـــ رحمه الله تعالى ـــ: ﴿فإنا خلقناكم من تراب﴾ أي أصل برئه لكم من تراب وهو الذي خلق منه آدم ـــ عليه السلام ـــ ﴿ثم من نطفة﴾ أي ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ﴿ثم من علقة ثم من مضغة﴾ وذلك أنه إذا استقرت النطفة في رحم المرأة مكثت أربعين يوماً.... ثم تتقلب علقة حمراء بإذن الله فتمكث كذلك أربعين يوماً، ثم تستحيل فتتقلب مضغة قطعة من لحم لا شكل فيها ولا تخطيط، ثم يشرع في التشكيل والتخطيط فيصور منها رأس ويدان وصدر وبطن وفخذان ورجلان وسائر الأعضاء فتارة تسقطها المرأة قبل التشكيل والتخطيط وتارة تلقيها وقد صارت ذات شكل وتخطيط، ولهذا قال تعالى: ﴿ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة﴾ أي كما تشاهدونها، ﴿لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى﴾: أي تارة تستقر في الرحم لا تلقيها المرأة ولا تسقطها. فإذا مضى عليها أربعون يوماً وهي مضغة أرسل الله تعالى إليها ملكاً فنفخ فيها الروح وسواها كما يشاء الله ـــ عز وجل ـــ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٦/١٢.

من حسن وقبيح وذكر وأنثى، وكتب رزقها وأجلها وشقي أو سعيد)[١].

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين* ثم جعلناه نطفة في قرار مكين* ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين* ثم إنكم بعد ذلك لميتون* ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾ [٢].

قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ في تأويل هذه الآية: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ أي: أسللناه منه السلالة المستلة من كل التربة.

ولذلك كان آدم خلق من تربة أخذت من أديم الأرض. ثم جعلنا الإنسان الذي جعلناه من سلالة من طين؛ نطفة في قرار مكين، وهو حيث استقرت فيه نطفة الرجل من رحم المرأة، ووصفه بأنه مكين لأنه مكن لذلك وهيئ له ليستقر فيه إلى بلوغ أمره الذي جعله له قراراً...) [٣].

وقال ابن كثير ـــ رحمه الله تعالى ـــ يخبر تعالى عن ابتداء خلق الإنسان من سلالة من طين وهو آدم ـــ عليه السلام ـــ خلقه الله من

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥/٣٩٠.

(٢) المؤمنون ١٢/١٦.

(٣) جامع البيان ١٨/٧-١١.

صلصال من حمأ مسنون ﴿ثم جعلناه نطفة﴾ هذا الضمير عائد على جنس الإنسان كما قال في الآية الأخرى: ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين* ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين﴾ أي ضعيف كما قال: ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين* فجعلناه في قرار مكين﴾ يعني الرحم معد لذلك مهيأ له. ﴿إلى قدر معلوم﴾ أي: مدة معلومة وأجل معين حين أسحتكم وتنقل من حال إلى حال وصفه إلى صفة ولهذا قال هنا ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾ أي صيرنا النطفة علقة حمراء مستطيلة....) [(١)].

ففي هذه الآيات يتبين لنا دقة خلق الله للإنسان، وحفظه له في بطن أمه ورعايته وتكوينه ونقله من مرحلة إلى مرحلة مما يبين حكمة الخالق ــ سبحانه وتعالى ــ ودقة خلقه وإحكامه، فلو اجتمع الثقلان على أن ينقلوا النطفة ويحولوها إلى علقة لما استطاعوا. ومن هنا تظهر عناية الله وإحكامه لخلق الإنسان حيث جعله في ذلك القرار المكين، وحفظه من كل سوء حتى صار خلقاً آخر، ويسر له رزقه وجبل الوالدين على العطف عليه والإحسان إليه، فتبارك الله أحسن الخالقين.

فهذا هو خلق الله الدقيق المحكم قال الله تعالى ﴿هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين﴾ [(٢)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥/٤٦٠ بتصرف.

(٢) لقمان ١١.

والآيات في هذا الموضوع كثيرة جداً ولعل ماذكرت فيه الكفاية.

وقد ورد في السنة أحاديث متعددة منها ما يلي :

أخرج الشيخان عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله عز وجل وكل بالرحم ملكا يقول: يا رب نطفه يا رب علقه يا رب مضغه، فإذا أراد الله أن يقضي خلقه قال: أذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد ؟ فما الرزق فما الأجل فيكتب في بطن أمه» [(١)].

روى مسلم عن حذيفة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها فخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال: يا رب أذكر أم أنثى ؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول يا رب أجله ؟ فيقول ربك ما شاء . ويكتب الملك ، ثم يقول يا رب رزقه ؟ فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ، ثم يخرج بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص» [(٢)].

وحديث حذيفة هذا يعارض في الظاهر الحديث المتفق عليه عن ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال: (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل

(١) البخاري (ح ٣١٨)، ومسلم ح (٢٦٤٦)، وأحمد بنحوه ١٧٧/١.

(٢) مسلم ح (٢٦٤٥).

إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ...) الحديث [(١)].

فكيف التوفيق بين الحديثين لا سيما أن حديث ابن مسعود صريح في أن النطفة تكون أربعين يوماً نطفة، ثم أربعين علقه، ثم أربعين مضغة، ومعلوم أن العلقة والمضغة لا صورة فيهما ولا جلد ولا لحم ولا عظم، وظاهر حديث حذيفة يدل على أن تصوير الجنين وخلقة وشق سمعه وبصره وجلده وعظمه يقع في الأربعين الثانية بل في أولها .

وقد جمع العلماء بين هذين الحديثين فذكر ابن رجب ــ رحمه الله تعالى ــ عدة أوجه في ذلك منها ما يلي :

١ــ تأول بعضهم أن الملك يقسم النطفة إذا صارت علقة إلى أجزاء فيجعل بعضها للجلد وبعضها للحم وبعضها للعظم، فيقدر كل ذلك قبل وجوده. ورده بقوله: وهذا خلاف ظاهر الحديث .

٢ــ وقد يكون التقسيم والخلق قبل وجود اللحم والعظام وهذا ما يوافق كلام الأطباء .

٣ــ وقد يكون هذا في بعض الأجنة دون بعض .

٤ــ أن حديث ابن مسعود يغلب عليه في الأربعين الأولى وصف المني وفي الثانية وصف العلقة، وفي الأربعين الثالثة وصف المضغة، وإن

---

(١) البخاري ح (٣٢٠٨) ومسلم (ح ٢٦٤٣) والترمذي (ح٢١٣٧) وأبو داود (ح ٤٧٠٨) .

كانت خلقه قد تمت وتم تصويره، وليس في حديث ابن مسعود ذكر تصوير الجنين .

وقد روي عن ابن مسعود نفسه ما يدل على أن تصويره قد يقع قبل الأربعين الثالثة [(١)].

وجمع ابن القيم ـــ رحمه الله تعالى ـــ بينهما فقال: (إن التصوير في الحدثين تصويران :

أحدهما تصوير خفي لا يظهر، وهو تصوير تقديري كما تصور حين تفصل الثوب أو تنجر الباب مواضع القطع والتفصيل؛ فيعلم عليها ويوضع مواضع الفصل والوصل .

والثاني: تصوير جلي يظهر للعيان وذلك في الأربعين الثالثة .

فهنا أربع مراتب :

أحدها : تصوير وتخليق علمي لم يخرج للخارج .

الثاني : تصوير خفي يعجز الحس عن إدراكه .

الثالث : تصوير يناله الحس لكنه لم يتم بعد .

الرابع : تمام التصوير الذي ليس بعده إلا نفخ الروح .

فالمرتبة الأولى : علمية والثلاث الأخرى خارجية عينية .

ونظير هذا تقدير الله ـــ جل وعلا ـــ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنه .

---

(١) جامع العلو والحكم ٤٣ .

والثاني : تقديره عند القبضتين حين قبض أهل السعادة بيمينه وأهل الشقاوة بيساره وهو أخص من الذي قبله .

والثالث : تقدير بعد دخول النطفة في الرحم .

الرابع : تقدير بعد هذا وهو عندما يتم خلقه وينفخ فيه الروح) [(١)].

ثانياً : اختصاص الله جل وعلا بعلم ما في الأرحام :

دلت نصوص الكتاب والسنة على ذلك ومن تلك النصوص ما يأتي:

من الكتاب ما يلي :

قوله تعالى ﴿إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾ [(٢)].

وقوله تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ الآية [(٣)].

ذكر ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ في تفسيره لهذه الآية: (أن الله يعلم ما في أرحام النساء فلا يعلم ذلك أحد سواه لأنه ذو علم بكل شيء لا يخفى عليه شيء خبير بما هو كائن.

(١) التبيان في أقسام القرآن ٢١٨، وانظر طريق الهجرتين ١٣٨ .

(٢) فصلت ٤٧ .

(٣) لقمان ٣٤ .

وروى نحو هذا المعنى عن كثير من أئمة الأمة الأعلام كقتادة ومجاهد وغيرهما [١].

وقال القرطبي ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (قال ابن عباس : هذه الخمسة لا يعلمها إلا الله تعالى. لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل ، فمن ادعى أنه يعلم شيئاً منها فقد كفر بالقرآن لأنه خالفه) [٢].

وقال ابن كثير ـــ رحمه الله تعالى ـــ ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ فلا يعلم أحد من الناس ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكراً أو أنثى أو شقياً أو سعيداً علم الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه) [٣].

وقوله تعالى : ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار﴾ [٤].

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى -: (يخبر تعالى عن تمام علمه الذي لا يخفى عليه وأنه محيط بما تحمله الحوامل من كل إناث الحيوانات كما قال تعالى : ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ [٥] أي ما حملت من ذكر أو أنثى أو

---

(١) جامع البيان ٨٧/٢١ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٨٢/١٤ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٥٥/٦، ٣٥٨ .

(٤) الرعد ٨ .

(٥) لقمان ٣٤ .

حسن أو قبيح أو شقي أو سعيد، أو طويل أو قصير كما قال تعالى: ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾ (٢) أي خلقكم طوراً بعد طور كما قال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ (٣) (٤). أهـ.

وقوله تعالى: ﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾ (٥).

قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ : (يقول تعالى ذكره: وما تحمل من أنثى منكم أيها الناس من حمل ولا نطفة إلا هو عالم بحملها إياه ووضعها وما هو؟ أذكر أو أنثى؟ لا يخفى عليه شيء من ذلك) (٦).

---

(١) النجم ٣٢ .

(٢) الزمر ٦.

(٣) المؤمنون ١٢، ١٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣/٣٥٧.

(٥) فاطر ١١.

(٦) جامع البيان ٢٢/١٢٢.

وقال القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ : (أي جعلكم أزواجاً فيتزوج الذكر بالأنثى فيتناسلان بعلم الله فلا يكون حمل ولا وضع إلا والله علم به، فلا يخرج شيء عن تدبيره) (١).

وقوله تعالى: ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾ (٢).

قال ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ: (يقول تعالى ذكره: ربكم أعلم بالمؤمن من الكافر، والمحسن من المسيء، والمطيع من العاصي حين ابتدعكم من الأرض فأحدثكم منها بخلق أبيكم آدم منها. ﴿وإذا أنتم أجنة في بطون أمهاتكم﴾ يقول: وحين أنتم حمل لم تولدوا منكم وأنفسكم بعد ما صرتم رجالا ونساءً) (٣) (٤).

وقد ورد في السنة أحاديث متعددة منها ما يلي:

عن ابن عمر ــ رضي الله عنه ــ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله» (٥).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٤/٣٣٣.

(٢) النجم ٣٢.

(٣) العبارة فيها بعض الغموض ولعلها تتضح إذا سقتها كما يلي: وحين أنتم حمل لم تولدوا هو أعلم بكم منكم، وأعلم منكم بأنفسكم بعد ما صرتم رجالاً...

(٤) جامع البيان ٢٧/٦٩.

(٥) تقدم تخريجه انظر ص ٧٦ .

وعن زيد بن وهب[١] قال: قال عبد الله[٢]: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون عقلة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا يؤمر بأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار، ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل الجنة»[٣].

وبين هذا الحديث وحديث حذيفة المتقدم[٤] تعارض في الظاهر ففي حديث حذيفة ذكر أن التقدير يكون بعد الأربعين الأولى في بداية الثانية، وفي حديث ابن مسعود أن التقدير يكون بعد الأربعين الثالثة.

وقد جمع ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ بينهما فقال: نتلقاها

---

(١) هو الإمام الحجة زيد بن وهب أبو سليمان بن وهب الجهني الكوفي مخضرم قديم، ارتحل إلى لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الطريق، شهد مع علي ــ رضي الله عنه ــ مشاهده، وغزا في أيام عمر ــ رضي الله عنه ــ أذربيجان، توفي بعد وقعة الجماجم وله من العمر ثلاث وثمانون سنة.
انظر: سير أعلام النبلاء ٤/١٩٦.

(٢) أي ابن مسعود.

(٣) البخاري ح (٣٢٠٨).

(٤) تقدم في ص ٩٦.

بالقبول والتصديق وترك التحريف، فكلاهما حق قاله الصادق المصدوق، إذ غاية ما في حديث حذيفة أن التقدير وقع بعد الأربعين الأولى، وحديث ابن مسعود يدل على أنه وقع بعد الأربعين الثالثة. وكلاهما حق قاله الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، وهذا تقدير بعد تقدير.

فالأول تقدير عند انتقال النطفة إلى أول أطوار التخليق، وهي أول مراتب الإنسان، أما قبل ذلك فلا يتعلق بها التخليق.

والتقدير الثاني: عند كمال خلقه ونفخ الروح فيه، وذلك تقدير عند أول خلقه وتصويره، وهذا تقدير عند تمام خلقه وتصويره) [١].

وذكر ابن رجب ــ رحمه الله تعالى ــ عدة أقوال في الجمع بين هذين الحديثين منها ما يلي:

١- أن الكتابة مرتين كما ذكره ابن القيم.

٢- أن أحدهما في السماء والآخر في بطن أمه.

ثم اعترض على هذه فقال: (والأظهر أنها مرة واحدة، ولعل ذلك يختلف باختلاف الأجنة.

٣- أن لفظة ثم في حديث ابن مسعود إنما يراد بها ترتيب الأخبار لا ترتيب المخبر عنه في نفسه والله أعلم.

٤- الراجح أن الكتابة تكون في بداية الأربعين الثانية ــ أي على ما جاء في حديث حذيفة ــ رضي الله عنه ــ وإنما أخر ذكرها في

---

(١) التبيان في أقسام القرآن ٢١٧.

حديث ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ لئلا ينقطع ذكر الأطوار الثلاثة فَذِكْرُهاَ على نسق واحد أعجب وأحسن. واستشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين* ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين* ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار...﴾ (١).

والمراد بالإنسان آدم، ومعلوم أن تسويته ونفخ الروح فيه كان قبل جعل نسله من سلالة من ماء مهين، لكن لما كان المقصود ذكر قدرة الله ــ عز وجل ــ في مبدأ خلق آدم وخلق نسله منه عطف أحدهما على الآخر، وأخر ذكر تسوية آدم ونفخ الروح فيه، وإن كان ذلك متوسطاً بين خلق آدم وبين نسله والله أعلم) (٢).

معرفة الجنين: أذكر أم أنثى؟

توصل العلم الحديث في مجال الطب إلى معرفة نوع الجنين هل هو ذكر أو أنثى، وهذا يتم بعد فحص السائل الأمنيوسي «الرهل» المحيط بالجنين والمتناثرة فيه بعض خلاياه، فتفحص هذه الخلايا، ومن ثَمَّ يمكن تحديد الجنين أذكر هو أو أنثى؟

ولكن هذه الطريقة ليست باليسيرة إذ تتطلب سحب كمية من السائل المحيط بالجنين والمتناثرة فيه بعض خلاياه، ثم تفحص هذه الخلايا

(١) السجدة ٧-٩.

(٢) جامع العلوم والحكم ٤٧.

بعد ذلك يمكن تحديد نوع الجنين.

ومن المقرر علمياً أن تحديد جنس المولود يكون من اللحظة الأولى التي يلتقي فيها الحيوان المنوي بالبويضة، فإن كان الحيوان المنوي يحمل شارة الذكورة فسيكون ذكراً بإذن الله، وإن كان يحمل شارة الأنوثة فيكون أنثى بإذن الله.

قال تعالى: ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى * من نطفة إذا تمنى﴾ [1].

وقال تعالى: ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى * ألم يك نطفة من مني يمنى * ثم كان علقة فخلق فسوى * فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى..﴾ [2].

فتجد جنس الجنين يتحدد بمعرفة الحيوان المنوي الذي لقح البويضة.

وقد أهمل الطب ذكر ماء المرأة ودوره في تحديد نوع الجنين، ولا شك أن لمني المرأة دوراً هاماً في ذلك، فقد جاء في السنة الصحيحة عن ثوبان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل أنثا بإذن الله» [3].

وكلما ذكروه في ذلك أن عنق الرحم يفرز إفرازات صفراء هي ماء المرأة؛ تسهل للحيوان المنوي دخوله إلى المبيض لتلقيح البويضة، ولكن

---

(١) النجم ٤٥، ٤٦.

(٢) القيامة ٣٥-٣٩.

(٣) رواه مسلم (ح ٣١٥).

دور هذه المادة في تحديد الذكورة أو الأنوثة لم يكتشفه الطب بعد[١].

ومن المعلوم أن هذا التحديد لا يمكن أن يتم إلا بعد مضي أربعة أشهر على الحمل حينما يكتمل خلق الجنين في رحم أمه[٢].

وبعد هذا فإن هناك سؤالا، وهو: هل هذه المعرفة من علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه أم لا؟ وهل هذه المعرفة داخلة في قوله تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام﴾ [٣] وفي قوله صلى الله عليه وسلم: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله...» [٤].

وفي الجواب عن هذا السؤال نقول: إنه غير داخل لعدة أمور:

الأول: أن معرفة نوع الجنين لا تتم إلا بعد مرور أربعة أشهر على الجنين في بطن أمه، وبعد تمام خلقه وتسويته.

الثاني: أن هذه المعرفة ظنية لا قطعية، فقد يظهر خلاف ما عليه الأطباء؛ فقد يقولون إنه ذكر وبعد الولادة يتبين أنه أنثى أو العكس. هذا فضلا عن أن معرفتهم تكون بالوسائل التي إذا عدمت عدمت معرفة الجنين.

---

(١) انظر خلق الإنسان بين الطب والقرآن ١٣٩وما قبلها.

(٢) انظر خلق الإنسان بين الطب والقرآن ٢٩٧ وما بعدها.

(٣) لقمان ٣٤.

(٤) البخاري (ح ٣٦٢٧) ٢٩١/٨ وأحمد (٣٨٦/١، ١٢٢/٢، ٨٦).

الثالث: أن هذه المعرفة ناقصة، فهي لا تساوي شيئاً بالنسبة لمعرفة ما في الأرحام، فليس كل ما في الرحم أنه ذكر أو أنثى فقط بخلاف علم الله تعالى لما في الأرحام فإن علمه شامل محيط بكل شيء. قال تعالى: ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾ [(١)].

وقال: ﴿إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير﴾ [(٢)].

فعلم الله ــ سبحانه وتعالى ــ شامل محيط بكل شيء لا يعزب عنه مثقال حبة في السموات ولا في الأرض، شامل لجميع ما في الرحم من ذكورة أو أنوثة أو طول أو قصر ومن سواد أو بياض ومن صحة أو سقم، ومن تمام الخلقة أو نقصانها، وهل هو سقط أو لا؟ ومن طبائع موروثة في الجنين وأخرى مكتسبة، وهل هو من أصحاب اليمين أو من أصحاب الشمال، كما أنه يعلم رزقه وأجله، وغير ذلك مما لا يمكن للأطباء معرفته فضلا عن غيرهم. فتبقى الآية على ظاهرها. ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ فلا أحد سواه يعلم ما في الأرحام.

الرابع: أن معرفة الأطباء وغيرهم لنوع الجنين ليست من علم الغيب الذي اختص الله به ــ سبحانه ــ بل هو من علم الشهادة الذي عرفه

---

(١) الطلاق ١٢.

(٢) لقمان ١٦.

بعض الخلق كالملائكة وجهله غيرهم، فإذا عرفه من جهله لا يقال إنه علم الغيب، إلا أن يراد أنه علم الغيب النسبي الذي غاب عنه فلم يعلم به مع كونه موجوداً خارج علمه.

وقد تقدم في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله عز وجل وكل بالرحم ملكاً يقول: يا رب نطفة يا رب علقة، يا رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقه قال: أذكر أو أنثى؟ أشقي أو سعيد، فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب في بطن أمه» [١].

فالملك قد علم شيئا كثيراً عن الجنين وهو في بطن أمه لم يخرج بعد.

والله ــ سبحانه وتعالى ــ حينما يخلق الجنين ويوجده يخرج من كونه في علم الغيب إلى عالم الشهادة والواقع، فمعرفة شيء من أموره بعد ذلك لا يكون من معرفة الغيب الذي اختص الله ــ سبحانه وتعالى- بعلمه لأنه يكون قد خرج من طور الغيب إلى طور الشهادة.

خامساً: أن معرفة الأطباء بذلك إنما هو بواسطة الآلات التي يتم بها تصوير الجنين. وهذا ليس علماً بالغيب، بل إنه علم شهادة، فمثله مثل من نظر في المرآة فرأى وجهه أو مالا يستطيع رؤيته من جسمه الموجود في عالم الشهادة مما لا يستطيع رؤيته إلا بواسطة المرآة أو نحوها؛ كآلة التصوير ونحوها من الآلات الحديثة التي تكشف للإنسان ما يحدث في الأماكن البعيدة، أو القريبة المستورة عن العين المجردة، فهل يسمى هذا

---

(١) تقدم تخريجه انظر ص ٩٦.

علماً بالغيب!.

إن هذا علم يحدث للإنسان بواسطة تجعل المستور منكشفاً له فلم يعد من عالم الغيب إذ أنه من عالم الشهادة في الأصل.

وبهذا يتبين أن علم الله - سبحانه وتعالى - شامل لما في الأرحام كامل محيط لا يتسرب إليه الشك ولا الخطأ تعالى الله وتنـــزه عن ذلك؛ بخلاف علم الإنسان فإنه على النقيض من ذلك يعتريه الخطأ والشك فهو يشبه التنبؤات الجوية تصدق أحيانا وتخطئ أحيانا أخرى.. وقد يغلب الصواب فيها بناءً على الخبرة واستخدام الوسائل التقنية البارعة، ولكن ذلك كله لا يخرجها إلى علم اليقين المطلق فتبقى قابلة للخطأ قابلة للنقص قابلة للشك..) [1]، والله تعالى أعلم:

---

(١) انظر خلق الإنسان بين الطب والقرآن ٣٠٨.

المبحث الخامس: علم ما تكسبه الأنفس في المستقبل .

تمهيد:

هذا هو المفتاح الرابع من مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله عز وجل: فالكسب فيما يستقبل من الزمن ــ من كسب معنوي أو مادي أو خير أو شر من شقاء أو سعادة، ومن كسب ودّ أو بغضٍ أو صدقة أو عداوة، أو مرض أو صحة أو غير ذلك من أنواع الكسب ــ من الغيب الذي اختص الله ــ سبحانه وتعالى ــ به فلا يعلمه غيره ومهما حاول الإنسان أن يتعرف على شيء من ذلك فإنه لن يستطيع .

قال الراغب في تعريف الكسب: (ما يتحراه الإنسان مما فيه اجتلاب نفع وتحصيل حظ ككسب المال، وقد يستعمل فيما يظن الإنسان أنه يجلب منفعة ثم استجلب به مضرة . والكسب يقال فيما أخذه لنفسه ولغيره) [(١)].

وقد ورد في كتاب الله ــ جل وعلا ــ إطلاق الكسب على عدة معانٍ منها ما يلي :

١ــ أطلاق الكسب على الأعمال الصالحة :

قال تعالى: ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب﴾ [(٢)].

---

(١) المفردات ٤٣٠ .

(٢) البقرة ٢٠٢ .

يعني جل ثناؤه: أولئك الذين يقولون بعد قضاء مناسكهم ﴿ربنا آتنا في الدنيا ...﴾ الآية رغبة منهم إلى الله جل ثناؤه فيما عنده، علماً منهم بأن الخير كله من عنده، وأن الفضل بيده يؤتيه من يشاء، فأعلم جل ثناؤه أن لهم نصيباً وحضاً من حجهم ومناسكهم وثواباً جزيلا على عملهم الذي كسبوه، وباشروا معاناته بأموالهم وأنفسهم خاصة ذلك لهم دون الفريق الآخر الذين عانوا من نصب أعمالهم وتعبها، وتكلفوا ما تكلفوا من أسفارهم بغير رغبة منهم فيما عند ربهم من الأجر والثواب، ولكن رجاء خسيس من عرض الدنيا وابتغاء عاجل حطامها) [١].

قال ابن كثير قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف فيقولون: (اللهم اجعله عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن) لا يذكرون من أمر الآخرة شيئاً، فأنزل الله فيهم: ﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق﴾ وكان يجيء بعدهم آخرون فيقولون: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾ فأنزل الله: ﴿أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب﴾ ولهذا مدح من يسأله للدنيا والآخرة .. فجمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا وصرفت كل شر، فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ودار رحبة وزوجة حسنة، ورزق واسع، وعلم

---

(١) جامع البيان ٣٠١/٢ .

نافع، وعمل صالح، ومركب هنيء ، وثناء جميل، إلى غير ذلك مما شملت عليه عبارات المفسرين، ولا منافاة بينهما فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا، وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات وتيسير الحساب، وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة، وأما النجاة من النار فهو يقتضي تيسير أسبابها في الدنيا، من اجتناب المحارم والآثام بترك الشبهات والحرام)[١].

وقال تعالى: ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون﴾ [٢].

قال ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ: (قوله: ﴿أو كسبت في إيمانها خيراً﴾ فإنه يعني عملت في تصديقها بالله خيراً من عمل صالح تصدق قبله وتحققه من قبل طلوع الشمس من مغربها، لا ينفع كافراً لم يكن آمن بالله قبل طلوعها، كذلك إيمانه بالله إن آمن وصدق بالله ورسوله .. ولا ينفع من كان بالله وبرسله مصدقاً ولفرائض الله مضيعاً غير مكتسب بجوارحه لله طاعة إذا هي طلعت من مغربها، أعماله إن عمل وكسبه إن كسب لتفريطه الذي سلف قبل طلوعها في ذلك) [٣].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٣٥٥ ــ ٣٥٦ .

(٢) الأنعام ١٥٨ .

(٣) جامع البيان ٨/١٠٣ .

فدلت هاتين الآيتين على أن الكسب يطلق على كل عمل صالح عمل الإنسان سواءً كان عملا دنيوياً أو دينياً أخروياً .

٢ـ إطلاق الكسب على الأعمال السيئة :

جاء إطلاق الكسب على العمل السيئ في القرآن الكريم في مواضع كثيرة أذكر منها ما يلي :

قوله تعالى: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا﴾ (٣).

قوله تعالى: ﴿إن الذين يكسبون الإثم سيجزون ما كانوا يقترفون﴾ (٤).

يقول ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ في تأويل هذه الآية: (يقول تعالى ذكره: إن الذين يعملون بما نهاهم الله عنه ويرتكبون معاصي الله ويأتون ما حرم الله ﴿سيجزون﴾ يقول: سيثيبهم الله يوم القيامة بما كانوا في الدنيا يعملون من معاصي) (٥).

---

(١) الروم ٤١ .

(٢) آل عمران ١٥٥ .

(٣) النساء ٨٨ .

(٤) الأنعام ١٢٠ .

(٥) جامع البيان ١٥/٨ .

فنرى في الآيات أن الله أطلق فيها الكسب على المعاصي .

وقوله تعالى: ﴿فأعرض عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاءً بما كانوا يكسبون﴾ [(١)].

وقوله تعالى: ﴿ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليماً حكيماً * ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ [(٢)].

قال ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ: (يعني بذلك ــ جل ثناؤه ــ ومن يأتي ذنباً على عمد منه له ومعرفة به فإنما يجترح وبال ذلك الذنب وضره وخزيه على نفسه دون غيره من سائر الخلق.

وقوله: ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثماً﴾ الآية يعني جل ثناؤه: ومن يعمل خطيئة وهي الذنب، أو إثماً وهو ما لا يحل من المعصية ثم يصف ما أتى من خطئه أو إثمه الذي يعتمده بريئاً مما أضافه إليه ﴿فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ يقول: فقد تحمل بفعله ذلك فرية وكذباً وإثماً عظيماً.. لما أتى من معصيته وذنبه) [(٣)].

والآيات الدالة على إطلاق الكسب على الأعمال السيئة كثيرة جداً

---

(١) التوبة ٩٥ .

(٢) النساء ١١٢ .

(٣) جامع البيان ٥/٢٧٣.

وفيما ذكر كفاية.

٣ـ إطلاق الكسب على الرزق:

دل القرآن الكريم في غير ما آية على أن الكسب يطلق ويراد به ما يكسبه الإنسان من أمور مادية من مال وطعام ونحوه.

قال تعالى: ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليماً﴾ (١).

اختلف المفسرون في معنى الكسب هنا على قولين:

الأول: أن المراد به كسب الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية. وبه قال قتادة(٢).

الثاني: أن المراد به الكسب من الميراث، والاكتساب على هذا القول بمعنى الإصابة وبه قال ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ (٣).

وقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض. . .﴾ (٤).

---

(١) النساء ٣٢.

(٢) انظر جامع البيان ٤٨/٥، والجامع لأحكام القرآن ٥/ ١٦٤، وتفسير القرآن العظيم ٢/٢٥١-٢٥٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) البقرة ٢٦٧.

قال ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ ﴿من طيبات ما كسبتم﴾ يعني بذلك جل ثناؤه زكوا من طيبات ما كسبتم بتصرفكم إما بتجارة وإما بصناعة من الذهب والفضة، ويعني بالطيبات الجياد. يقول زكوا أموالكم التي اكتسبتموها حلالاً)[١].

وقال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ: (يأمر تعالى بالإنفاق ــ والمراد به الصدقة هاهنا قاله ابن عباس ــ من طيبات ما رزقهم من الأموال التي اكتسبتموها. قال مجاهد يعني التجارة...)[٢].

فدل هذا على أن الكسب يطلق ويراد به ما اكتسبه الإنسان من مال، والرزق كما هو معلوم داخل تحت الكسب، فكل رزق فهو كسب.

وقد تكفل الله برزق كل حي يدب على الأرض، فيعلم رزقه في مستقبله وما ستكسبه في غدها ويعلم مستقرها ومستودعها لا يخفى عليه شيء من ذلك. قال تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾[٣].

---

(١) جامع البيان ٣/٨٠، وانظر الجامع لأحكام القرآن ٣/٣٢٠، وتفسير الشوكاني ١/٢٨٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم ١/٤٧٣.

(٣) هود ٦.

قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ : (يعني وما تدب دابة في الأرض والدابة الفاعلة من دب يدب ـــ ﴿إلا على الله رزقها﴾ إلا ومن الله رزقها الذي يصل إليها هو به متكفّل، وذلك قوتها وغذائها وما به عيشها) [١].

وقال ابن كثير ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (أخبر تعالى أنه متكفل بأرزاق المخلوقات من سائر دواب الأرض، صغيرها وكبيرها، بحريِّها، وإنه يعلم مستقرها ومستودعها) [٢].

وقوله تعالى: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم﴾ [٣].

قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ في تأويلها: (يقول تعالى ذكره وكأين من دابة ذات حاجة إلى غذاء ومطعم ومشرب ﴿لا تحمل رزقها﴾ يعني: غذاءها لا تحمله فترعه في يومها إلى غدها لعجزها عن ذلك. ﴿الله يرزقها وإياكم﴾ يوماً بيوم ﴿وهو السميع العليم﴾ لأقوالكم نخشى بفراقنا أوطاننا العلية) [٤].

ومن كل ما تقدم يتبين أن الكسب عام يطلق على كل عمل يعمله الإنسان سواء كان معنويا كالأعمال الصالحة أو السيئة، أو حسياً كالرزق

---

(١) جامع البيان ١/١٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/٢٣٩.

(٣) العنكبوت ٦٠.

(٤) جامع البيان ١١/٢١.

من مال أو طعام أو شراب ونحو ذلك. فلا يختص بشيء دون شيء بل يشملها جميعاً.

اختصاص الله جل وعلا بعلم ما تكسب كل نفس في المستقبل دون من سواه:

لقد ورد في الكتاب والسنة ما يدل على أن الله جل وعلا اختص بعلم كل شيء فله العلم المطلق الذي لا يحجبه شيء، ومن هذا العلم؛ علم ما في المستقبل؛ لأنه ــ سبحانه ــ خلق الخلق وقدر كل شيء وكتبه في اللوح المحفوظ عنده.

فعلم كل شيء ﴿عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾ [١] وجاءت الأدلة تبين أن علم المستقبل من كسب ونحوه من علم الغيب المطلق الذي لا يعلمه أحد سوى الله ــ سبحانه وتعالى ــ فلا يعلم ذلك نبي مرسل ولا ملك مقرب، إلا ما أكرم الله به بعض أنبيائه وأطلعهم عليه [٢]. فهذا فيه خصوصية لذلك الشخص الموحى إليه به، أما غير ذلك فلا.

وقد أثبت ــ سبحانه وتعالى ــ في كتابه أن الرزق له وحده، ونفاه عمن سواه، وضرب الأمثال على ذلك. فدل ذلك دلالة واضحة على

---

(١) طه ٥٢.

(٢) وسيأتي مزيد بيان لهذا في الباب الثالث إن شاء الله تعالى.

علم الرب وحده ـ سبحانه وتعالى ـ بما ستكسب كل نفس في غدٍ، واختصاصه دون من سواه.

ومما يدل على ذلك أيضا دلالة صريحة من الآيات ما يلي:

قوله تعالى: ﴿يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار﴾ (١).

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ في ذلك: (يعلم ربك يا محمد ما يعمل هؤلاء المشركون من قومك، وما يسعون فيه من المكر بك، ويعلم جميع أعمال الخلق كلهم لا يخفى عليه شيء منها..) (٢).

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿يعلم ما تكسب كل نفس﴾ من خير وشر فيجازي عليه(٣).

وقال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : ﴿يعلم ما تكسب كل نفس﴾ أي أنه تعالى عالم بجميع السرائر والضمائر وسيجزي كل عامل بعلمه) (٤).

وقوله تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام

---

(١) الرعد ٤٢.

(٢) جامع البيان ٤٩٩/١٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣٣٥/٩.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣٩٣/٤.

قال: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله. لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله» (١).

وعن سالم بن عبد الله عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مفاتح الغيب خمس: إن الله عنده علم الساعة وينــزل الغيث ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير» (٢).

وعن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ أيضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما تدري نفس متى يجيء المطر» (٣).

وعن عبد الله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ قال قالت أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «قد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل الله شيئا قبل

(١) تقدم تخريجه ص ٧٦.

(٢) تقدم تخريجه انظر ص ٧٦.

(٣) البخاري ح ١٠٣٩.

حله، أو يؤخر شيئاً عن حله...» الحديث(١).

وعن أنس بن مالك ـــ رضي الله ـــ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدِّر له» (٢).

وعن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله تعالى يقول: يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت يدك شغلا ولم أسد فقرك» (٣)

ففي هذا الحديث أرشد الله عباده إلى كمال التوكل عليه فيما يأتي في الغد من أنواع الكسب، وأمرهم بأن لا يحملوا لذلك هماً لأن الله قد تكفل بما سيكسبه كل نفس في يومها وغدها.

وعن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بادروا بالأعمال سبعاً هل تنتظرون إلا فقراً منسياً أو غناً مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً منفداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فشر

---

(١) مسلم (ح ٢٦٦٣).

(٢) مسلم (ح ٢٩٦١) والترمذي (ح ٢٤٦٢)، وابن ماجه (ح ٣٩٩٧).

(٣) والترمذي (ح ٢٤٦٦) وقال حسن غريب، وأحمد ٣٥٨/٢، وقال أحد شاكر ـــ رحمه الله تعالى ـــ في تحقيقه للمسند: إسناده صحيح، انظر: ح (٨٦٨١).

غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر» [١].

وعن أنس بن مالك قال: غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله قد غلا السعر فسعر لنا. قال: «إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق. إنما أرجوا أن ألقى ربي وليس أحد يطلبني مظلمة في دم ولا مال» [٢]

فكون الله ــ عز وجل ــ هو المسعر القابض الباسط الرازق يدل دلالة واضحة على علمه تبارك وتعالى بما يصلح عباده، وعلى علمٍ بما سيحصل عليه كل عبد في يومه وغده من رزق وكسب.

وهذه النصوص قد دلّت على اختصاص الله ــ سبحانه وتعالى ــ بعلم ما في الغد من رزق الإنسان وكسبه الخير أو الشر.. فعلم المستقبل من الغيب المطلق الذي استأثر الله ــ سبحانه وتعالى ــ بعلمه، فلم يطلع عليه إلا من ارتضى من رسول، أما من عدا الرسل فلا يمكن أن يعلموا ذلك بحال من الأحوال.

وأما من ادعى أنه يعلم كم دخله وما سيقبضه من عمله كل شهر، ويزعم أن هذا من علم الكسب، فهو غير صحيح لعدة أمور

---

(١) الترمذي (ح ٢٣٠٦) وقال حسن غريب.

(٢) الحديث رواه أبو داود (حديث ٣٤٥١) الترمذي (ح ١٣١٤) قال حديث حسن صحيح، وابن ماجه (ح ٢٢٠٠)، وأحمد ١٥٦/٣، ٢٨٦، والدارمي ٢٤٩/٢، وقال الحافظ بن حجر إسناده على شرط مسلم، وقد صححه ابن حبان انظر: الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (ح ٤٩١٤)، انظر: التلخيص ١٤/٣.

منها ما يلي:

١ــ أن الكسب ليس مختصاً بما يحصل عليه الإنسان من مال فقط، بل هو عام شامل لكل ما من شأنه أن يسمى كسباً سواء كان ماديا أو معنويا، خيراً كان أو شراً، وليس مختص بذلك المال الذي يحصل عليه الموظف.

٢ــ أن هذا الدخل الشهري للإنسان غير مضمون وصوله إليه، فقد يحصل مانع أو عارض يعرض له فيحول دون وصوله إليه.

٣ــ أن هذه مغالطة ومجادلة بالباطل، وإلا فإنه في قرارة نفس كل إنسان أنه لا يعلم ماذا سيكسب في غده؛ ولا يدري ما سيصير عليه من حال، هل سيبقى على ما هو عليه أم سيعتريه عارض يذهب ما عنده؟ أو العكس.

ولذلك نجد كثيراً من ضعاف الإيمان يجمعون الأموال ويسعون في ادخارها وتنميتها، ثم يبذلون قصارى جهدهم لنيل أعلى الشهادات، زعماً منهم أن هذا تأمينا للمستقبل المعيشي، ويؤخرون أموراً حث عليها الشرع كالزواج مثلا زعماً منهم أنه لا بد من تأمين المستقبل. ولو أنهم توكلوا على الله حق التوكل لرزقهم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وترجع بطاناً.

فمن ادعى أن الإنسان بمقدوره أن يعلم رزقه الذي في ظهر الغيب فهو إما جاهل أو مكابر معاند جاحد. والله تعالى أعلم.

المبحث السادس: علم الموت زمانه ومكانه:

تمهيد: هذا هو المفتاح الخامس من مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله عز وجل.

فالموت نهاية كل إنسان مهما طال عمره ومهما حاول الهرب منه، فإنه ملاقيه لا محالة. لا يعرفه الإنسان ولا يدري متى يأتيه، ولا متى يدخل عليه؛ ولا يمكن له أن يطلع على وقته ومكانه مهما بذل من الأسباب، لأن علمه قد استأثر الله ــ سبحانه وتعالى ــ به، فلا يعلمه إلا هو ــ سبحانه وتعالى ــ أو من أطلعه الله عليه كالملك الذي يؤمر بنفخ الروح وكَتْبِ الأجل والرزق.. وكملك الموت الموكل بقبض الأرواح، وذلك حين يؤمر بقبض روح ذلك العبد. أما من عدا أولئك فلا يمكن أن يطلعوا عليه بحال من الأحوال، بل إن الأنبياء المقربين لا يعلمون وقت موتهم إلا إذا أعلمهم الله به أو جعل لهم علامات يستدلون بها على قربه.

قال تعالى: ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم. .﴾ [١].

وقال تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت. . .﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت﴾ [٣].

---

(١) الجمعة ٦.

(٢) آل عمران ١٨٥ والأنبياء ٣٥.

(٣) آل عمران ٧٨.

تعريفه:

الموت والمَوتَان ضد الحياة «يقال» مات يموت، وقوم موتى وأموات وميِّتون ومَيْتُون.

قال الزجاج: المَيْتُ والمَيِّتُ بالتشديد، إلا أنه يخفف فيقال مَيْتٌ والمعنى واحد، ويستوي فيه المذكر والمؤنث. قال تعالى: ﴿لنحيي به بلدة ميتا﴾ ولم يقل ميتة) [١].

والموت هو : زوال الروح من الجسد فمتى ما خرجت الروح من الجسد فقد وقع الموت على الجسد فبقي بلا روح ينتفع بها.

الأجـــل :

الأجل هو المدة المضروبة للشيء .

قال تعالى: ﴿ولتبلغوا أجلا مسمى﴾ [٢]. وقال: ﴿أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي﴾ [٣].

ويقال لحلول الدين ونحوه [٤] ويقال للمدة المضروبة لحياة الإنسان أجل فيقال: دنا أجله عبارة عن دنو الموت، قال تعالى عن الكفار: ﴿وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾[٥][٦].

---

(١) لسان العرب مادة موت ٢/٩٠.

(٢) غافر ٦٧ .

(٣) القصص ٢٨ .

(٤) لسان العرب مادة موت ١١/١١ .

(٥) أي حد الموت .

(٦) المفردات ١١.

والتأجيل تحديد الأجل وفي التنزيل: ﴿كتاباً مؤجلا﴾.

وأجل الشيء يأجل فهو آجل وأجيل: تأخر. وهو نقيض العاجل، والأجيل المؤجل إلى وقت [١].

ولقد وردت الإشارة إلى الموت والأجل في كتاب الله جل وعلا في مواضع كثيرة وبأساليب متنوعة أذكر بعضاً منها :

أولا : الإحياء والإماتة من اختصاص الله جل وعلا .

قال تعالى: ﴿والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿هو الذي يحيي ويميت فإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ [٣].

وقال تعالى: ﴿إنا نحن نحيي ونميت ونحن الوارثون﴾ [٤].

قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ : (يقول تعالى ذكره ﴿إنا نحن نحيي﴾ من كان ميتاً إذا أردنا ونميت من كان حياً إذا شئنا ﴿ونحن الوارثون﴾ يقول ونحن نرث الأرض ومن عليها بأن نميت جميعهم فلا يبقى حي سوانا إذا جاء ذلك الأجل) [٥].

---

(١) لسان العرب مادة أجل ١١/١١.

(٢) آل عمران ١٥٦ .

(٣) غافر ٦٨ .

(٤) الحجر ٢٣ .

(٥) جامع البيان ٢٣/١٤ .

وقال ابن كثير ـــ رحمه الله تعالى ـــ : (قوله: ﴿إنا نحن نحيي ونميت﴾ إخبار عن قدرة الله تعالى على بدء الخلق وإعادته وأنه هو الذي أحيا الخلق من العدم ثم يميتهم ثم يبعثهم ليوم الجمع)[١].

وهذه قضية مسلمة لا تحتاج إلى إطالة في ذكر الأدلة عليها، وإنما سقتها لتكون مقدمة للنتيجة التي هي: أنه إذا كان الله هو المختص بالإحياء والإماتة زمانها ومكانها، فإن آجال العباد وأوقاتها وأمكنتها من اختصاصه من باب أولى، لأنه الخالق المحيي المميت، ومن كانت هذه صفته فلا يخفى عليه لازم حياة المخلوق وهو الموت .

ثانياً : ضرب الأمثال لقدرة الله عز وجل على الإحياء والإماتة وسهولتها عليه :

قال الله تعالى: ﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج * ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/٤٤٩ .

(٢) الحج ٥، ٦ .

(٣) يس ٨١، ٨٢ .

يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنَّه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً، فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ [(١)].

قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (معنى ذلك فيما ذكر لنا: أن قائله لما مر ببيت المقدس أو بالموضع الذي ذكره الله، مر به خراباً بعدما عهده عامراً قال: أنى يحيي هذه الله بعد خرابها فيعمرها فأراه الله كيفية إحياء ذلك بما ضربه له في نفسه وفيما كان في أدواته وفي طعامه ثم عرفه قدرته على ذلك وعلى غيره بإظهاره على إحيائه ما كان عجباً عنده في قدرة إحياؤه رأي عينيه حتى أبصره ببصره، فلما رأى ذلك قال: ﴿أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ [(٢)].

وقال تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم ربي أرني كيف تحيي الموتى قال: أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم﴾ [(٣)].

قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (يقول تعالى ذكره: ﴿وإذ قال

---

(١) البقرة ٢٥٩ .

(٢) جامع البيان ٤٤٦/٥ وما بعدها .

(٣) البقرة ٢٦٠ .

إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى . . ﴾ الآية: أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يجعل الأطيار الأربعة أجزاء متفرقة على كل جبل ليري إبراهيم قدرته على جمع الأجزاء وهن متفرقات متبددات في أماكن مختلفة شتى، ثم أمره أن يقول لأجزائهن بعد تفرقهن على كل جبل تعالين بإذن الله، فعدن كهيئتهن قبل تقطيعهن وتمزيقهن وتفريقهن على الجبال أطياراً أحياء يطرن، فيطمئن قلب إبراهيم عليه السلام؛ ويَعْلَم أنْ كذلك جمع الله أوصال الموتى لبعث القيامة وتأليفه أجزاءهم بعد البلى ورد كل عضو من أعضائهن إلى موضعه كالذي كان قبل الرد [١]. ﴿واعلم أن الله عزيز حكيم﴾ في بطشه إذا بطش بمن بطش من الجبابرة والمتكبرة) [٢].

فتبين مما سبق أنه إذا كان إحياء الموتى وكذلك إعادة الخلق بعد فنائهم من اختصاص الله وحده دون من سواه فمن باب أولى أن يكون علم وقت موتهم ومكانته من اختصاصه وحده دون من سواه. هذا ما دلت عليه الآيات السابقة.

---

(١) وإبراهيم عليه السلام حينما طلب من الله أن يريه كيفية إحياء الموتى لم يكن طلب ذلك ليؤمن؛ ولكن ليزداد إيمانا مع إيمانه. فهو مؤمن بأن الله ــ سبحانه وتعالى ــ يحيى الموتى قبل طلبه من الله أن يريه ذلك؛ بدليل قوله حينما سأله الله ــ سبحانه وتعالى ــ بقوله: ﴿أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾. ومثله موسى ــ عليه السلام ــ حينما قال: ﴿رب أرني أنظر إليك قال لن تراني﴾ فطلبه لم يكن طلب من يريد البرهان حتى يؤمن، بل كان طلبه ليزداد إيمانا ويقينا وتعظيماً لله ــ سبحانه وتعالى.

(٢) جامع البيان ٥/١١٠ وما بعدها بتصرف.

ثالثاً: الإخبار بأن الموت نهاية كل مخلوق:

قال تعالى حكاية عن الكفار: ﴿إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾ [١].

وقال تعالى: ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ [٣].

قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (قال الله للذين أهبطهم من سمواته إلى أرضه: ﴿فيها تحيون﴾ يقول في الأرض تحيون فتكونون فيها أيام حياتكم وفيها تكون وفاتكم، ومن الأرض يخرجكم ربكم ويحشركم إليه لبعث القيامة) [٤].

وقال ابن كثير ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (هذه الآية كقوله تعالى: ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ [٥].

يخبر تعالى أنه يجعل الأرض داراً لبني آدم مدة الحياة الدنيا فيها محياهم وفيها مماتهم وقبورهم، ومنها نشورهم ليوم القيامة الذي يجمع الله فيه الأولين والآخرين ويجازي كلا بعمله) [٦].

---

(١) المؤمنون ٣٧.

(٢) مريم ١٥.

(٣) الأعراف ٢٥.

(٤) جامع البيان ١٢/٣٦٠.

(٥) طه ٥٥.

(٦) تفسير القرآن العظيم ٣/٣٩٥.

وقال تعالى: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون * كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾ [١].

قال ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ: (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (وما خلّدنا أحداً من بني آدم يا محمد قبلك في الدنيا فنخلدك فيها، ولا بد لك من أن تموت كما مات من قبلك رسلنا، ﴿أفإن مت فهم الخالدون﴾. يقول فهؤلاء المشركون بربهم هم الخالدون بعدك؟ لا، ما ذلك، بل هم ميتون بكل حال عشت أو مت) [٢].

وقال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ : ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك﴾ أي: يا محمد ﴿الخلد﴾ في الدنيا بل ﴿كل من عليها فان * ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾، ﴿أفإن مت﴾ يا محمد ﴿فهم الخالدون﴾؟ أي يؤملون أن يعيشوا بعدك لا يكون هذا بل كل إلى فناء ولهذا قال: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ [٣].

وقال تعالى: ﴿أينما تكونوا يدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ [٤].

قال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ في معنى الآية: (أي أنتم

---

(١) الأنبياء ٣٤-٣٥

(٢) جامع البيان ٢٤/١٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٣٥/٥.

(٤) النساء ٧٨.

صائرون إلى الموت لا محالة ولا ينجو منه أحد منكم كما قال تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾ وقال: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ وقال: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾ والمقصود أن كل أحد صائر إلى الموت لا محالة، ولا ينجيه من ذلك شيء، وسواء عليه جاهد أم لم يجاهد فإن له أجلا محتوماً وأمداً مقسوماً.. ﴿ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ أي حصينة منيعة عالية رفيعة)[1].

فكل نفس صائرة إلى الموت مهما طال بها العمر كما أخبر ــ سبحانه وتعالى ــ بذلك في قوله: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾.

والآيات في هذا الموضوع كثيرة.

رابعاً: لا يعلم زمان الموت ولا مكانه إلا الله عز وجل:

وقد دل القرآن والسنة على ذلك.

فمن القرآن ما يلي:

قال الله تعالى: ﴿ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفوراً﴾[4].

وقال تعالى: ﴿لكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/٣١٦.

(٢) غافر ٦٧.

(٣) المؤمنون ٤٣. الحجر ٥.

(٤) الإسراء ٩٩.

يستقدمون﴾ [(١)].

فدلت هذه الآيات على أن لكل نفس أجلا معلوماً لا يمكن أن تتقدم عليه أو تتأخر، وهذا الأجل لا يعلمه سوى الله وحده؛ لأنه هو الخالق لتلك الأنفس المحدد لأوقات فنائها، فهو العالم بوقت موتها دون من سواه، ولا يستثنى من ذلك إلا من أطلعه عليه كبعض الملائكة الموكلين بالأجنة والموكلين بالموت.

قال ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ: (يقول تعالى ذكره: لكل قوم ميقات لانقضاء مدتهم وأجلهم فإذا جاء وقت انقضاء أجلهم وفناء أعمارهم لا يستأخرون عنه ساعة فيمهلون ويؤخرون، ولا يستقدمون قبل ذلك؛ لأن الله قضى أن يتقدم ذلك قبل الحين الذي قدره وقضاه) [(٢)].

قال القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ: ﴿لكل أمة أجل﴾ أي لإهلاكهم وعذابهم وقت معلوم في عمله سبحانه ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ أي وقت انقضاء أجلهم ﴿فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ أي لا يمكنهم أن يستأخروا ساعة باقين في الدنيا ولا يتقدمون فيؤخرون) [(٣)].

وقال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ: ﴿لكل أمة أجل﴾ أي لكل قرن مدة من العمر مقدرة فإذا انقضى أجلهم ﴿فلا يستأخرون ساعة ولا

---

(١) يونس ٤٩.

(٢) جامع البيان ١١/١٢١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٨/٣٥٠.

يستقدمون﴾ كما قال تعالى: ﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها﴾ [(١)].

وقال تعالى: ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله...﴾ [(٢)].

قال ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ : (يقول تعالى ذكره للمشركين الذين خاطبهم بهذه الآيات استغفروا ربكم ثم توبوا إليه، فإنكم إذا فعلتم ذلك بسط الله عليكم من الدنيا ورزقكم من زينتها، وأنسأ لكم في آجالكم إلى الوقت الذي قضى فيه عليكم الموت) [(٣)].

وقال تعالى: ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون﴾ [(٤)].

قال ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ: (يقول تعالى ذكره: ويؤخر في آجالكم فلا يهلككم بالعذاب لا بغرق ولا بغيره ﴿إلى أجل مسمى﴾ يقول: إلى حين كتب أنه يبقيكم إليه إن أنتم أطعتموه وعبدتموه في أم الكتاب) [(٥)].

وقال تعالى: ﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٤/٢٠٩.

(٢) هود ٣.

(٣) جامع البيان ١٥/٢٢٩.

(٤) نوح ٤.

(٥) جامع البيان ١٥/٢٢٩.

تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾ (١).

قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ (يقول تعالى ذكره: فلما أمضينا قضاءنا على سليمان بالموت فمات ﴿ما دلهم على موته﴾ يقول: لم يدل الجن على موت سليمان ﴿إلا دابة الأرض﴾ وهي الأرضة وقعت في عصاه التي كان متكئاً عليها فأكلتها. وقوله: ﴿فلما خر تبينت الجن﴾ يقول عز وجل فلما خر سليمان ساقطاً بانكسار منسأته تبينت الجن ﴿أن لو كانوا يعلمون الغيب﴾ الذي يدعون علمه ﴿ما لبثوا في العذاب المهين﴾ المذل حولا كاملا بعد موت سليمان وهم يعلمون أن سليمان حي) (٢).

وقال القرطبي ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (أي فلما حكمنا على سليمان ـــ عليه السلام ـــ بالموت حتى صار كالأمر المفروغ منه ووقع به الموت ﴿ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته﴾ وذلك أنه كان متكئاً على المنسأة.. فمات كذلك وبقي خافي الحال إلى أن سقط ميتاً لانكسار العصا لأكل الأرضة إياها فعلم موته بذلك...) (٣)

وقال ابن كثير ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (يذكر تعالى كيفية موت

---

(١) جامع البيان ٢٩/٩٠.

(٢) جامع البيان ٢٢/٧٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٤/٢٧٨.

سليمان عليه السلام وكيف عمى الله موته على الجان المسخرين له في الأعمال الشاقة، فإنه مكث متوكئاً على عصاه .. مدة طويلة نحو سنة، فلما أكلتها الأرضة ضعفت وسقط إلى الأرض، وعلم أنه مات قبل ذلك بمدة طويلة تبينت الجن والإنس أيضا أن الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك) [(١)].

وقال تعالى: ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ [(٢)].

قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (يقول الله تعالى ذكره: وما تعلم نفس حي بأي أرض تكون ميتتها ﴿إن الله عليم خبير﴾ يقول: إن الذي يعلم ذلك كله هو الله دون أحد سواه إنه ذو علم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء، خبير بما هو كائن وبما قد كان) [(٣)]

وقال ابن كثير ـــ رحمه الله تعالى ـــ: ﴿وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ في بلدها أو غيره من أي بلاد الله كان، لا علم لأحد بذلك) [(٤)].

فهذه الآيات تدل دلالة ظاهرة على أن الله جل وعلا يعلم وقت موت كل مخلوق، وأنه لا يمكن لأحد من المخلوقات أن يعرف وقت أجل

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٦/٤٨٩.

(٢) لقمان ٣٤.

(٣) جامع البيان ١١/٨٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٦/٣٥٥.

المخلوقات، وأن هذا من العلم الذي اختص الله جل وعلا به دون من سواه.

قال ابن تيمية ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (أما أجل الموت فهذا تعرفه الملائكة الذين يكتبون رزق العبد وماله وعمله وشقي أو سعيد كما قال في الصحيحين عن ابن مسعود ـــ رضي الله عنه ـــ قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات. فيقال: اكتب رزقه، وعلمه، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح) [(١)].

فهذا الأجل الذي هو أجل الموت قد يعلمه الله لمن شاء من عباده.. والله سبحانه عالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، فهو يعلم ما كتب للعبد من العمر.. والملائكة لا علم لهم إلا ما علمهم الله، والله يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها...) [(٢)].

فإذا كان هذا حال الملائكة ـــ عليهم السلام ـــ لا يعلمون آجال العباد إلا بعد أن يعلمهم الله ويخبرهم بها، فكيف حال غيرهم فإنهم من باب أولى أن لا يعلموا أعمارهم وآجالهم؛ لأن ذلك باق في علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه إلا بعض خلقه من الملائكة، بل إن

---

(١) تقدم تخريجه انظر ص ٤٠.

(٢) الفتاوى ١٤/٤٨٩-٤٩١.

الملك الموكل بالجنين لا يعلم عمره وأجله حتى يسأل الله عن ذلك كما في حديث أنس المتقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله ــ عز وجل ــ وكل بالرحم ملكاً يقول: يا رب نطفة، يا رب علقة، يا رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقه قال: أذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ فما الرزق فما الأجل؟ فيكتب في بطن أمه) [(١)].

ومما يدل على ذلك من السنة ما يلي:

ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غدٍ إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله» [(٢)].

وعن ابن عمر ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مفاتيح الغيب خمس إن الله عنده علم الساعة وينــزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير» [(٣)].

وعن حذيفة بن أسيد ــ رضي الله عنه ــ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقرُّ في الرحم بأربعين أو

---

(١) تقدم تخريجه انظر ص ٩٦.

(٢) تقدم تخريجه انظر ٧٦.

(٣) رواه البخاري ح(٦٧٢٧).

خمسة وأربعين ليلة فيقول يا رب أشقي أم سعيد فيكتبان فيقول أي رب ذكر أو أنثى؟ فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ثم تطوى الصحف فلا يزاد فيها ولا ينقص» (١).

وعن مطر بن عكامس(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قضى الله مية عبد بأرض جعل له إليها حاجة» (٣).

وفي رواية للترمذي عن ابن عزة(٤) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة أو قال بها حاجته» (٥).

فتبين من هذه الأدلة أن علم وقت موت الإنسان ومكانه عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يعلمه أحد إلا بعد وقوعه، أما قبل ذلك فلا يعلمه إلا الله؛ أو من أعلمه به من ملائكته الموكلين بقبض الأرواح أو النفخ فيها وكتابة رزقها وأجلها كما تقدم والله تعالى أعلم.

---

(١) رواه مسلم (ح ٢٦٤٤).

(٢) اسمه: مطر بن عكامس السلمي، يُعَدُّ في الكوفيين. قال ابن حبان له صحبة، وقال الطبراني: اختلف في صحبته، ولا يعرف له غير هذا الحديث. الإصابة ١٢٩/٦.

(٣) رواه أحمد ٢٢٧/٥، والترمذي (ح٢١٤٦) وقال حديث حسن غريب؛ ولا يعرف لمطر بن عكامس عن النبي صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث.

(٤) اسمه يسار بن عبد بن عامر بن نعيم بن ملاحق بن لحيان بن هذيل أبو عزة الهذلي مشهور بكنيته، سكن البصرة. الإصابة ٦٨٠/٦.

(٥) رواه الترمذي (٢١٤٧) وقال: هذا حديث صحيح.

الفصل الثاني: الغيب النسبي

وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأول: في بيان الغيب النسبي

المبحث الثاني: الفراسة وعلم الغيب

المبحث الثالث: الإلهام والتحديث

المبحث الرابع: الرؤى المنامية.

المبحث الأول: في بيان الغيب النسبي

هذا هو القسم الثاني من أقسام الغيب، وهو ما غاب عن بعض المخلوقين دون بعض، أو غاب عنهم في حال دون حال؛ بحيث يمكن التعرف عليه في الدنيا إما مطلقاً أو بعد توفر الأسباب المؤدية إلى معرفته.

وهذا الغيب لا يختص علمه بأحد معين، أو طبقة خاصة، بل قد يحصل للعالم والجاهل أو لأحدهما، كما أنه قد يحصل للولي وغير الولي، وللمسلم والكافر وغيرهم.

وعلم الخلق بهذا الغيب يكون نسبيا وجزئياً. أما علم الله ــ سبحانه وتعالى به فهو من كل وجه.

فالذي يعلمه الملائكة من أمر عالمهم وغيره لا يعلمه البشر مثلا، وأما يعلمه بعض البشر بتمكنهم من أسبابه ومعرفتهم لها ولا يعلمه غيرهم لجهلهم بتلك الأسباب أو عجزهم عن استعمالها، فهو من الغيب النسبي.

وأما ما الإحاطة بالمعلومات كلياتها وجزئياتها ما كان منها وما لم يكن، فهذا لله وحده لا شريك له، فلا يضاف إلى غيره من الخلق. فمن ادعى شيئاً من ذلك لغير الله تعالى فقد أعظم على الله الفرية [1].

---

(١) كما سيأتي عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قولها: (من زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبر بما في غدٍ فقد أعظم على الله الفرية والله يقول: ﴿لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾. فكيف بمن زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم بما في الكون وأنه لا يخفى عليه شيء، انظر ص ١٧٨.

وهذا القسم من الغيب على عدة أضرب:

الأول: غيب يمكن التعرف عليه مطلقاً مثل: ما يغيب عن بعض الخلق ويعرفه غيرهم بالمشاهدة أو الحس أو بالحس أو بالأخبار المتواترة، كالعلم بالأقطار النائية والعلم بالأجهزة الداخلية للإنسان ونحو ذلك مما يمكن التعرف عليه.

فهذا الضرب يعتبر غيباً نسبياً لمن غاب عنه، وعلم شهادة لمن شاهده ورآه أو علمه. فهو قبل معرفته يعتبر غيباً نسبياً، وبعد معرفته يعتبر من عالم الشهادة والحس لا من عالم الغيب، لأنه في الأصل يغيب عن بعض الخلق دون بعضهم الآخر.

الثاني: غيب لا يمكن التعرف عليه إلا بعد توافر بعض الشروط. فمن توفرت له تلك الشروط والاستعدادات علمه، ومن لم تتوافر له فلا يعلمه. وذلك مثل أماكن تجمع المياه في باطن الأرض، ومناجم المعادن وأماكن وجودها في باطن الأرض فلا يمكن التعرف عليها إلا عن طريق المعرفة الناتجة عن دراسة وتجربة، أو بتوفر الأسباب الدالة على ذلك؛ مثل الآلات الحديثة ونحوها مما يمكن بواسطتها التوصل إلى معرفة تلك الأمور.

وكذلك معرفة الجنين بعد اكتمال خلقه في بطن أمه هل هو ذكراً أو أنثى؟ وذلك بواسطة الأشعة التلفزيونية ونحوها.

وكذلك معرفة ما سيقع في الأعوام المقبلة من الكسوف والخسوف

وتحديده بناءً على دراسات الأجرام السماوية من الكوكب والنجوم التي جعلها الله ــ سبحانه وتعالى ــ من الأسباب الكونية التي يُعْرفُ بها الحساب. قال تعالى: ﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾ [(١)].

الثالث: غيب يتناوله العلم البدهي؛ مثل معرفة عقل الرجل بمنطقه وحياة الجنين ووجوده بحركته، وبالخلق على الخالق، ونحوك ذلك.

الرابع: غيب لا يمكن التعرف عليه في الدينا إلا على وجه مجمل كالنعيم الذي أعده الله لعباده المتقين في الجنة، فإنه ليس في الدنيا منه إلا الأسماء[(٢)].

أما الحقيقة فهي مختلفة تماماً، والإخبار عن الأمر الغائب لا يفهم إن لم يُعَبَّر عنه بالأسماء المعلومة معانيها في الأمور المشاهدة. فيعرف ما في الغائب بواسطة العلم بما في الشاهد.

وقد أخبر الله ــ سبحانه وتعالى ــ عمَّا أعده في الجنة لعباده المتقين بقوله ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعلمون﴾ [(٣)].

فجعل ذلك غيباً عنهم مع أنه أخبر ببعض أوصافه، فأخبر بأن فيها لبناً وعسلا وماءً ورماناً وعنباً وغيرها مما ينطبق اسمه على ما في الدنيا فقط.

---

(١) الإسراء ١٢.

(٢) ويشهد لذلك الأثر المروي عن ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ : (ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء)، الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير للسيوطي ٦٢/٣، وصححه الألباني في صحيح الجامع (ح ٥٤١٠).

(٣) السجدة ١٧.

أما الحقيقة فهي تختلف تماماً لأنه ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء.

وقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. فاقرؤا إن شئتم ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾»[1].

فما لا يخطر بالقلوب إذا عُرِّفَت به لم تعرفه؛ إلا إذا كان له نظير وإلا لم يمكن التعريف به على وجهه)[2].

الخامس: غيب لا يمكن التعرف عليه بحال من الأحوال في الحياة الدنيا؛ كالحياة البرزخية فإنها تختلف عن طبيعة الحياة في الدنيا، فالحياة البرزخية غيب عنا ولا نستطيع أن نتعرف عليه في الدنيا بحال من الأحوال، ولكن نؤمن بوجوده لورود الخبر الصادق عن المصطفى صلى الله عليه وسلم بذلك، مع أن هناك من الخلق من يعرف ذلك، فمن مات فإنه يمر بتلك المرحلة من الحياة ويعرفها فتكون له حقيقة مشاهدة. وكذلك من أطلعه الله عليها من الملائكة والرسل ــ عليه السلام ــ أو من البهائم. أما نحن فحقيقتها غيب بالنسبة لنا[3] والله أعلم.

---

(١) البخاري ح(٣٢٤٤)، ومسلم ح(٢٨٢٤).

(٢) انظر درء تعارض العقل والنقل ٥/٧٣.

(٣) راجع درء تعارض العقل والنقل ٥/٧٣، وتفسير المنار ٧/٣٥٣.

السادس: الغيب الزماني: أي المتعلق بزمن معين وهو ثلاثة أقسام:

١ـــ الغيب الماضي المتعلق بالأخبار والأحداث التي وقعت في زمن مضي وانتهى كأخبار الأمم السابقة التي قَصَّها الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ علينا في كتابة العزيز وغيرها.

وعلم الناس بالنسبة لغيب الماضي أمر نسبي فما يجهله بعض الناس يعرفه البعض الآخر، فقصة يوسف وزكريا ـــ عليها السلام ـــ وغيرها سماها الله غيباً بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم ولنا، ولكنها ليست غيباً بالنسبة لمن حضرها.

وهذا النوع يمكن معرفته بالسماع والقراءة ونحو ذلك.

٢ـــ الغيب الحاضر كالأحداث التي تَحْدُث في أقطار الدنيا. فإنها غيب عمن هو بعيد عنها وليست كذلك لمن وقعت عنده. ومثلها تسجيل الملائكة لأعمال العباد. فهذا كله من الغيب النسبي.

٣ـــ الغيب المستقبل: فمنه ما لا يعلمه إلا الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ كوقت الساعة وبقية الأمور الخمسة، ومنه ما أعلمه الله لرسله مما سيقع وأما ما يخبر به بعض البشر فهو مبني على توقعات أو تحليلات فقد تقع وقد لا تقع. والله تعالى أعلم.

السابع: الغيب المكاني وهو قسمان:

١ـــ ما يتعلق بالأمكنة كمعرفة الإنسان لمكان موته ومكان دفته فهذا غيب لا يعلمه إلا الله كما تقدم بيانه.

٢ـــ ما يتعلق بمعرفة مكان الضالة ونحوها. فهذا من الغيب النسبي

يغيب عن بعض العباد ولا يغيب عن بعضهم الآخر.

ومثله ما يتعلق بمعرفة ما في باطن الأرض من المعادن والماء ونحوها، فهذا من الغيب النسبي الذي يعرفه المختصون بذلك دون غيرهم، فيعرفه أهل الخبرة بواسطة آلاتهم، وأهل التجربة بواسطة خبرتهم التي قامت على السبر والتحري ونحو ذلك.

المبحث الثاني: الفراســـة

تعريفها:

(الفراسة بكسر الفاء: النظر والتثبت والتأمل للشيء والبصر به يقال: إنه لفارس بهذا الأمر إذا كان عالماً به. وفي الحديث: (اتقوا فراسة المؤمن) [١].

قال الزبيدي: (الفراسة بالكسر من التفرس وهو التوسم، يقال تفرس فيه الشيء إذا توسمه. وقال ابن القطاع: الفراسة بالعين إدراك الباطن وبه فُسِّر الحديث) [٢] السابق.

قال تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ [٣].

فالمتوسمون هنا هم المتفرسون المعتبرون العارفون المتعظون بغيرهم، فأخبر تعالى بأن في إهلاك قوم لوط موعظة وآية للمتفرسين المتعظين.

قال الراغب: (الوسم هو التأثير والسمة الأثر، يقال: وسمت الشيء وسماً إذا أثرت فيه بسمة؛ قال تعالى: ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾[٤]. قال: ﴿تعرفهم بسيماهم﴾، وقال: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ أي: المعتبرين العارفين المتعظين، وهذا التوسم هو الذي سماه

---

(١) لسان العرب مادة (فرس) ٦/١٦٠، وسيأتي تخريج الحديث انظر (ص١٥٣).

(٢) تاج العروس مادة (فرس) ١٦/٣٢٨.

(٣) الحجر (٧٥).

(٤) الفتح (٢٩).

قوم الزَّكَانَةُ وقوم الفراسة، وقوم الفطنة. قال تعالى: ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ [(١)]. أي نعلمه بعلامة يعرف بها كقوله تعالى: ﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾ [(٢)] [(٣)].

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ في معنى قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾: (يقول تعالى ذكره: إن الذي فعلناه بقوم لوط من إهلاكهم وما أحللنا بهم من العذاب لعلامات ودلالات للمتفرسين المعتبرين بعلامات الله وعِبَرِهِ على عواقب أمور معاصيه والكفر به...) [(٤)]

فالمتوسمون في هذه الآيات: هم المتفكرون المتفرسون الذين يبسطون نظرهم حتى يعرفوا الأشياء بعلامات واستدلالات يستدل بها المتفرس على الحقائق بالأمارات التي تسبق الحكم.

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: (قال تعالى لما ذكر قصة قوم لوط: ﴿فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل* إن في ذلك لآيات للمتوسمين* وإنها لبسبيل مقيم﴾ [(٥)] والمتوسم: المستدل بالسمة والسيما وهي العلامة، قال تعالى: ﴿ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم

---

(١) سورة القلم (١٦).

(٢) المطففين ٢٤.

(٣) المفردات ٥٢٤.

(٤) جامع البيان ١٤/٤٥.

(٥) الحجر ٧٤-٧٦.

ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم﴾ [١].

فمعرفة المنافقين في لحن القول ثابتة مقسم عليها؛ لكن هذا يكون إذا تكلموا، وأما معرفتهم بالسيما فموقوف على مشيئة الله؛ فإن ذلك أخفى، وفي الحديث الذي رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري ــ رضي الله عنه ــ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» ثم قرأ قول تعالى ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ [٢]...)[٣].

وأوضح ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ كلام ابن تيمية هذا بقوله في معنى قوله تعالى: ﴿ ولتعرفنهم في لحن القول﴾: أقسم سبحانه على معرفتهم من لحن خطابهم فإن معرفة المتكلم وما في ضميره من كلامه أقرب من معرفته بسيماه وما في وجهه، فإن دلالة الكلام على قصد قائله وضميره أظهر من السيما المرئية. والفراسة تتعلق بالنوعين؛ بالنظر والسماع...) [٤].

---

(١) محمد ٣٠.

(٢) رواه الترمذي (ح ٣١٢٧). وقال حديث غريب إنما نعرفه من هذا الوجه. وقال البيهقي رواه الطبراني بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح، إن كان محمد بن كثير هو العبدي وإن كان هو الثقفي فقد وثق على ضعف كثير فيه. مجمع الزوائد ٢٧١/١٠.

(٣) مجموع الفتاوى ١١٨/١٧.

(٤) مدارج السالكين ٥٠٤/٣.

ومما يدل على الفراسة من القرآن الكريم ما يلي:

قوله تعالى عن العزيز: ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لأمرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً . . . . ﴾ [(١)].

قال أبو السعود: ﴿عسى أن ينفعنا﴾ في ضياعنا وأموالنا ونستظهر به في مصالحنا ﴿أو نتخذه ولداً﴾ أي فنتبناه، وكان ذلك لما تفرس فيه من مخايل النجابة والرشد....) [(٢)].

وقال الشوكاني: ﴿عسى أن ينفعنا﴾ أي يكفينا المهمات مما نحتاج إلى مثله فيه ﴿أو نتخذه ولداً﴾ نتبناه فنجعله ولداً لنا، وقد كان تفرس فيه أن ينوب عنه فيما آل إليه من أمر المملكة) [(٣)].

وقال تعالى على لسان ابنة شعيب: ﴿قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ [(٤)].

فهذه المرأة تفرست في موسى ــ عليه السلام ــ وتوسمت فيه الخير والقوة والأمانة وعلى هذا طلبت من أبيها أن يستأجره لرعي الغنم.

قال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ قال عمر وابن عباس وشريح

---

(١) يوسف ٢١.

(٢) تفسير أبو السعود ٢٦٢/٤.

(٣) فتح القدير ١٣/٣.

(٤) القصص ٢٦.

القاضي وقتادة ومحمد بن إسحاق وغير واحد: لما قالت: ﴿إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ قال لها أبوها: وما علمك بذلك؟ قالت: لأنه رفع الصخرة التي لا يطيق حملها إلا عشرة رجال، وأنه لما جئت معه تقدمت أمامه فقال لي كوني من ورائي فإذا اجتنبت الطريق فأحذفي بحصاة أعلم بها كيف الطريق لأهتدي إليه) [١].

وقال تعالى على لسان امرأة فرعون ﴿وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً. . .﴾ [٢].

فكان قرة عين لها حيث هداها الله بسببه وأسكنها الجنة بفضل دعوته، وأهلك فرعون على يديه[٣].

وفي الأثر عن ابن مسعود: (قال أفرس الناس ثلاثة: أبو بكر حين تفرس في عمر، وصاحب يوسف حين قال: ﴿أكرمي مثواه﴾، وصاحبة موسى حين قالت: ﴿يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ [٤].

ومما يدل على الفراسة من السنة ما يأتي:

ما رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري ــ رضي الله عنه ــ أن

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٦/٢٣٩.

(٢) القصص ٩.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ٦/٢٣٢-٢٣٣.

(٤) رواه ابن جرير في تفسيره ١٦/٢١، رقم الأثر (١٨٩٥).

النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» ثم قرأ ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ (١).

وأيضا ما رواه الطبراني في الأوسط عن أنس مرفوعاً قال: «إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم» (٢)

أنواع الفراسة:

الفراسة على نوعين:

النوع الأول: الفراسة الطبيعية المكتسبة التي تحصل من الدلالات والتجارب.

النوع الثاني: الفراسة الناتجة عن بعض ما يوقعه الله في قلوب عباده، وما يحصل بالكرامات وغيرها.

وإليك أخي القارئ الكريم بيانها بالتفصيل:

النوع الأول: هي الفراسة التي تحصل عن الدلالات والتجارب ومعرفة أخلاق الناس وصفاتهم الخُلُقِيَة فيستدل بها المتفرس على أحوال الناس، كما أنها تحصل أيضاً بالاستدلال والتجربة، وبالنظر إلى الصفات الخَلقية التي تنبئ عما يريد الرجل معرفته من الآخر عن طريق التفرس في كلامه، وما يظهر من ملامحه الخَلقِية.

---

(١) رواه الترمذي وقد تقدم تخريجه انظر ص ١٥٣.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (ح ٣٠٨٦) وقال الألباني: إسناده حسن السلسلة الصحيحة ٤/٢٦٧.

وقد اشتهر هذا النوع من الفراسة بين الناس على تفاوت بينهم؛ على قدر ذكائهم وفطنتهم وخبراهم وتجاربهم، كما اشتهر عن كثير من القضاة معرفة الحق والقيام برده إلى صاحبه عن طريق الفراسة بالخبرة الناتجة عن طول التجربة.

والأمثلة على هذا النوع كثيرة جداً أذكر منها ما يلي:

ما رواه البخاري عن ابن عمر قال: «ما سمعت عمر قط يقول إني لا أظنه كذا إلا كان كما يظن. بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل فقال عمر: لقد أخطأ ظني؛ أو إن هذا على دينه في الجاهلية؛ أو لقد كان كاهنهم، علي بالرجل فدعي له، فقال له ذلك فقال: ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم، قال: فإني أعزم عليك إلا أخبرتني، قال: كنت كاهنهم في الجاهلية...» (١).

وفي رواية عن البيهقي عن ابن عمر أن عمر ــ رضي الله عنه ــ قال: «..لقد كنت ذا فراسة وليس لي الآن رأي إن لم يكن هذا الرجل ينظر في الكهانة» (٢).

قال ابن حجر: (..إن عمر ظن شيئاً متردداً بين شيئين أحدهما: يتردد بين شيئين، كأنه قال: هذا الظن إما خطأ وإما صواب. فإن كان

---

(١) رواه البخاري (٣٨٦٦)

(٢) ذكرها ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح ١٧٩/٧، وعزاها للبيهقي؛ ولم أجدها في السنن الكبرى، ولا في الشعب، وفي الدلائل بسياق آخر ٢٥٢/٢.

صواباً فهذا الآن إما باق على كفره وإما كان كاهناً، وقد أظهر الحال القسم الأخير، وكأنه ظهرت له من صفة مشيه أو غير ذلك قرينة أثرت له ذلك الظن. فالله تعالى أعلم)[١].

ومن ذلك ما حكاه الله ــ سبحانه وتعالى ــ في قصة امرأة العزيز مع يوسف حين راودته عن نفسه فأبى وولى هارباً فأدركته عند الباب وأمسكت بقميصه من الخلف فقَدَّتْه، فلما رأت زوجها قالت: ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم* قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين* وإن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين* فلما رأى قميصه قدّ من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾[٢].

فاستدل بقدّ القميص من الدبر على صدقه وكذبها.

ومما يدل على الفراسة ما رواه البخاري وغيره عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت لصاحبتها إنما ذهب بابنك. وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكما إلى داود فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرتاه فقال: آتوني بالسكين أشقُّه بينهما. فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله، هو ابنها، فقضى به

(١) فتح الباري ١٧٩/٧.

(٢) يوسف ٢٥-٢٨.

للصغرى» قال أبو هريرة: «والله إن سمعت بالسكين إلا يومئذ، وما كنا نقول إلا المُديَةُ» [١].

فاستطاع سليمان ــ عليه السلام ــ بذكائه وفراسته وفطنته أن يعرف أم الولد ثم حكم به لها.

واشتهر عن إياس بن معاوية[٢] كثرة فراسته، فمن ذلك ما رواه نعيم بن حماد[٣] عن إبراهيم بن مرزوق البصري[٤]: قال: كنا عند إياس بن معاوية إذ جاء رجل فجلس على مكان مرتفع بالمربد فجعل يترصد الطريق. فبينما هو كذلك إذ نزل فاستقبل رجل ونظر في وجهه ثم رجع إلى موضعه. فقال إياس: قولوا في هذا الرجل. قالوا ما نقول؟ رجل طالب حاجة. فقال: هو معلم صبيان قد أبق له غلام أعور! فقام إليه بعضنا

---

(١) رواه البخاري (٣٤٢٧) ورواه مسلم (ح١٧٢٠)، وأحمد ٣٢٢/٢-٣٤٠.

(٢) إياس بن معاوية بن أبي واثلة، قاضي البصرة، كان يضرب به المثل في الذكاء والدهاء، والسؤددة والعقل، توفي في سنة ١٢١هـ السير ١٥٥/٥.

(٣) اسمه نعيم بن حماد بن الحارث الخزاعي أبو عبد الله المروزي، نزيل مصر، صدوق يخطئ كثيراً، فقيه عارف بالفرائض، مات سنة ١٢٨ على الصحيح. التقريب ٥٦٤. روى عنه البخاري مقرونا بغيره، والدارمي وأبو حاتم وغيرهم، قال عنه أحمد ركن من أركان سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وقال يحيى بن معين صدوق. كان شديد الرد على الجهمية لأنه كان جهمياً ثم رجع بعد أن عرف مذهبهم. انظر طبقات علماء الحديث ٦٥/٢.

(٤) هو إبراهيم بن مرزوق بن دينار الأموي البصري، نزيل مصر، ثقة عمي قبل موته فكان يخطئ ولا يرجع. التقريب ٩٤.

فسأله عن حاجته؟ فقال هو غلام لي آبق. قالوا: وما صفته؟ قال: كذا وكذا، وإحدى عينيه ذاهبة. قلنا: وما صنعتك؟ قال أعلم صبيان. قلنا لإياس: كيف علمت ذلك؟ قال: رأيته جاء فجعل يطلب موضعاً يجلس فيه فنظر إلى أرفع شيء يقدر عليه فجلس عليه، فنظرت في قدره فإذا ليس قدره قدر الملوك، فنظرت فيمن اعتاد في جلوسه جلوس الملوك فلم أجدهم إلا المعلمين فعلمت أنه معلم صبيان. قلنا: كيف علمت أنه أبق له غلام؟ قال: رأيته يترصد الطريق ينظر في وجوه الناس. قلنا: كيف عرفت أنه أعور؟ قال: بينما هو كذلك إذ نزل فاستقبل رجلا قد ذهبت إحدى عينيه فعلمت أنه شبهه بغلامه[١].

وتقدم إلى إياس أربع نسوة، فقال إياس: أما إحداهن فحامل، والأخرى مرضع، والأخرى ثيب، والأخرى بكر، فنظروا فوجدوا الأمر كما قال. قالوا: وكيف عرفت؟ فقال: أما الحامل فكانت تكلمني وترفع ثوبها عن بطنها، فعرفت أنها حامل، وأما المرضع فكانت تضرب ثدييها، فعرفت أنها مرضع، وأما الثيب فكانت تكلمني وعينها في عيني فعرفت أنها ثيب، وأما البكر، فكانت تكلمني وعينها في الأرض، فعرفت أنها بكر[٢].

ومن ذلك أيضاً ما ذكره ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ أن رجلا كان مستور الحال، فأحب القاضي قبول قوله، فسأل عه فزُكِيَ عنده سراً

---

(١) الطرق الحكمية ٤٥.

(٢) الطرق الحكمية ٣٤.

وجهراً، فراسله في حضور مجلسه لإقامة شهادة وجلس القاضي وحضر الرجل، فلما أراد إقامة الشهادة لم يقبله القاضي، فسئل عن السبب، فقال: انكشف لي أنه مُرَاء فلم يسعني قبول قوله، فقيل له: ومن أين علمت ذلك؟ قال: كان يدخل إليَّ في كل يوم فأعد خطاه من حيث تقع عيني عليه من الباب إلى مجلسي، فلما دعوته اليوم جاء، فعددت خطاه من ذلك المكان فإذا هي زادت ثلاثاً أو نحوها؛ فعلمت أنه متصنع فلم أقبله[1].

علاقة هذا النوع بالغيب:

هذا النوع من الفراسة ليس لصاحبه أي علم بالغيب أو اطلاع على بعضه لا عن طريق النظر والتفرس فيه ولا عن غيرها، بل إن هذا النوع يعرف عن طريق النظر والتجربة والخبرة الناتجة عن معرفة نفوس الناس وأحوالهم وحركاتهم وسكناتهم وما تدل عليه.

وهذه الفراسة بالجملة تفيد الظن لا الجزم واليقين؛ لأن بواطن الخلق وما تخفيه صدورهم غيب بالنسبة لغيرهم، والغيب من خصائص الله ــ سبحانه وتعالى ــ لا يعمله أحد سواه، فهذا النوع غير داخل في العلم بالغيب لا من قريب ولا من بعيد، وليس لأحد أن يدعي أن المتفرس يعلم شيئاً من الغيب وإن صدق ظنه وحدسه وتخمينه، ولا بأن الفراسة طريق لمعرفة الغيب أو الأحكام.

---

(١) الطرق الحكمية ٣٧، وعزاها إلى ابن أبي السائب.

النوع الثاني:

الفراسة الناتجة عن بعض ما يوقعه الله في قلوب أوليائه فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن والحدس، وهي ناتجة عن نور اليقين الذي يقذفه الله في قلب عبده المؤمن ويفرق بين الحق والباطل والصادق والكاذب.

وسببها الإخلاص لله تعالى في القول والعمل، وتزكية النفس بالأعمال الصالحة وبُعدها عن الأخلاق الرديئة، وتصفية القلب من الصفات الذميمة «وغض البصر عما حرم الله فإنه يورث نور القلب والفراسة، وقد ذكر ـ سبحانه وتعالى ـ آية النور عقب آيات غض البصر فقال: ﴿الله نور السموات والأرض﴾ [١] فمن غض بصره عما حرم الله عوضه عليه من جنسه بما هو خير منه فيطلق نور بصيرته ويفتح عليه باب العلم والمعرفة والكشوف ونحو ذلك مما ينال ببصيرة القلب» [٢].

وهذا النوع هو المذكور في قوله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» ثم قرأ قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾ [٣].

---

(١) النور ٣٥.

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٢١/٢٥٦، ٢٥٨.

(٣) تقدم تخريجه انظر (ص١٥٣).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن لله عباداً يعرفون الناس بالتوسم» [(١)].

فالمؤمن إذا زكى نفسه بالإخلاص والعبادة الصحيحة الموافقة لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وتقرب إلى الله بالنوافل أحبه الله تعالى وصار ولياً من أوليائه فبه يبصر وبه يسمع وبه يمشي وبه يبطش، وقد جاء في الحديث القدسي: «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأُعيذنَّه، وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته» [(٢)].

ففي هذا الحديث (أن محبوب الله به يعلم سمعاً وبصراً، وبه يعمل بطشاً وسعياً) [(٣)].

(وكان شجاع الكرماني[(٤)] لا تخطئ له فراسة، وكان يقول: «من

---

(١) تقدم تخريجه انظر (ص ١٥٦).

(٢) رواه البخاري (ح٦٥٠٢).

(٣) انظر مجموع الفتاوى ١١/٣٣٢.

(٤) شجاع الكرماني من أصحاب أبي تراب النخشبي ويعرف أحيانا باسم شاد بن شجاع الكرماني، أبو الفوارس من أولاد الملوك، وكان كبير الشأن، حاد الفراسة، قل أن يخطيئ، مات قبل الثلاثمائة، وكرمان عدة بلاد، انظر طبقات الأولياء لابن الملقن ٣٦٠.

عمر ظاهره باتباع السنة، وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات ـــ وذكر خصلة خامسة وهي ـــ أكل الحلال لم يخطئ له فراسة) [(١)].

إذا عرفت هذا فاعلم أن من كان مراقباً أحواله وأنفاسه مجتنباً عن المعاصي صغائرها وكبائرها [آمراً بالمعروف مؤتمراً به، ناهياً عن المنكر منتهياً عنه] متخلقاً بالأخلاق النبوية؛ متحلياً بالآداب المصطفوية؛ ولا يرى الخير والشر والنفع والضر إلا من الله تعالى، ولا يلتفت إلى مخلوق لعرض حاجته عليه، ولا يعتمد عليه طرفة عين، تكون فراسته كالشمس ساطعة أنوارها، لامعة أضواؤها، ينطق بالصدق ويقول الحق...) [(٢)(٣)].

والأمثلة على هذا القسم كثيرة منها ما يلي:

روى مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد أن عمر بن الخطاب قال لرجل ما اسمك؟ قال جمرة قال ابن من ؟ قال ابن شهاب، قال فممن؟ قال: بذات لظى فقال عمر أدرك أهلك فقد احترقوا فكان كما قال) [(٤)].

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٢٥٧/٢١، ٤٢٥/١٥، ٤٢٦.

(٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة ٣١١/١.

(٣) راجع في هذا التقسيم ما يلي: النهاية في غريب الحديث ٤٢٨/٣، ومدارج السالكين ٥٠٤/٢، وشرح الفقه الأكبر لملا علي القارئ ١١٥، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة ٣١٠/١، وترتيب العلوم ١٩١.

(٤) الموطأ كتاب الاستئذان ٥٤ باب ٩ حديث ٢٥ ص ٩٧٣، عن يحيى بن سعيد بسند منقطع، قال محمد فؤاد عبد الباقي وصله القاسم بن بشران في فوائده من =

وموافقة عمر للوحي في أربعة مواضع: في اتخاذ مقام إبراهيم مصلى، وفي الحجاب، وفي نساء النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال الله تعالى: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيراً منكن﴾ [١] فنزلت الآيات موافقة له. وفي بدر حيث كان من رأيه أن يقتل الأسرى فنزل القرآن موافقاً له.

ففي حديث أنس قال عمر: (وافقت ربي في ثلاث: فقلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزلت: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ وآية الحجاب قلت يا رسول الله: لو أمرت نساءك أن يحتجبن فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة فقلت لهن: ﴿عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن﴾ فنزلت هذه الآية) [٢]

وفي حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في ذكر أسرى بدر وفيه: (قال ونزل القرآن بقول عمر ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾ [٣] [٤].

= طريق عقبة عن نافع عن ابن عمر.

(١) التحريم (٥).

(٢) رواه البخاري (ح ٤٠٢)

(٣) الأنفال ٦٧.

(٤) رواه الترمذي (٣٠٨٤)، وعند مسلم بنحوه عن ابن عمر (ح ٢٣٩٩).

فهذه فراسة عمر ـ رضي الله عنه ـ تجلت في موافقته للحق والقرآن.

وذكر ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ أن من فراسة عثمان ـ رضي الله عنه ـ أنه دخل عليه رجل فقال عثمان له: «يدخل عليَّ أحدكم والزنا بين عينيه، فقال: أوحي بعد رسول الله؟ فقال: لا؛ ولكن فراسة صادقة» [١].

نوع آخر من الفراسة:

هناك نوع آخر عده بعض الناس من الفراسة، وهو ما يسمى بفراسة الرياضة.

وهذه الفراسة تعتمد على الخلوة والجوع والسهر والرياضة الصوفية.

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ بعد ذكره لهذا النوع: (إن النفس إذا تجردت عن العوائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها وهذه الفراسة مشتركة بين المؤمن والكافر، ولا تدل على إيمان ولا على ولاية وكثير من الجهال يغتر بها وللرهبان فيها وقائع معلومة وهي فراسة لا تَكْشِفُ عن الحق نافع ولا عن طريق مستقيم؛ بل كشفها جزئي من جنس فراسة الولاة وأصحاب عبَّارة الرؤيا والأطباء ونحوهم) [٢].

---

(١) الطرق الحكمية ص ٤٠ ولقد بحثت عن الأثر في مظانه فلم أجده، وسيأتي ذكر من ذكره. انظر ص ٤٦٢.

(٢) مدارج السالكين ٢/٥٠٧.

وهذا النوع قد تشبثت به الصوفية ومن تبعهم من القاديانية والتيجانية وغيرهم ممن حذا حذوهم وسلك طريقهم وزعم أنه بفعله هذا ينكشف له حجاب الغيب فيعلم أموراً كان يجهلها قبل تلك الحالة.

قال القشيري[١]: (..إن الفراسة سواطع أنوار لمعت في القلوب، وتمكن معرفة حملت السرائر في الغيوب، من غيب إلى غيب حتى يشهد الأشياء من حيث أشهده الحق سبحانه إياها، فيتكلم على ضمير الخلق)[٢].

وذكر أيضا عن الكتاني[٣] قوله: (الفراسة مكاشفة ومعاينة الغيب وهي من مقامات الإيمان...) [٤].

وهذا القول يحتمل معنيين معنى صحيحاً وهو: أن الإيمان الكامل الراسخ يكون سبباً في معرفة بعض الغيوب النسبية فقط دون غيرها، ولعل هذا هو المعنى الذي أراده.

---

(١) اسمه عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري من بني قشير بن كعب. قال الخطيب ثقة، كان يقص، وكان حسن المواعظ، مليح الإشارة، وكان يعرف الأصول على مذهب الأشعري والفروع على مذهب الشافعي ولد سنة ٣٧٦هـ وتوفي ٤٦٥هـ انظر: تاريخ بغداد ١١/٣٨ والأعلام ٤/٥٧.

(٢) الرسالة القشيرية ١٠٥، نقلا عن الواسطي.

(٣) هو أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد بن علي التميمي الدمشقي الصوفي ولد سنة ٣٨٩، قال الخطيب ثقة أمين، كان مديماً للتلاوة مكباً على طلب الحديث توفي سنة ٤٦٦.

(٤) الرسالة القشيرية ١٠٦.

والآخر معنى باطل وهو: أن يُريد بذلك أن الفراسة تؤدي إلى معرفة الغيوب المطلقة التي لا يمكن للإنسان أن يتعرف عليها إلا بطريق الوحي كالعلم بما سيقع في المستقبل، والعلم بما في اللوح المحفوظ والعلم بوقت موت الإنسان، ونحو ذلك من الأمور التي لا يعلمها إلا الله ــ سبحانه وتعالى ــ أو حتى معرفة الأمور الغيبية النسبية على سبيل الاستمرار والمداومة، فهذا لا أظنه أراده.

وأيضا: (وسئل بعضهم عن الفراسة فقال: أرواح تتقلب في الملكوت فتشرق على معاني الغيوب فتنطق عن أسرار الخلق نطق مشاهد لا نطق ظن وحسبان)[١].

ولا يشك عاقل ببطلان هذا الافتراء على الله سبحانه وتعالى: وقد قال الله تعالى: ﴿. . إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾[٢].

والغيب كما هو معلوم من الدين بالضرورة أنه من خصائص الله تعالى، فكيف تكون الفراسة طريقاً إلى ما اختص الله سبحانه بعلمه من معرفة ما في القلوب ومعاينة الغيب ومعرفة أسرار الخلق.

ولا شك أن ادعاء مثل هذا ادعاء باطل بل ما هو إلا تلبيس من الشياطين وهوس يحصل لهم من شدة الجوع والعطش، ونوع من استمتاع الشياطين بهم واستمتاعهم بالشياطين فانطبق عليهم قوله تعالى: ﴿ويوم

(١) الرسالة القشيرية ١٠٦.

(٢) النحل (١١٦).

نحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم﴾ (١)

وهذا القول له سببان:

الأول: تأثير الملاحدة كالحلاج ونحوه على هذه الطرق الصوفية من القول بالحلول والاتحاد، فإذا اتحد العبد مع الرب وحل فيه فإنه يطّلع على الغيوب.

الثاني: تلبيس إبليس عليهم وتزيينه لفعلهم وذلك لجهلهم وقلة علمهم، قال تعالى: ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين﴾ (٢).

فهؤلاء قد زين لهم إبليس عملهم وأظهر لهم ما يشبه الكرامات وخوارق العادات فظنوا أنهم على شيء؛ وذلك لقلة علمهم؛ لأنه كلما كان العبد عن العلم أبعد كلما كانت سيطرة إبليس عليه أقوى وأمكن.

قال ابن الجوزي ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (..إن إبليس إنما يتمكن من الإنسان على قدر قلة العلم، فكلما قل علم الإنسان كلما كثر تمكن إبليس منه، وكلما كثر العلم قل تمكنه، ومن العباد من يرى ضوءاً أو نوراً في السماء فإن كان رمضان قال: رأيت ليلة القدر، وإن كان في غيره

---

(١) الأنعام ١٢٨.

(٢) سبأ ٢٠.

قال: فتحت لي أبواب السماء، وقد يتفق له الشيء الذي يطلبه فيظن ذلك كرامة، وربما كان اتفاقاً وربما كان اختباراً وربما كان من خدع إبليس، والعاقل لا يساكن شيئاً من هذا ولو كان كرامة.. وقد بالغ أقوام في الرياضة فرأوا ما يشبه نوع كرامات أو منامات صالحة، أو فتح عليهم كلمات لطيفة أثمرها الفكر والخلوة؛ فظنوا أنهم وصلوا إلى المقصود...)[١]

فلا تخلوا حال هؤلاء الذين يزعمون أنهم بالفراسة يعلمون الغيوب والأسرار من هذه الأحوال التي ذكرها ابن الجوزي ـ عليه رحمة الله تعالى ـ.

أسباب الفراسة:

يتضح مما سبق أن للفراسة ثلاثة أسباب نوجزها فيما يلي:

الأول: جودة ذهن المتفرس وحدة قلبه وحسن فطنته، وهذا يشترك فيه المؤمن والكافر والبر والفاجر.

الثاني: ظهور العلامات والأدلة على المُتَفرّس فيه فيستدل بها المتفرس على ما يريد من هذا الشخص بما يظهر له من علامات ودلالات سواء في ملامحه أو في كلامه. وهذا النوع كسابقه في عمومه للناس[٢].

الثالث: الصلاح والتقوى والإخلاص في الأعمال لله تعالى ودوام مراقبته، والكف عما حرمه، والإتيان بما أمر به حيث يحصل في المؤمن نور

---

(١) تلبيس إبليس ٤١٢-٤٢٢.

(٢) انظر: مدارج السالكين ٢/٥٠٩.

يستطيع من خلاله أن يتفرس في الناس ويعرف أحوالهم بهذا النور الذي آتاه الله إياه، وهذا السبب ليس إلا للمؤمن.

قال ابن القيم: (والفراسة تتعلق بثلاثة أشياء بالعين والأذن والقلب، فالعين للسيماء والعلامات، والأذن للكلام وتصريحه وتعريضه ومنطوقه ومفهومه وفحواه وإشارته ولحنه وإيمائه ونحو ذلك، وقلبه للعبور والاستدلال من المنظور والمسموع إلى باطنه وخفيه، فيَعبُر إلى ما وراء ظاهره كعبور النقاد من ظاهر النقش والسكة إلى باطن النقد، والاطلاع عليه هل هو صحيح أو زغل.

وكذلك عبور المتفرس من ظاهر الهيئة والدَّالّ إلى باطن الروح والقلب، فنسبة نقده للأرواح من الأشباح كنسبة نقد الصيرفي ينظر للجوهر من ظاهر السكة والنقد.

وكذلك نقد أهل الحديث فإنه يمر إسناد ظاهر كالشمس على متن مكذوب فيخرجه ناقدهم كما يخرج الصيرفي الزغل من تحت الظاهر من الفضة) [(١)].

والخلاصة أن هذه الفراسة ليست من الغيب في شيء؛ لأنها كما عرفنا إما ناتجة عن تجارب وعلامات يستدل بها المتفرس على ما يريد معرفته؛ فيظن بعض الناس أن ذلك من أمر الغيب الذي استطاع أن يتوصل إلى معرفته وليس كذلك كما بينت ذلك واتضح من خلال

---

(١) مدارج السالكين ٢/٥٠٩.

الصور التي ذكرهما آنفاً، وإما ناتجة عما يقذفه الله في قلب المؤمن من نور فيكون من قبيل الكرامة أو الكشف الذي أطلعه عليه كما حصل لسيدنا عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ مع سارية، أو من قبيل الإلهام كما تقدم والمنام كما سيأتي إن شاء الله في موضعه.

أما النوع الأخير فإنما يقع فيه بمعرفة بعض الغيب النسبي فهو لا يخلوا من إحدى ثلاث حالات:

الأولى ـ إما أن يكون استدراجا كما قال تعالى: ﴿إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين﴾ [١].

الثانية: وإما أن يكون من قبيل استمتاع الشياطين وإخبارهم.

الثالثة: وإما أن يكون من قبيل الموافقة والمصادفة.

أما الغيب فهو من اختصاص الله تعالى وحده دون من سواه وسيأتي مزيد بيان له في الباب الثاني والثالث.

---

(١) آل عمران ١٧٨.

المبحث الثالث: الإلهام والتحديث

قبل الكلام على هذا الموضوع لا بد وأن يسبق ذلك التمهيد له بالكلام على الوحي، لأن الإلهام جزء من أجزاء الوحي كما سيتبين فيما يأتي:

الوحي: تعريفه وأقسامه:

أولا: الوحي في اللغة: الإشارة والكتابة، والرسالة والإلهام والكلام الخفي والصوت يكون في الناس وغيرهم، وكل ما ألقيته إلى غيرك يقال: وحيت إليه الكلام وأوحيت، وهو أن تكلمه بكلام تخفيه[1].

والوحي بهذا المعنى يشتمل على أنواع كثيرة منها ما يلي:

١ـ **الإلهام**: للإنسان كالوحي لأم موسى ـ عليهما السلام ـ قال تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني﴾ [2].

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ في قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ أي: قذفنا في قلبها.. قال قتادة: وحياً جاءها من الله فقذف في قلبها وليس وحي نبوة) [3].

---

(١) الصحاح مادة (وحي) والقاموس المحيط مادة (وحي).

(٢) القصص (٧).

(٣) جامع البيان ٢٠/٢٩.

٢ـ الإلهام الجبلي للحيوان كالوحي إلى النحل، قال تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون* ثم كلي من الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا. . . .﴾ [(١)].

قال القاسمي ـ رحمه الله تعالى ـ: (المراد من الوحي الإلهام والهداية إلى بنائها تلك البيوت العجيبة المسدسة من أضلاع لا يزيد بعضها على بعض. ﴿فاسلكي سبل ربك﴾ أي الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل) [(٢)].

٣ـ الإشارة الشرعية على سبيل الرمز والإيحاء كإيحاء زكريا لقومه.

قال تعالى: ﴿فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشياً﴾ [(٣)].

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿فأوحى إليهم﴾ أي أشار إشارة خفية سريعة) [(٤)].

٤ـ وسوسة الشيطان وتزيينه للشر في نفس الإنسان. قال تعالى:

---

(١) النحل (٦٨).

(٢) محاسن التأويل ٣٨٢٦/١٠.

(٣) مريم (١١).

(٤) تفسير القرآن العظيم ٢١٥/٥.

﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾[1].

وقال أيضاً: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾[2].

٥ ـ ما يلقيه الله إلى ملائكته من الأمر ليفعلوه، قال تعالى: ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾[3].

٦ ـ ومنه ما يسميه علماء النفس بالاستهواء أو الإيحاء، وله تأثير قوي لا ينكر يعتمد على جهل المتأثر وعلم المؤثر، قال الشاعر:

فأوحى إليها الطرف أني أحبها ... فأثر ذاك الوحي في جنباتها

ولا يلزم أن يكون من أوحي إليه الوحي العام نبياً.

قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ (ليس كل من أوحي إليه الوحي العام يكون نبياً فإنه قد يوحى إلى غير الناس، قال تعالى: ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً...﴾ وقال تعالى عن يوسف: ﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم

---

(١) الأنعام (١٢١).

(٢) الأنعام (١١٢).

(٣) الأنفال (١٢).

هذا وهم لا يشعرون﴾ [(١)].

وقال تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه. . .﴾ [(٢)].

وقال تعالى: ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا به وبرسولي﴾ [(٣)].

وقوله: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً. . .﴾ [(٤)] يتناول وحي الأنبياء وغيرهم كالمحدثين والملهمين كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر منهم» فهؤلاء المحدثون الملهمون المخاطبون يوحى إليهم هذا الحديث الذي هو لهم خطاب وإلهام، وليسوا بأنبياء معصومين مُصَدَّقِيْنَ في كل ما يقع، فإنه قد يوسوس لهم الشيطان بأشياء لا تكون من إيحاء الرب؛ بل من إيحاء الشيطان، وإنما يحصل الفرقان بما جاءت به الأنبياء فهم الذين يفرقون بين وحي الأنبياء. قال تعالى: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ [(٥)]. وقال تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول

---

(١) يوسف (١٥).

(٢) القصص (٧).

(٣) المائدة (١١١).

(٤) الشورى (٥١).

(٥) الأنعام (١٢١).

غروراً ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾[١] [٢].

ثانيا: الوحي الشرعي:

الوحي الشرعي هو: إعلام لأنبيائه ورسله الذين اصطفاهم بما يريد من أنواع الوحي والهداية بطريق الملائكة أو الإلهام أو المنام أو بإنزال الكتب، وكل هذا إعلام خاص يتم بقدرة إلهية...)[٣].

ويكون هذا على أنواع:

الأول: ما يكون مكالمة بين العبد وربه كما وقع لموسى ــ عليه السلام ــ قال الله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾[٤].

الثاني: ومنه ما يكون بواسطة أمين الوحي جبريل ــ عليه السلام ــ وهذا النوع هو من أشهر الأنواع وأكثرها، بل إن وحي القرآن كله من هذا النوع، قال تعالى: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾[٥].

الثالث: ومنه ما يكون إلهاماً يقذفه الله في قلب مصطفاه من الأنبياء على وجه العلم الضروري لا يستطيع له دفعاً ولا يجد فيه شكاً كما دل

---

(١) الأنعام (١١٢).

(٢) النبوات (٢٤٧)، وانظر الفتاوى (١٧/٥٢٩).

(٣) وعرفه الزرقاني بنحو هذا التعريف. انظر: مناهل العرفان (١/٥٦).

(٤) النساء (١٦٤).

(٥) الشعراء (١٩٣).

عليه قوله صلى الله عليه وسلم: «إن روح القدس نفث في روعي» [(١)].

الرابع: ومنه ما يكون مناماً صادقاً يجيء في تحققه ووقوعه كما يجيء فلق الصبح في تبلجه وسطوعه كما في حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «أول ما بدء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح» [(٢)] [(٣)].

الخامس: ومنه ما يكون مثل صلصلة الجرس كما في حديث الحارث بن هشام المتقدم وفيه: أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «...وأحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدها علي، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول» [(٤)].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/٢٦-٢٧)، عن أبي أمامة، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: فيه عفير بن معدان، وهو ضعيف. لكن له شاهد عن ابن مسعود عند الحاكم (٢/٤، ٤/٣٢٥) وشاهد من حديث جابر عند ابن ماجة (ح ٢١٤٤) وابن حبان من طريقين أحدهما (ح١٠٨٤) والثاني (ح ١٠٨٥) وشاهد من حديث حذيفة عند البزار (٣/٧) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٧٤). وقد صححه الألباني كما في فقه السيرة (٥/٩٧).

(٢) البخاري (ح٣، ٦٩٨٢).

(٣) انظر: مناهل العرفان ١/٥٧.

(٤) وراه البخاري (ح٢ – ١٥ – ٣٢) ومسلم (٢٣٣٣).

تعريف الإلهام والتحديث:

الإلهام هو: (ما يلقي في الروع يقال ألهمه الله واستلهمت الله الصبر)[١] (ألهمه الله خيراً لقنه إياه واستلهمه إياه سأله أن يلهمه) [٢].

قال ابن الأثير: (الإلهام أن يلقي الله في النفس أمراً يبعثه على الفعل أو الترك. وهو نوع من الوحي يخص الله به من يشاء من عباده، وفي الحديث: (أسألك رحمة من عندك تلهمني بها رشدي) [٣] [٤].

وأما التحديث فهو: ما يطلق على الرجل الصادق في الظن فيقال: محدث بفتح الدال مشددة، كما سيأتي بيانه في الأحاديث قريباً إن شاء الله تعالى.

قال ابن الأثير: جاء في الحديث تفسير المحدث بأنه الملهم. والملهم هو الذي يلقى في نفسه شيء فيخبر به حدساً وفراسة، وهو نوع يخص الله به من يشاء من عباده الذين اصطفى مثل عمر، كأنهم حدثوا بشيء فقالوه) [٥].

---

(١) الصحاح مادة (لهم) ٥/٢٠٣٦.

(٢) القاموس المحيط مادة (لهم) ٤/١٨٠.

(٣) رواه الترمذي (ح٣٤١٩) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي ليلى من هذا الوجه) وضعفه الألباني. انظر: ضعيف الجامع (١١٩٤).

(٤) النهاية في غريب الحديث ٤/٢٧٢.

(٥) النهاية في غريب الحديث ١/٣٥٠.

هل يمكن الجزم بالتحديث والإلهام:

ورد ذكر المحدث في عدة أحاديث منها ما يأتي:

حديث أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد كان فيمن قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يك في أمتي أحد فعمر» [(١)].

وفي رواية: «لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يك في أمتي منهم أحد فعمر» [(٢)].

ومنها حديث عائشة ــ رضي الله عنها ــ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: «قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم» [(٣)]

ومنها حديث أبي سعيد الخدري ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «..إنه لم يبعث الله نبياً إلا كان في أمته محدث، قال: تتكلم الملائكة على لسانه» [(٤)].

فهذه الأحاديث لم يأت فيها الجزم بوجود المحدثين في هذه الأمة؛ إذ وردت بأسلوب التردد وعلق النبي صلى الله عليه وسلم كون عمر منهم

---

(١) رواه البخاري (ح ٣٦٨٩).

(٢) رواه البخاري (ح ٣٦٨٩).

(٣) مسلم (ح ٢٣٩٨).

(٤) رواه الطبراني في الأوسط، وقال الهيثمي فيه أبو سعيد لم أعرفه وبقية رجاله ثقات. انظر: مجمع الزوائد ٩/٧٢.

على شرط وجودهم.

وعلى فرض وجودهم فإن عمر ــ رضي الله عنه ــ منهم لإخبار النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، أما غير عمر فلا يمكن الجزم بأنه من المحدثين، لأن إثبات ذلك يحتاج إلى الوحي الشرعي الذي من طريقه يعرف وجوده وتعيينه.

قال ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ معلقاً على هذا الحديث: (جزم [النبي صلى الله عليه وسلم] بأن من كان قبله كان فيهم محدثون، وعلق الأمر في أمته، وإن كان هذا المعلق قد تحقق؛ لأن أمته لا تحتاج بعده إلى نبي آخر، فلأن لا تحتاج معه إلى محدث أولى وأحرى، وأما من كان قبله فإنهم يحتاجون إلى نبي بعد نبي فأمكن حاجتهم إلى المحدثين الملهمين، ولهذا إذا أنزل المسيح بن مريم ــ عليه السلام ــ لم يحكم فيهم إلا بشرع محمد صلى الله عليه وسلم) [1].

تنبـــيه:

وفي هذا المبحث لن يكون الحديث عن المُحدَّثين والملهمين من منطلق أنه يمكن لهم أن يلهموا أحكاماً وشرائع يأخذ الناس بها ويلزمون؛ نظراً لأنها جاءت من محدث والمحدث يلهم من الله ــ سبحانه وتعالى ــ فالحكم إذاً صادر من الله فيكونون بمنـــزلة الأنبياء مشرعين، لن يكون الحديث عن هذا لأن المسلمين قد استغنوا بالشرع عن غيره. ولأن الوحي

---

(١) الجواب الصحيح ١/٣٤٨-٣٤٩.

قد انقطع والشريعة قد كملت كما قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ [1].

والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقبض إلا وقد أتم الله الدين به فلا يحتاج إلى زيادة، لا من محدث ملهم ولا من غيره. وهذا أمر متفق عليه معلوم من الدين بالضرورة، وإنما سيكون الكلام فيما سيأتي عن وجود الملهمين والمحدثين وكونهم يلهمون أموراً تكون لهم كرامات؛ وإمكان علمهم ببعض الأمور الغيبية من عدمه. هذا ما سيكون عنه الحديث إن شاء الله، وهو المقصود من هذا المبحث.

---

(١) المائدة (٣).

إلهام الأنبياء وإلهام غيرهم:

أولا: إلهام الأنبياء:

يمكن أن نقسم الإلهام إلى قسمين بحسب حال الملهم: قسم يتعلق بإلهام الأنبياء. والقسم الآخر إلهام يتعلق بغير الأنبياء، وبيان كل منها كما يأتي:

إلهام الأنبياء هو: وحي من أنواع الوحي التي يوحي به الله — عز وجل — إلى أنبيائه — عليهم الصلاة والسلام — وطريق من طرق مصادر تلقي الأنبياء عن الله — عز وجل —.

وقد عده العلماء من أنواع الوحي التي كان يوحى بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما دل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: «إن روح القدس نفث في روعي» [(١)].

فإلهام الأنبياء هو أعلى مراتب التحديث والإلهام. وهو جزء ونوع من أنواع الوحي. ويتميز إلهام الأنبياء عن غيره بأنه يكون شرعا يحكم به ويرجع إليه ويجب التزامه وتطبيقه لأنه من عند الله — عز وجل — نزل محفوظاً من الشياطين فوصل إلى الأنبياء صافياً خالصاً من كل إيحاء غير إيحاء الله — سبحانه وتعالى — فإن الله يرسل حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين كما تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلا من

---

(١) تقدم تخريجه انظر (ص ١٧٨).

ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً* ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً﴾ (١).

فدلت هذه الآية على أن الوحي إلى الأنبياء يكون محفوظاً محروساً من الشياطين حتى يصل إلى رسل الله صافياً، نقياً. بخلاف غيره من أنواع الإلهام التي تحصل لبعض الناس فإنها قد تكون من الملائكة وقد تكون من الشياطين، ثم إنها لا تكون شرعا يعول عليه ولا دالا على حكم شرعي؛ بل لا بد من عرضه على الكتاب والسنة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى قريباً.

إلهام غير الأنبياء:

أما إلهام غير الأنبياء فإنه إلهام عام يشترك فيه جميع الناس وخاصة المؤمنين المتقين فإنه يكون لهم من الله بواسطة الملائكة وذلك بأن يلقي في قلبه خطاباً يخاطب به الملك روحه كما ورد في حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «إن للشياطين لمة لابن آدم وللملك لمة، فأما لمة الشياطين فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ (٢) (٣).

---

(١) الجن ٢٥-٢٧.

(٢) البقرة (٢٦٨).

(٣) أخرجه الترمذي (ح ٢٩٨٨) عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وقال =

قال ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ (لا بد أن يُعْلَم أن المبدأ في النفس وحركتها هم الملائكة أو الشياطين فالملك يلقي التصديق بالحق والأمر بالخير، والشيطان يلقي التكذيب بالحق والأمر بالشر) [١].

ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام: «من سأل القضاء واستعان عليه وكل إليه، ومن لم يسأله ولم يستعن عليه أنزل الله عليه ملكاً يسدده» [٢].

قال ابن تيمية: (فمبدأ العلم الحق والإرادة الصالحة من لمة الملك، ومبدأ الاعتقاد الباطل والإرادة الفاسدة من لمة الشيطان، قال تعالى: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا﴾ [٣].

وقال تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ [٤].

وقال تعالى: ﴿وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم....﴾ [٥] [٦].

= حديث حسن غريب لا نعلمه مرفوعا إلا من حديث أبي الأحوص.

(١) الفتاوى ٥/٣٥.

(٢) رواه الترمذي (ح ١٣٢٣) وأبو داود (ح ٣٥٧٨) وابن ماجة (٢٣١٥) وأحمد ١١٨/٣، ٢٢٠.

(٣) البقرة (٢٦٨).

(٤) آل عمران (١٧٥).

(٥) الأنفال (٤٨).

(٦) الفتاوى ٤/٣٤.

وقال ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ: قال الله تعالى: ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا﴾ قيل في تفسيرها قووا قلوبهم وبَشِّرُوْهم بالنصر، وقيل: احضروا معهم القتال، والقولان حق، فإنهم حضروا معهم القتال وثبتوا قلوبهم)[١].

ومن هذا الخطاب واعظ الله في قلب عبده المؤمن كما في حديث النواس ابن سمعان ــ رضي الله عنه ــ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ضرب الله مثلا صراطاً مستقيماً وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول: يا يأيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تتفرقوا وداع يدعو من جوف الصراط. فإن أراد أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه؛ فإنك إن فتحته تلجه. والصراط الإسلام، والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله عز وجل والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم)[٢].

وقال ابن القيم: (فهذا الواعظ في قلوب المؤمنين هو الإلهام الإلهي بواسطة الملائكة)[٣].

---

(١) مدارج السالكين ٥٧/١.

(٢) رواه أحمد ١٨٢/٤، ٢٨٣، والترمذي بنحوه (ح ٢٨٥٩) وقال هذا حديث غريب. والحاكم ٧٣/١ وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في المشكاة (ح ١٩١، ١٩٢).

(٣) مدارج السالكين ٧٥/١.

وقال ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ: (بين النبي صلى الله عليه وسلم أنه في قلب كل مؤمن واعظ، والواعظ الأمر والنهي بالترغيب أو الترهيب، فهذا الأمر والنهي الذي يقع في قلب المؤمن مطابق لأمر القرآن ونهيه، ولهذا يقوي أحدهما الآخر كما قال تعالى: ﴿نور على نور...﴾[(١)].

وقال بعض السلف في الآية: هو المؤمن ينطق بالحكمة وإن لم يسمع فيها بأثر، فإذا سمع بالأثر كان نور على نور. نور الإيمان الذي في قلبه يطابق نور القرآن، كما أن الميزان العقلي يطابق الكتاب المنـــزل؛ فإن الله أنزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط، وقد يؤتى العبد أحدهما ولا يؤتى الآخر كما في حديث أبي موسى الأشعري ــ رضي الله عنه ــ[(٢)] في وصف المؤمن الذي يقرأ القرآن والذي لا يقرأ القرآن[(٣)].

وقال أيضا: (الإلهام يكون تارة من جنس القول والعلم والظن والاعتماد وتارة يكون من جنس العلم والحب والإرادة والطلب فقد يقع في قلبه أن هذا القول أرجح وأظهر وأصوب وقد يميل قلبه إلى أحد

---

(١) النور (٣٥).

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/٤٧٥.

(٣) أخرجه البخاري (ح ٥٠٢١) ولفظه «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح فيها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مرٌّ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مرٌّ ولا ريح لها» وفي رواية «المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به».

الأمرين) [١].

إذاً فهذا القسم من الإلهام يكون في الأحكام المفهومة من النصوص الشرعية كما يكون في غيرها حيث يلقي الله في قلب العبد الاطمئنان إلى هذا الحكم وقد يلقي الله في قلبه أن هذا العمل أتم كما ورد في حديث النواس بن سمعان ــ رضي الله عنه ــ قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال: «البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس» [٢].

فبين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث البر والإثم فذكر أن الإثم ما يقع به حرج تردد في النفس من كراهة أن يطلع عليه أحد من الناس لما يقع عليه من الحرج فيما لو اطلع عليه أحد فيرغب في إخفائه لأنه مخالف للخلق الحسن أو الشرع.

وأصرح منه حديث وابصة بن معبد ــ رضي الله عنه ــ قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «جئت تسأل عن البر؟ قلت: نعم، قال استفت قلبك؛ البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب؛ والإثم ما حاك في نفسك وتردد في صدرك وإن أفتاك الناس وأفتوك» [٣].

ففي هذا الحديث أحال النبي صلى الله عليه وسلم السائل في معرفة

---

(١) الفتاوى ٤٧٦/١٠.

(٢) رواه مسلم (ح ٢٥٥٣)، والترمذي (ح٢٣٧٩).

(٣) رواه أحمد ١٨٢/٤، وقال النووي في الأربعين حديث حسن.

البر من الإثم إلى القلب وما يتعلق به هل يطمئن إليه أو يتردد في صدره.

ولا يعني أن الأحكام الشرعية تعرف عن طريق القلب، بل لا بد من الوحي لمعرفتها؛ ولكن ما يشتبه على المؤمن من الأحكام ولا يعرف حرمته من حله فقد يميز بقلبه، إن لم يكن صاحب هوى أو شهوة أو بدعة، فإن هذا قد يميل إلى بدعته أو شهوته، والله تعالى أعلم. وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة [١].

الإلهام درجة إيمانية عالية لا تخرج عن دائرة الشرع:

قال ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ: (وقد يلقى في قلب الملهم أن هذا الرجل كافر أو فاسق أو مبتدع من غير دليل ظاهر وبالعكس قد يلقى في قلبه أن هذا الرجل ولي من أولياء الله) [٢].

(...وينبغي للمؤمن أن لا يتكل على ما يلقى في قلبه أو يجده فيه، بل يعرضه على الكتاب والسنة، فإنه ليس بمعصوم كما قال أبو الحسن الشاذلي[٣]: (قد ضمنت لنا العصمة فيما جاء به الكتاب والسنة، ولم

---

(١) انظر: ص ١٩٦.

(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٧٧/١٠.

(٣) هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف بن هرمز الشاذلي المغربي، أبو الحسن رأس الطائفة الشاذلية من المتصوفة، وصاحب الأوراد المسماة بحزب الشاذلي، ولشيخ الإسلام ابن تيمية رد عليه، ولد في بلاد غمارة بريف المغرب تفقه وتصوف بتونس وسكن شاذلة قرب تونس فنسب إليها، رحل إلى المشرق وسكن الاسكندرية، وتوفي بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحج. الأعلام ٣٥٠/٤.

تضمن لنا العصمة في الكشوف والإلهام) [١].

ولهذا كان إمام المحدثين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يعرض رأيه على الكتاب والسنة كما كان يشاور الصحابة في الأحكام وغيرها، فتارة يرجع إليهم وتارة يرجعون إليه، وربما ردت امرأة قوله وبينت الحق فيرجع إليه ويدع قوله. وربما يقول قولا فيذكر له حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيعمل به ويرجع عن رأيه، وغير ذلك مما هو مشهور عنه، فقد كان ـ رضي الله عنه ـ وقّافاً عند كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فحري بمن دونه أن يعرض ما يعتريه على الكتاب والسنة فما وافقهما أخذ به وما خالفهما رده [٢].

أمور ليست من الإلهام:

من الأمور التي قد يعتبرها بعض الناس من الإلهام: إلهام الهواتف من الجان، وهذا الأمر قد يكون المخاطب فيه جنياً مؤمناً صالحاً يأمره بالخير ويرده عن الشر[٣]. وقد يكون شيطاناً مارداً يريد أن يضل المخاطب أو يغويه عن الحق ويرده عنه[٤].

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢/٢٢٦.

(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٣/٧٣.

(٣) انظر مجموع الفتاوى ١٣/٨٧.

(٤) المصدر السابق ١٣/٨٤.

وهذا النوع على صفتين:

الأولى: أن يخاطبه خطاباً يسمعه بأذنه[١].

وهذا ليس من الإلهام بل هو من قبيل الخطاب.

الثانية: أن يلقي في قلبه ما يريد حينما يلم به[٢] ومنه وعده وتمنيته عندما يعد الشيطان الأنسي ويمنيه ويأمره وينهاه كما قال تعالى: ﴿يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا﴾[٣].

وقال: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا﴾[٤][٥].

ولهذا يجب على المؤمن أن يعرض كل أمر على الكتاب والسنة فهو ليس بمعصوم فقد يلم به الشيطان ويوسوس له ويزين له الشر ويصوره خيراً ويزين له الضلال حتى يراه حقاً فيقلب عليه الموازين والعياذ بالله، ثم من أين للمُخَاطَبِ أن يعرف أن هذا الخطاب رحماني أو ملكي أو شيطاني؟ وبأي برهان أم بأي دليل يعرف ذلك والشيطان يلقي في النفس وحيه ويلقي في السمع خطابه، فكيف يقول المخاطب: «قيل لي أو

(١) مدارج السالكين ٥٧/١. وانظر مجموع الفتاوى ٩٢/١٣.

(٢) وقد تقدمت الإشارة إلى هذا في النوع الأول مما لا حاجة لنا في إعادته هنا.

(٣) النساء ١٢٠.

(٤) البقرة ٢٦٨.

(٥) انظر إلى التقسيم في مدارج السالكين ٥٦/١ وما بعدها.

خُوطِبْتُ» نعم قيل لك وخُوطِبت ولكن من القائل ومن المخاطِب؟ [١].

وقد ضل بهذا كثير من أصحاب الطرق الذين أضلتهم الشياطين يحسبون أنهم يخاطبون ويلهمون من قبل الملأ الأعلى وهو في الحقيقة من الشياطين وأتباعهم ليضلوهم عن دين الله عز وجل. فيخشى أن يكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ [٢].

قال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ هذه الآية عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها وأن عمله مقبول وهو مخطئ، وعمله مردود كما قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية﴾ [٣] وقوله: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾ [٤]. وقال في هذه الآية: ﴿هل ننبئكم﴾ أي: نخبركم ﴿بالأخسرين أعمالا﴾ ثم فسرهم فقال ﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا﴾ أي عملوا أعمالا باطلة على غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ أي : يعتقدون أنهم على شيء وأنهم مقبولون

---

(١) انظر: مدارج السالكين ٥٨/١، وانظر: الفتاوى لابن تيمية ٨٧/١٣ وما بعدها.

(٢) الكهف ١٠٣-١٠٤.

(٣) الغاشية ٢-٤.

(٤) الفرقان ٢٣.

محبوبون)[١]

ثالثاً : الإلهام وعلم الغيب :

بعد الكلام على الإلهام تبين لنا ارتباطه بعلم الغيب وتبين أنه ليس كل ملهم يمكن أن يعرف شيئاً من أمور الغيب وهذا ما أود إيضاحه هنا.

فكما أن الإلهام قسمان: إلهام الأنبياء إلهام غيرهم، وأن كل قسم يختلف عن الآخر فكذلك هنا وهو على النحو الآتي :

أولا: الأنبياء: تقدم أن إلهام الأنبياء نوع من أنواع الوحي الشرعي، ولذلك فإنه يمكن من خلاله أن يعلم الرسول بعض الغيب الذي أراد الله أن يطلعه عليه؛ لأن الرسل لا يعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه كما قال تعالى: ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا**﴾[٢]. فعن طريق الوحي بالإلهام يعلمون بعض المغيبات التي أراد الله أن يطلعهم عليها، وسيأتي إن شاء الله مزيد تفصيل لهذا المسألة في الباب الثالث .

ثانياً : غير الأنبياء : مما ينبغي أن يُعْرَف أن الملهمين من غير الأنبياء لا يمكن أن يعلموا الغيب مطلقاً لإمور منها :

الأول ــ أن الغيب لا يمكن معرفته إلا عن طريق الوحي الشرعي،

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١٩٧/٥-١٩٨.

(٢) الجن ٢٧ -٢٨

والوحي الشرعي قد انقطع ولم يبق منه إلا المبشرات [١]. وهي جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة .

الثاني ــ أن إلهام غير الأنبياء ظني الدلالة لا قطعي الدلالة بحيث إن صاحبه لا يمكن أن يجزم بصحته .

الثالث ــ أن الملهم لا يدري هل الإلهام الذي حدث له هو من الله عز وجل أم هو من الشيطان إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة .

الرابع ــ أن الإلهام إن كان أمراً غيبياً فإن الملهم لا يدري هل هو صحيح أم لا ؟ حتى يقع فإذا وقع عرف صحته وأنه إلهام من الله أما إذا لم يقع فهو بمجرد وهم؛ أو تخيل؛ أو إلهام شيطان أراد أن يلبس عليه؛ لأن الشياطين قد تلهم من انساق ورائها وأطاعها فيما تريد من سجود وعبادة وشرك بالله جل وعلا، وقد تلهمه أموراً غائبة [٢]. عن الملهم فقط مع كونها موجودة مشاهدة لغيره [٣] بل إنه قد تخبره الشياطين بأمور وقعت في مكان بعيد عنه فيخبر به، فيظن الجهلة من الناس أنه يعلم الغيب. حتى إنه قد بلغ تلبيسهم على الناس أن الرجل يأتي إلى هذا الشخص الملهم فيبادره بذكر اسمه واسم أبيه ولم يكن قد التقى به أو شاهده قبل هذه

---

(١) المبشرات هي الرؤيا الصادقة كما في حديث عائشة عند البخاري وسيأتي بيانها إن شاء الله في مبحث الرؤيا .

(٢) انظر الفتاوى لابن تيمية ١٣/٨٢، ٨٥ .

(٣) انظر النبوات ٢٥١ .

المرة، فيظن هذا الرجل أنه عنده علم من الغيب ولم يعلم أن الشياطين توحي إليه وتلهمه وتخبره بما يريد فيخبر بها عن طريقهم، وذلك لأن لكل إنسان قرين من الجن يخبر ذلك الشيطان والشيطان يخبر ذلك الرجل وهذا الرجل يخبر سائله أو الذي أقبل عليه يريد العلاج ونحوه، فيظن ذلك أن هذا الذي أخبر بما غاب عنه يعلم الغيب [١]. وسيأتي تفصيل لهذا إن شاء الله تعالى [٢].

وقد يكشف لبعض أولياء الله تعالى ما هو غائب عنهم مما هو موجود خارج محسوساتهم فيكون كرامة لهم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنه كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر) [٣]. ولكن لا يجزم بأنه بذلك يعرف الغيب فعمر ــ رضي الله عنه ــ لم يقل في يوم من الأيام أنه يعلم الغيب وحاشاه أن يقول ذلك [٤].

ونخلص من هذا المبحث ان الإلهام ليس طريقاً لمعرفة الغيب، ولا يستطيع صاحبه أن يجزم بأن ذلك الشيء الذي وقع في قلبه صحيح أم لا؛ فضلا عن كونه سيعرف الغيب من خلاله. إلا ما قد يكشف لبعض الناس

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٧١/١٣، ٨٥ .

(٢) انظر الفصل الأول من الباب الرابع .

(٣) تقدم تخريجه انظر ص (١٨٠) .

(٤) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٧٦/١٠ .

من الأولياء عن بعض الأحوال التي تعتبر من الغيب النسبي [١]. وأما الغيب المطلق فلا يمكن لأحد كائناً من كان أن يعرفه، سواءً كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلا كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى [٢].

هل الإلهام طريق شرعي تعرف به الأحكام ؟ :

الإلهام لا يمكن أن يعرف به أحكام مستقلة لم يأت بها الشرع. يعنى أنه لا يكون مستقلا، ولكن قد يأت لبيان وجه حكم أو دليله بعد أن كان غائباً عن الملهم .

قال ابن حجر ــ رحمه الله تعالى ــ : (صرح الأئمة بأن الأحكام الشرعية لا تثبت بذلك. قال أبو المظفر السمعاني [٣] في (القواطع) ــ بعد أن حكى عن أبي زيد الدَّبوسِي [٤] من أئمة الحنفية أن الإلهام ما حرك القلب لعلم يدعو إلى العمل به من غير استدلال ــ: والذي عليه الجمهور

(١) انظر مجموع الفتاوى ٤٧٦/١٠ .

(٢) انظر الباب الثاني والثالث .

(٣) هو: منصور بن عبد الجبار بن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، أبو المظفر المفسِّر. ولد سنة ٤٢٦هـ وهو جد السمعاني صاحب الأنساب عبد الكريم، توفي عام ٤٨٩هـ وله من العمر ٦٣ سنة . انظر السير ١١٤/١٩، والأعلام ٣٠٣/٧ .

(٤) عبد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي نسبة إلى دبوسه بلدة في بخارى وسمرقند. قال السمعاني : كان من كبار الحنفية الفقهاء ممن يضرب به المثل توفي في بخارى عام ٤٣٠هـ بعمر دام ٦٣ سنة . انظر طبقات الحنفية ٤٩٩/٢، ٢٠١/٤ .

أنه لا يجوز العمل به إلا عند فقد الحجج كلها في باب المباح .

وعن بعض المبتدعة أنه حجة واحتج بقوله تعالى: ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ سوره. وبقوله : ﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ سوره أي ألهمها حتى عرفت مصالحها يؤخذ منه مثل ذلك للآدمي بطريق الأولى .

وذكر فيه ظواهر أخرى. ومنه الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا فراسة المؤمن» (١) وقوله لوابصة : «ما حاك في صدرك فدعه وإن أفتوك» (٢). فجعل شهادة قلبه حجة مقدمة على الفتوى، وقوله: «قد كان في الأمم محدثون» (٣).

فثبت بهذا أن الإلهام حق وأنه وحي باطن وإنما حرمه الغاصي لاستيلاء وحي الشيطان عليه .

[قال] وحجة أهل السنة: الآيات الدالة على اعتبار الحجة والحث على التفكر في الآيات والإعتبار والنظر في الأدلة، وذم الأماني والهواجس والظنون وهي كثيرة مشهورة، وبأن الخاطر قد يكون من الله وقد يكون من الشيطان، وقد يكون من النفس، وكل شيء احتمل أن لا يكون حقاً لم يوصف بأنه الحق .

قال: والجواب عن قوله تعالى: ﴿فألهما فجورها وتقواها﴾ معناه

(١) تقدم تخريجه انظر ص ١٥٣.

(٢) تقدم تخريجه انظر ص ١٨٠ .

(٣) تقدم تخريجه انظر ص ١٨٨ .

عرفها طريق العلم وهو الحجج. وأما الوحي إلى النحل فنظيره في الآدمي فيما يتعلق بالصنائع وما فيه صلاح المعاش .. لكن لا نجعل شهادة القلب حجه لأننا لا نتحقق كونها من الله أو من غيره ...

وإنكار الإلهام مردود، ويجوز أن يفعل الله بعبده ما يكرمه به، ولكن التمييز بين الحق والباطل في ذلك: أن كل ما استقام على الشريعة المحمدية ولم يكن في الكتاب والسنة ما يرده فهو مقبول، وإلا فمردود يقع من حديث النفس ووسوسة الشيطان .. ونحن لا ننكر أن الله يكرم عبده بزيادة نور منه يزداد به نظره يقوى به رأيه، وإنما ننكر أن يرجع إلى قلبه بقول لا يعرف أصله. ولا نزعم أنه حجة شرعية، وإنما هو نور يختص الله به من يشاء من عباده، فإن وافق الشرع كان الشرع هو الحجة...)[1].

ومن هنا تبين لنا أنه لا حجة لأولئك الزاعمين أن باستطاعتهم التخلي عن الكتاب والسنة ومعرفة الأحكام عن طريق الإلهامات والمخاطبات. والله أعلم .

(١) انظر الفتح ١٢/٣٨٨، ٣٨٩ .

المبحث الرابع:الرؤى المنامية :

الرؤيا هي ما يُرَى في المنام [١] وقد تخفف الهمزة فيقال بالواو : رُوياَ ورأيت عنك رُؤياً حسنة: حلمتها، وأرأى الرجل إذا كثرت رُؤَاهُ على وزن رُعَاه وهي أحلامهم. وقد تكون الرؤيا في اليقظة، قال الراعي:

فكبر للرؤيـــا وهش فـــؤاده ... وبشر نفساً كان قبل يلومها

وعليه فسر قوله تعالى :

﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ [٢][٣].

وقال تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق . . .﴾ [٤].

وجاء في الحديث: «لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصادقة» [٥][٦].

قال الراغب: (الرؤيا على أضرب بحسب قوى النفس:

الأول: إدراك المرء بحاسة البصر وما يجري مجراها نحو قوله تعالى: ﴿لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين﴾.

---

(١) لسان العرب مادة رأى (١٤/٢٩٧) والمفردات (٢٠٩) .

(٢) الإسراء (٦٠) .

(٣) لسان العرب مادة رأي (١٤/٢٩٧) .

(٤) الفتح (٢٧) .

(٥) سيأتي تخريجه انظر (ص ٢١٥) .

(٦) المفردات (٢٠٩) .

الثاني: إدراك بالوهم والتخيل نحو قوله تعالى: ﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا . . .﴾ [١].

الثالث: إدراك بالتفكر النظري نحو قوله تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿إني أرى مالا ترون﴾ [٢].

الرابع: إدراك بالعقل وعلى ذلك حمل قوله سبحانه وتعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ [٣][٤].

وهذا غير صحيح، والصواب أنه رأى جبريل ـ عليه السلام ـ ببصره، ولم ير ربه عياناً على الصحيح .

قال الحافظ في الفتح: (الرؤيا هي ما يراه الشخص في منامه وهي بوزن فعلى وقد تسهل الهمزة .

وقال الواحدي: هي في الأصل مصدر كالبشرى فلما جعلت اسماً لما يتخيله النائم أجريت مجرى الأسماء.

قال ابن العربي: الرؤيا إدراكات علقها الله تعالى في قلب العبد على يد ملك أو شيطان إما بأسمائها أي حقيقتها، وإما بكناها أي بعباراتها وإما تخليط. ونظيرها في اليقظة الخواطر فإنها قد تأتي على نسق في قصة وقد تأتي مسترسلة غير محصلة) [٥].

---

(١) الأنفال (٥٠) .

(٢) الأنفال (٤٨) .

(٣) النجم (١٣) .

(٤) المفردات (٢٠٨) .

(٥) انظر الفتح (٣٥٢/١٢) .

أنواع الرؤيا :

يمكن تقسيم الرؤى إلى قسمين :

قسم خاص بالأنبياء وقسم عام يشمل الأنبياء وغيرهم من الناس.

وهذا القسم الأخير ينقسم بحسب نوع الرؤيا إلى ثلاثة أقسام:

الأول: رؤيا من الله وتسمى بالرؤيا الصادقة .

الثاني: رؤيا من الشيطان وتسمى بالرؤيا الكاذبة .

الثالث: ما يحدث به المرء نفسه ويشغلها به ثم يرى في المنام ما كان يحدث نفسه به .

وقد دل على هذا التقسيم عدة أحاديث وآثار سيأتي ذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى. وسيأتي تحت كل قسم ما يخصه منها، وأشير هنا إلى ما أورده البخاري ــ رحمه الله تعالى ــ في صحيحه عن محمد بن سيرين [(١)]. في سياقه لحديث أبي هريرة وفيه قال: أي أبو هريرة (وكان يقال الرؤيا حديث النفس وتخويف الشيطان وبشرى من الله فمن رأى شيئاً يكرهه فلا يقصه على أحد، وليقم فليصل ...) [(٢)].

---

(١) محمد بن سيرين أبو بكر الأنصاري الأنسي البصري مولى أنس خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أدرك عدداً من الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ اختلف في وفاته فقيل مات ١١٠ وقيل ١٢٠ . انظر السير ٤/٦٠٦ .

(٢) البخاري (ح ٧٠١٧) .

رؤيا الأنبياء :

رؤيا الأنبياء مصدر من مصادر الوحي لأنهم معصومون ورؤياهم معصومة من الشيطان وهذا باتفاق الأمة [١].

قال محمد بن كعب: كانت الرسل يأتيهم الوحي من الله تعالى أيقاظاً ورقوداً، فإن الأنبياء لا تنام قلوبهم.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: رؤيا الأنبياء وحي واستدل بقوله تعالى: ﴿قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى. . .﴾ [٢].

وقال في قوله تعالى عن يوسف: ﴿إني رأيت أحد عشر كوكباً﴾ [٣] كانت الرؤيا وحياً.

وقال قتادة: (رؤيا الأنبياء حق إذا رأوا في المنام شيئاً فعلوه) [٤].

وقال القرطبي: (وهذا ثبت في الخبر المرفوع قال صلى الله عليه وسلم: «إنا معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا»...) [٥].

---

(١) حكى هذا الإتفاق ابن القيم، انظر مدارج السالكين (٦٢/١) .

(٢) الصافات (١٠٢).

(٣) جامع البيان (١٥١/٢١).

(٤) جامع البيان ٧٨/٢٣.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٧١/١ عن طلحة بن عمر عن عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث. قال الألباني: إسناده ضعيف مرسل. لكن يشهد له حديث أنس بن مالك في الإسراء وفيه (..والنبي نائمة عيناه ولا تنام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم). أخرجه البخاري (ح ٣٥٧)، وأحمد ٢٧٤/١. =

وقال ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ : (رؤيا الأنبياء وحي كما قال ذلك ابن عباس وعبيده وابن عمير وقرأ قوله تعالى: ﴿إني أرى في المنام أني أذبحك﴾ [١].

وقد كان مبدأ الوحي بالرؤيا الصادقة التي كان يراها النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت: (أول ما بدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح...) [٢].

فكانت مدة الوحي بالرؤيا ستة أشهر[٣] ثم جاءه وحي اليقظة حينما نزل عليه جبريل عليهما السلام.

وفي رواية ابن عقيل الرؤيا الصادقة بدلاً من الصالحة[٤]

قال ابن حجر ــ رحمه الله تعالى ــ في بيان معنى اللفظتين: (هما بمعنى واحد بالنسبة إلى أمور الآخرة في حق الأنبياء، وأما بالنسبة إلى أمور الدنيا فالصالحة في الأصل أخص، فرؤيا النبي كلها صادقة وقد تكون صالحة وهي الأكثر وغير صالحة بالنسبة للدنيا كما وقع في الرؤيا يوم أحد...) [٥].

= وللحديث شواهد انظر السلسة الصحيحة (٣/٢٨٠، ح ١٧٠٥).

(١) الفتاوى (١٧/٥٣٢).

(٢) تقدم تخريجه انظر ص ١٧٨.

(٣) انظر الفتح (١/٢٧).

(٤) رواه البخاري ح (٦٩٨٢).

(٥) فتح البخاري ١٢/٣٥٥.

ومن رؤيا الأنبياء ما حصل لخليل الرحمن إبراهيم ـــ عليه السلام ـــ حيث إن الله جل ثناؤه أمره أن يذبح ابنه من خلال رؤياً رآها في المنام قال تعالى: ﴿وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين* رب هب لي من الصالحين* فبشرناه بغلام حليم* فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين* فلما أسلما وتله للجبين* وناديناه أن يا إبراهيم* قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ (١).

فهذه الرؤيا حق ووحي من الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ إلى خليله إبراهيم ـــ عليه السلام ـــ .

وكذلك رؤيا الأنبياء جميعاً. فهذا يوسف ـــ عليه السلام ـــ رأى رؤيا فوقعت كما رأى، قال تعالى: ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين* قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ (٢).

فوقعت الرؤيا وتحققت كما رآها يوسف ـــ عليه السلام ـــ .

قال تعالى مخبراً عن تحققها: ﴿ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً قال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا . . .﴾ (٣).

---

(١) الصافات ٩٩-١٠٥.

(٢) يوسف (٤- ٥).

(٣) يوسف ١٠٠.

وقال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ في معنى هذه الآية : (أي هذا ما آل إليه الأمر فإن التأويل يطلق على ما يصير إليه الأمر كما قال تعالى: ﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله﴾ [١] أي يوم القيامة يأتيهم ما وعدوا من خير أو شر. وقوله: ﴿قد جعلها ربي حقا﴾ أي صحيحة صدقاً) [٢].

وقد تقدم أن أول مجيء الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم كان عن طريق الرؤيا الصالحة. ثم كثرة رؤاه ــ عليه الصلاة والسلام ــ وهذا بعض منها:

قال الله تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾ [٣].

قال ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ : (يقول تعالى ذكره وإن الله يا محمد سميع لما يقول أصحابك، عليم بما يضمرون؛ إذ يريك الله عدوك وعدوهم ﴿في منامك قليلاً﴾ يقول: يريكهم في نومك قليلا فتخبرهم بذلك حتى قويت قلوبهم واجترأوا على حرب عدوهم؛ ولو أراك ربك عدوك

---

(١) الأعراف ٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/٣٣٦.

(٣) الفتح ٢٧.

وعدوهم كثيراً لفشل أصحابك وخافوا ولم يقدروا على حرب القوم؛ ولتنازعوا في ذلك ولكن الله سلمهم بما أراك في منامك من الرؤيا إنه عليم بما تخفيه الصدور...)[١].

وعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رأيت كأن امرأة سوداء ناثرت الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة وهي الجحفة فأولت أن وباء المدينة نقل إليها)[٢].

ومنها حديث أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ أرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رأيت رؤيا أني هززت سيفاً فانقطع صدره فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد. ثم هززته أخرى فعاد كأحسن ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين. ورأيت فيها بقراً والله خير، فإذا هم المؤمنون يوم أحد)[٣].

ومنها حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرمصياء امرأة أبي طلحة، وسمعت خشخشة فقلت من هذا؟ فقال: هذا بلال. ورأيت قصراً بفنائه جارية فقلت لمن هذا؟ فقال: لعمر. فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك. فقال عمر بأبي وأمي أنت يا رسول الله أعليك أغار؟)[٤].

---

(١) جامع البيان ١٤/٥٦٩- ٥٧٠.

(٢) رواه البخاري (ح ٧٠٣٨).

(٣) رواه البخاري (٤٠٨١).

(٤) رواه البخاري (٣٦٧٩).

ومنها حديث سمرة بن جندب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «من رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال: فإن رأى أحد قصها، فيقول ما شاء الله. فسألنا يوماً فقال: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قلنا لا. قال: لكني رأيت الليلة رجلين أتياني فأخذا بيدي فأخرجاني إلى الأرض المقدسة...»[1] وفيه أنه رأى أصناف المعذبين من هذه الأمة فذكر الكذاب والذي آتاه الله القرآن فنام عنه بالليل و لم يعمل به في النهار والزناة، وأكلة الربا، ورأى إبراهيم الخليل ـــ عليه السلام ـــ وحوله صبيان.

ورُأى النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة جداً مدونة في كتب السنة، وهذا ليس مكان ذكرها. وقد أفرد البخاري ومسلم وأصحاب السنن وغيرهم أبواباً في الرؤيا وتعبيرها، وما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم ولصحابته الكرام منها.

رؤيا غير الأنبياء:

تقدمت الإشارة إلى أن هذا النوع ينقسم إلى ثلاثة أقسام، وسأذكرها هنا بإيجاز:

القسم الأول: الرؤيا الصادقة التي تكون من الله:

هذه الرؤيا تعرف باسم الرؤيا الصادقة؛ لأنها تكون من الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ وما كان من الله فهو حق.

---

(١) رواه البخاري (١٣٨٦).

وتحصل في أغلب الأحيان للمؤمنين المتقين. وهي المعنية بقوله صلى الله عليه وسلم: «رؤيا المؤمن جزء من ست وأربعين جزءً من النبوة» [١].

وفي رواية أنها: «جزء من سبعين جزء من النبوة» [٢].

ومعنى أنها جزء من النبوة أي في صدق الخبر؛ لا بكونها مصدر من مصادر التشريع التي يعول عليها.

قال الخطابي: (الرؤيا تجيء على موافقة النبوة لا أنها جزء باق من النبوة) [٣].

وقال ابن بطال[٤]: (إن النبوة مأخوذة من الإنباء وهو الإعلام لغة، فعلى هذا المعنى أن الرؤيا خبر صادق من الله لا كذب فيه، كما أن معنى النبوة نبأ صادق من الله لا يجوز عليه الكذب فشابهت الرؤيا النبوة في صدق الخبر) [٥].

وقال ابن حجر ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (إن الرؤيا إنما كانت جزء من أجزاء النبوة لكونها من الله تعالى، بخلاف التي من الشيطان؛ فإنها

---

(١) رواه البخاري (ح ٦٩٨٨).

(٢) رواه مسلم (ح ٢٢٦٥).

(٣) انظر فتح الباري (١٢/٣٧٤).

(٤) علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال أبو الحسن كان من أهل العلم والمعرفة، عُني بالحديث. من أهل القرطبة له شرح البخاري، توفي في صفر عام ١٤٩. انظر: السير ١٨/٤٧، والأعلام ٤/٢٨٥.

(٥) انظر: الفتح ١٢/٣٧٣.

ليست من أجزاء النبوة. وأشار البخاري إلى ذلك في ترجمته في كتاب الرؤيا بقوله: باب الرؤيا الصالحة جزء من ست وأربعين جزءً من النبوة)[١].

فهذا النوع من الرؤيا يكون من الله كما بين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «الرؤيا الصالحة من الله. والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلماً يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ من الشيطان فإنها لا تضره» [٢].

قال القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ: (الرؤيا الصادقة من الله وأنها من النبوة، قال صلى الله عليه وسلم: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان». وإن التصديق بها حق ولها التأويل الحسن، وربما أغنى بعضها عن التأويل، وفيها من بديع الله ولطفه ما يزيد المؤمن في إيمانه. ولا خلاف في هذا بين أهل الدين والحق من أهل الرأي والأثر، ولا ينكر الرؤيا إلا أهل الإلحاد وشرذمة من المعتزلة.

وأصدق الناس رؤيا أصدقهم حديثاً، فصدق الرؤيا تكون بحسب صدق الرآئي، فمن أراد أن تصدق رؤياه فليتحر الصدق وأكل الحلال؛ والمحافظة على الأمر والنهي؛ ولينم على طهارة كاملة مستقبل القبلة؛ وليذكر الله حتى تغمض عيناه؛ فإن رؤياه لا تكاد تكذب البتة) [٣].

---

(١) انظر فتح الباري ٣٧٤/١٢.

(٢) رواه البخاري (ح ٣٢٩٢).

(٣) انظر مدارج السالكين ٦٠/١-٦٣.

وأصدق الرؤيا رؤيا الأسحار لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أصدق الرؤيا بالأسحار» [١].

(فوقت الأسحار وقت النـــزول الإلهي واقتراب الرحمة والمغفرة وسكون الشياطين، وعكسه رؤيا العتمة عند انتشار الشياطين والأرواح الشيطانية) [٢].

وإذا تواطأت رؤيا المؤمنين لم تكد تكذب، فمتى ما توافق الجماعة على رؤيا واحدة فهي صحيحة لا محالة. ويدل على ذلك حديث ابن عمر: (أن رجالاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أوروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر) [٣].

قال ابن حجر ــ رحمه الله تعالى ــ : (يستفاد من الحديث أن توافق الجماعة على رؤيا واحدة دال على صدقها وصحتها كما تستفاد قوة الخبر من المتواتر على الأخبار من جماعة) [٤].

وهذه الرؤيا ليست طريقاً شرعياً تعرف بها الأحكام، بل لا بد من

---

(١) رواه مسلم (ح ٢٢٦٣).

(٢) مدارج السالكين ٦٣/١.

(٣) متفق عليه، البخاري (ح ٦٩٩١) ومسلم (ح ١١٦٥).

(٤) فتح الباري ٣٨٠/١٢.

عرضها على الوحي، فإن كانت موافقة له وإلا ردت على صاحبها.

قال ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ : (إن قيل فما تقولون إذا كانت رؤيا صادقة أو تواطأت؟ قلنا متى كانت كذلك استحال مخالفتها للوحي بل لا تكون إلا مطابقة له أو منبهة على اندارج قضية خاصة في حكمه لم يعرف الرائي اندراجها فيه فيتنبه في الرؤيا على ذلك) [١].

إذا كانت الرؤيا الصادقة من الله فكيف تقع من الكافر:

هذا إشكال قد يورده البعض، وهو إن كانت الرؤيا الصادقة من الله وهي جزء من النبوة فكيف يكون الكافر والفاسق والكاذب أهلاً لها؟

وقد وقعت من بعض الكفار وغيرهم ــ ممن لا يرضى دينهم ــ منامات صحيحة صادقة كمنام رؤيا الملك الذي رأى سبع بقرات، ومنام الفتيين في السجن، ورؤيا بختنصر[٢] الذي فسرها دانيال[٣] بزوال ملكه،

(١) مدارج السالكين ١/٦٢- ٦٣،

(٢) هو أحد ملوك الفرس الذين سلطهم الله على بني إسرائيل فقتلهم وسباهم إلى بلاده وخرب بيت المقدس انظر تاريخ الطبري ١/٥٣٨-٥٣٩، والبداية والنهاية لابن كثير ٢/٣٢، ومما يذكر في مصادر التاريخ القديمة أنه ملك لأحد الدول القديمة التي قامت في العراق، وكانت تسمى بالأشورية، انظر تاريخ العرب ما قبل الإسلام ١/٥٧٤، وما بعدها.

(٣) دانيال ــ عليه السلام ــ أحد أنبياء بني إسرائيل وقع في الأسر عندما سبي بختنصر بني إسرائيل، وأقام في السجن، مات في أرض فارس، وقد وجده أبو موسى الأشعري ــ رضي الله عنه ــ في تابوت على هيئته فدفنه وبشر بذلك عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ ، وهذه معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه =

ورؤيا كسرى في ظهور النبي صلى الله عليه وسلم، ومنام عاتكة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمره وهي كافرة، ورؤيا عبد المطلب في حفر بئر زمزم وغيرها.

وقد ترجم البخاري ــ رحمه الله تعالى ــ في صحيحه لذلك فقال: باب رؤيا أهل السجون والفساد والشرك. وأورد قصة رؤيا الفتيين اللذين كانا في السجن مع يوسف ــ عليه السلام ــ .

وقد أجاب الإمام القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ على هذا الإشكال بعد أن ساقه فقال: (إن الكافر والفاجر والفاسق والكاذب وإن صدقت رؤياهم في بعض الأوقات لا تكون وحياً ولا من النبوة، إذ ليس كل من صدق في حديث غيب يكون خبره نبوة، فالكاهن وغيره قد يخبر بكلمة الحق فيصدق؛ لكن ذلك على الندور والقلة فكذلك رؤيا هؤلاء. قال المهلب: إنما ترجم البخاري بهذا لجواز أن تكون رؤيا أهل الشرك رؤيا صادقة كما كانت رؤيا الفتيين صادقة، إلا أنه لا يجوز أن تضاف إلى النبوة إضافة رؤيا المؤمن إليها؛ إذ ليس كل ما يصح له تأويل الرؤيا حقيقة يكون جزء من النبوة) [١].

وقال ابن حجر ــ رحمه الله تعالى ــ الرؤيا الصحيحة وإن اختصت غالباً بأهل الصلاح؛ لكن قد تقع لغيرهم. قال أهل العلم بالتعبير: إذا رأى

= وسلم حيث أخبر أن دانيال دعى ربه أن تدفنه أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

(١) الجامع لأحكام القرآن ٩/١٢٤- ١٢٥.

الكافر أو الفاسق الرؤيا الصالحة فإنها تكون بشرى له بهدايته إلى الإيمان مثلا أو التوبة، أو تكون إنذار من بقائه على الكفر أو الفسق، وقد تكون لغيره ممن ينسب إليه الفضل، وقد يرى ما يدل على الرضا بما هو فيه ويكون من جملة الابتلاء والغرور والمكر نعوذ بالله من ذلك) [(١)].

وقد تكون الرؤيا الصحيحة من الكافر إنذارا له وحجة عليه أو استدراجاً له وزيادة في إغوائه وإضلاله كما تقدم ذكره.

أما المؤمن فإنها قد تكون له تبشيراً وتوجيها له، وقد تكون تمهيداً وتسلية لما سيقع عليه من المصائب حتى يصبر عليها ويتحملها بصدر راض فمجيئها يعد تمهيداً وسابق إنذار يكون وقعها أهون بكثير فيما لو وقعت بغتة والله أعلم.

أنواع من الرؤيا الصادقة:

أ ــ الرؤيا في آخر الزمان:

في آخر الزمان تكثر رؤيا المؤمن وتكون صادقة لا تكاد تكذب، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب....» [(٢)].

وفي رواية للترمذي: «وفي آخر الزمان لا تكاد رؤيا المؤمن تكذب...» [(٣)].

---

(١) فتح الباري ٣٨١/١٢.

(٢) متفق عليه البخاري (ح ٧٠١٧)، ومسلم (ح ٢٢٦٣).

(٣) الترمذي (ح ٢٢٩١).

وفي رواية لابن ماجة: «إذا قرب الزمان.....» [١].

قال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في معنى هذا الحديث: (قال ابن بطال المعنى أنه إذا اقتربت الساعة وقبض أكثر العلم ودرست معاني الديانة بالهرج والفتنة فكان الناس على مثل الفترة محتاجين إلى مذكر ومجدد لما درس من الدين كما كانت الأمم تذكر بالأنبياء، لكن لما كان نبينا خاتم الأنبياء؛ وصار الزمان المذكور يشبه زمان الفترة عوضوا بما منعوا من النبوة بعده بالرؤيا الصادقة التي هي جزء من النبوة الآتية بالتبشير والإنذار) [٢].

وقال القرطبي في المفهم[٣]: (المراد بآخر الزمان زمان الطائفة الباقية مع عيسى ـ عليه السلام ـ بعد قتل الدجال، فإنهم أحسن هذا الأمة حالا بعد الصدر الأول، وأصدقهم أقوالا فكانت رؤياهم لا تكذب ومن ثم قال عقب هذا : (أصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً) [٤].

وقد أخرج مسلم عن ابن عباس قال: كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر فقال: «أيها الناس إنه لم يبق من ميراث النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له...» [٥].

---

(١) ابن ماجة (ح ٣٩١٨).

(٢) فتح الباري ٤٠٥/١٢.

(٣) المفهم شرح مختصر مسلم لأبي العباس أحمد بن إبراهيم القرطبي المتوفى عام: ٦٥٦. انظر بروكلمان ١٨١/٣، وسزكين ٣٥٦/١.

(٤) انظر: فتح الباري ٤٠٦/١٢.

(٥) مسلم (ح ٤٧٩).

وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصادقة» [١]. ورواه غيرهما من أهل السنن.

فمعنى الحديث: (أن الوحي ينقطع بموت النبي صلى الله عليه وسلم ولا يبقى ما يعلم منه ما سيكون إلا الرؤيا) [٢].

ب ـــ رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام:

جاء في السنة الصحيحة أن الذي يرى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فإنه يراه حقيقة، لأن الله عصم النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبله فلا يمكن أن يتمثل الشيطان في صورته فقد حماه الله حياً وميتاً.

روى البخاري ـــ رحمه الله تعالى ـــ في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي...» [٣].

وفي حديث أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ : «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي» [٤].

---

(١) البخاري (ح٦٩٩٠).

(٢) فتح الباري ٣٧٦/١٢.

(٣) رواه البخاري (ح ٦٩٩٤)

(٤) رواه البخاري (ح ٦٩٩٣).

وفي حديث أبي سعيد الخدري «من رآني فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتكونني»[(١)].

فدلت هذه الأحاديث على أن من رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فإنه قد رآه حقيقة إذا كان رآه بالصورة التي كان عليها لأن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بنفس صورة النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن ليس كل من ادعى أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقبل منه؛ بل لا بد من سؤاله عن صفاته فإن وافقت الصفات التي وصفها الرائي صفات النبي صلى الله عليه وسلم قبل منه أن الذي رآه في المنام هو النبي صلى الله عليه وسلم وإلا فلا.

وقد كان محمد بن سيرين ـــ رحمه الله تعالى ـــ (إذا قص عليه رجل أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم قال: صف لي الذي رأيته فإنه وصف له صفة لا يعرفها قال: لم تره)[(٢)].

قال ابن حجر ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (ويؤيده ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم بن كليب حدثني أبي قال: (قلت لابن عباس: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، قال: صفه لي، قال ذكر الحسن بن علي

---

(١) رواه البخاري (ح ٦٩٩٧).

(٢) انظر فتح الباري ١٢/٣٨٤، قال الحافظ سنده صحيح.

فشبهه به، قال: قد رأيته) [١] [٢].

قال: (.. وعلى ذلك جرى علماء التعبير فقالوا: إذا قال الجاهل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فإنه يسأل عن صفته فإن وافق الصفة المروية وإلا فلا يقبل منه...) [٣].

وقال.... ومعنى قوله (فقد رأى الحق) أي رأى الحق الذي قصد إعلام الرائي فإن كانت على ظاهرها وإلا سعى في تأويلها ولا يهمل أمرها لأنها إما بشرى بالخير أو إنذار من شر، إما ليخيف الرائي وإما لينـــزجر عنه، وإما لينبه على حكم يقع له في دينه أو دنياه) [٤].

ولا بد من عرض هذه الرؤيا على الكتاب والسنة فما وافقها فهو صحيح وما خالفها فلا عبرة فيه.

قال ابن حجر ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (لو رأى النائم النبي صلى الله عليه وسلم يأمره بشيء هل يجب عليه امتثاله ولا بد؟ أم لا بد أن يعرضه

---

(١) رواه الحاكم ٣٩٣/٤ وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة، ووافقه الذهبي على صحته ولفظه: (..عن عاصم بن كليب قال: حدثني أبي أنه سمع أبا هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من رآني في المنام فقد رآني في اليقظة فإن الشيطان لا يتمثل بي» قال أبي : فحدثت فيه ابن عباس وقلت قد رأيته صلى الله عليه وسلم فذكرت الحسن بن علي فشبهته به فقال: إنه كان يشبهه) قال الحافظ سنده جيد. الفتح ٣٨٤/١٢.

(٢) انظر الفتح ٣٨٤/١٢.

(٣) فتح الباري ٣٨٧/١٢.

(٤) فتح الباري ٣٨٤/١٢، ٣٨٥.

على الشرع الظاهر؟ والثاني هو المعتمد) [١].

وقال في موضع آخر: (من رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فأمره بأمر يخالف نصاً فلا يكون ذلك الحكم مشروعاً لا في حقه ولا في حق غيره) [٢].

وقال ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ: (رؤيا غير الأنبياء تعرض على الوحي الصريح فإن وافقته وإلا لم يعمل بها) [٣].

بل إذا رآه وأمره بخلاف ما جاء به من الشرع فإن ذلك يدل على أنه لم يره وإنما تمثل له شيطان وادعى أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم. والله أعلم.

القسم الثاني: الرؤيا التي تكون من الشيطان:

هذه الرؤيا تسمى الرؤيا الكاذبة لأن الشيطان قد يعرض فيها لابن آدم فيصور له صوراً وتخيلات تأمره فيها بما يخالف الشرع، أو قد يلعب به فيصور له أشياء تخيفه وتزعجه لأنه عدو لبني آدم منذ خلق آدم، وقد جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: رأيت في المنام كأن رأسي ضرب فتدحرج فاشتددت على أثره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأعرابي: «لا تحدث الناس بتلعب الشيطان بك في

---

(١) فتح الباري ٣٨٩/١٢.

(٢) فتح الباري ٣٧٤/١٢، ٣٧٥.

(٣) مدارج السالكين ٦٢/١.

منامك»[١].

وقال جابر ـــ رضي الله عنه ـــ راوي الحديث: «سمعت النبي صلى الله عليه وسلم بعد يخطب فقال: «لا يحدثن أحدكم بتلاعب الشيطان به في منامه»[٢].

وكان أبو قتادة ـــ رضي الله عنه ـــ يقول: «كنت أرى الرؤيا تمرضني حتى سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «الرؤيا الحسنة من الله فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ من شرها ومن شر الشيطان وليتفل ثلاثاً ولا يحدث بها أحداً فإنها لن تضره»[٣].

وكذلك كان أبو سلمة ـــ رضي الله عنه ـــ يقول: «إني كنت لأرى الرؤيا تمرضني قال فلقيت أبا قتادة فقال: وأنا كنت لأرى الرؤيا لتمرضني...» ثم ساق الحديث[٤].

ومعنى كونها من الشيطان أي أن الله يخلق ما يجعله علماً على ما يضر الرائي فيحضره الشيطان ذلك فيسر بها؛ ويخيل للرائي خيالات أخرى غيرها ولذلك نسبت إليه لما فيها من الكذب والتهويل وغير ذلك[٥].

---

(١) رواه مسلم (ح ٢٢٦٨).

(٢) رواه مسلم (ح ٢٢٦٨).

(٣) رواه البخاري (ح ٧٠٤٤)، ومسلم (ح٢٢٦١).

(٤) رواه مسلم (ح ٢٢٦١).

(٥) انظر فتح الباري ٣٩٣/١٢، وشرح النووي على مسلم ١٧/١٥.

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم من وجد مثل تلك الرؤيا أن يستعيذ من الشيطان وينفث عن يساره ثلاثاً ويقوم ويصلي ركعتين وليتحول من جنبه الذي كان عليه كما جاء ذلك في عدة أحاديث منها ما يلي:

قوله صلى الله عليه وسلم في حديث قتادة: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان فإذا رأى أحدكم شيئاً يكرهه فلينفث عن يساره ثلاث مرات وليتعوذ بالله من شرها فإنها لا تضره» (١).

وفي رواية: «وليتحول من جنبه الذي كان عليه» (٢).

وزاد في رواية أخرى قوله «ولا يخبر بها أحداً» (٣).

وفي رواية ثالثة: «.. وليتعوذ من شر الشيطان وشرها ولا يحدث بها أحداً فإنها لن تضره» (٤).

وقال القاضي عياض(٥) ـــ رحمه الله تعالى ـــ (وأمر بالنفث ثلاثاً

---

(١) رواه مسلم (ح ٢٢٦١).

(٢) رواه مسلم (ح ٢٢٦١) كتاب الرؤيا ح ٢).

(٣) رواه مسلم (ح ٢٢٦١) كتاب الرؤيا ح ٣).

(٤) المصدر السابق.

(٥) أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي. ولد عام ٤٧٦هـ. جلس للمناظرة وعمره ٢٨ سنة وتولى القضاء وله ٣٥سنة. وله مصنفات عديدة منها: الإكمال في شرح صحيح مسلم كمل به كتاب المعلم للمازري، ومشارق الأنوار، والشفاء في حقوق =

طرداً للشيطان الذي حضر رؤياه المكروهة تحقيراً له واستقذاراً. وخصت به اليسار لأنها محل الأقذار والمكروهات ونحوها.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم في الرؤيا المكروهة فلا يحدث بها أحداً فسببه أنه ربما فسرها تفسيراً مكروهاً على ظاهرها وصورتها وكان ذلك محتملا فوقعت كذلك بتقدير الله تعالى، فإن الرؤيا على رجل طائر، ومعناه أنها إذا كانت محتملة وجهين فَفُسِّرَت بأحدهما وقعت على قرب تلك الصفة، قالوا: وقد يكون ظاهر الرؤيا مكروهاً ويفسر بمحبوب وعكسه، وهذا معروف لأهله) [(١)].

القسم الثالث: ما يحدث المرء به نفسه:

هذا النوع من الرؤيا يحصل كثيراً لكثير من الناس، فقد ينام شخص وقلبه مشغول بشيء معين فيراه في المنام، وقد ينام وهو جائع يحدث نفسه بالأكل والشرب فيرى أنه يأكل ويشرب، وقد ينام وهو يفكر في مسألة معينة فتجده في منامه يبحث حلولها ويفك رموزها ويزيل إشكالاتها وهكذا.

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذا النوع وعده من الرؤيا التي تقع في المنام.

فعن أبي هريرة ــــ رضي الله عنه ــــ عن النبي صلى الله عليه وسلم

= المصطفى وغيرها توفي في محرم عام ٥٠٤هـــ انظر: السير ٢١٢/٢٠.

(١) شرح النووي على مسلم ١٨/١٥.

أنه قال: «...الرؤيا ثلاثة: فرؤيا صالحة بشرى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث به المرء نفسه»[(١)].

الرؤيا وعلم الغيب:

بعد ذكر هذا التقسيم الموجز لأنواع الرؤيا يبقى الكلام عن علاقتها بالغيب، وهل يمكن من خلالها الاطلاع على بعض الغيوب أم لا؟ هذا ما سيتبين إن شاء الله فيما يلي:

فالقسم الثاني والثالث من الرؤيا: تبين أنه لا يعتمد عليه في شيء؛ لا في علم الغيب ولا في غيره.

أما القسم الأول: فإنه يمكن أن يعرف الرائي بعض ما سيقع في المستقبل أو غيره عن طريق الرؤيا الصادقة، وقد حدث كثير من ذلك لكثير من الناس، وما زال؛ يحدث سواء كانت الرؤيا صريحة أو تحتاج إلى تأويل، وهذا لا ينكره إلا مكابر أو جاحد. وأقوال العلماء في ذلك كثيرة منها ما يلي:

قال ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ بعد أن ساق عدة وقائع من الرؤيا المنامية التي حصل فيها معرفة شيء من الغيوب النسبية قال: (وهذا باب طويل جداً فإن لم تسمح نفسك بتصديقه وقلت هذه منامات وهي غير معصومة؛ فتأمل من رأى صاحباً له أو قريباً أو غيره فأخبر بأمر لا يعلمه إلا صاحب الرؤيا، أو أخبره بمال دفنه، أو حذره من أمر يقع، أو

---

(١) رواه مسلم (ح ٢٢٦٣) والبخاري موقوفاً (ح ٧٠١٧).

بشره بأمر يوجد فوقع كما قال، أو أخبره بأنه يموت هو أو بعض أهله إلى كذا وكذا فيقع كما أخبر، أو أخبره بخصب أو جدب أو عدو أو نازلة أو مرض أو بغرض له فوقع كما أخبره، والواقع من ذلك لا يحصيه إلا الله، والناس مشتركون فيه، وقد رأينا نحن وغيرنا من ذلك عجائب.

وأبطل دعوى من قال: إن هذه علوم وعقائد في النفس تظهر لصاحبها عند انقطاع نفسه عن الشواغل البدنية بالنوم، وقال: هذا عين الباطل والمحال؛ فإن النفس لم يكن فيها قط معرفة هذه الأمور التي يخبر بها الميت ولا خطرت ببالها ولا عندها علامة عليها ولا أمارة بوجه ما، ونحن لا ننكر أن الأمر قد يقع كذلك. وأن من الرؤيا ما يكون من حديث النفس وصورة الاعتقاد، بل كثير من مرائي الناس إنما هي مجرد صور اعتقادهم المطابق وغير المطابق فإن الرؤيا على ثلاثة أنواع) [١].

وذكر الأنواع الثلاثة التي مر ذكرها.

وقال القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ : (إن من الرؤيا الصادقة التي تقع من المؤمن فيها إخبار عن الغيب وقد يقع من الكافر رؤيا تخبر عن مغيبات، وهذا كثير ولكن رؤيا الكافر ليست من النبوة) [٢].

وقال الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله تعالى ــ في شرحه لحديث الرؤيا جزء من ست وأربعين جزءً من النبوة قال بعد أن ذكر قول مالك

---

(١) الروح ٤٢، ٤٣.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ١٢٤/٩.

عندما سئل أيعبر الرؤيا كل أحد قال: (أيلعب بالنبوة) قال الحافظ معلقاً عليه: (لم يُرد أن الرؤيا نبوة باقية وإنما أراد أنها لما أشبهت النبوة من جهة الاطلاع على بعض الغيب فلا ينبغي أن يتكلم فيها بغير علم) [١].

وقال في موضع آخر: (الرؤيا لا تكون إلا من أجزاء النبوة إن صدرت من مسلم صادق صالح، ومن ثم قيدت بذلك في حديث (رؤيا المسلم جزء من أجزاء النبوة). فإنه جاء مقتصراً على المسلم، وأخرج الكافر، وجاء مقيداً بالصالح تارة، وبالصالحة تارة، وبالحسنة وبالصادقة، فيحمل المطلق على المقيد، وهو الذي يناسب حاله حال النبي فيكرم بما أكرم به النبي صلى الله عليه وسلم وهو الاطلاع على شيء من الغيب، أما الكافر والمنافق والكاذب والخلط وإن صدقت رؤياهم فإنها لا تكون من الوحي ولا من النبوة...) [٢] وقد تقدم هذا.

وقال ابن العربي ـ رحمه الله تعالى ـ : (أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين أن أجزاء النبوة لا يعلم حقيقتها إلا ملك أو نبي، وإنما القدر الذي أراده النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين أن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة في الجملة لأن فيه اطلاعاً على الغيب من وجهة ما، وأما تحصيل النسبة فيختص بمعرفته درجة النبوة) [٣].

---

(١) الفتح ٣٦٣/١٢.

(٢) فتح الباري ٤٠٦/١٢.

(٣) انظر فتح الباري ٣٦٤/١٢.

وقال المازري: (يحتمل أن يراد بالنبوة في هذا الحديث الخبر بالغيب لا غير) [١].

ونقل النووي عنه قوله: (ويحتمل أن يكون المراد [في الحديث] أن المنام فيه إخبار بالغيب وهو إحدى مراتب النبوة) [٢].

كيف يحصل الاطلاع على الغيب النسبي في المنام:

بين ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ كيف يتم في المنام الاطلاع على بعض المغيبات فقال: (إن أرواح الأحياء تتلاقى في المنام كما تتلاقى أرواح الأحياء والأموات.

قال بعض السلف إن الأرواح تتلاقى في الهواء فتتعارف أو تتذاكر فيأتيها ملك الرؤيا بما هو لاقيها من خير أو شر، قال: وقد وكل الله بالرؤيا الصادقة ملكاً علمه وألهمه معرفة كل نفس بعينها واسمها ومتقلبها في دينها ودنياها وطبعها ومعارفها ولا يشتبه عليه منها شيءٌ ولا يغلط فيها، فتأتيه نسخة من علم غيب الله من أم الكتاب بما هو مصيب لهذا الإنسان من خير وشر في دينه ودنياه، ويضرب له فيها الأمثال والأشكال على قدر عادته، فتارة يبشره بخير قدمه أو يقدمه، وينذره عن معصية ارتكبها أو هم بها، ويحذره من مكروه انعقدت أسبابه ليعارض تلك الأسباب بأسباب تدفعها ولغير ذلك من الحكم والمصالح التي جعلها الله في

(١) فتح الباري ٣٦٣/١٢.

(٢) شرح النووي على مسلم ٢١/١٥.

الرؤيا نعمة منه ورحمة وإحساناً وتذكيراً وتعريفاً، وجعل أحد طرق ذلك تلاقي الأرواح وتذاكرها وتعارفها. وكم ممن كانت توبته وصلاحه وزهده وإقباله على الآخرة عن منام أو رؤيا رويت له، وكم ممن استغنى وأصاب كنـــزاً دفيناً عن منام)[١].

وهذا الكلام يحتاج إلى دليل. ولكن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ استدل على ذلك بالواقعات التي وقعت وتقع لكثير من الناس.

والوقائع من الخبر عن غيب سيقع في المستقبل أو نحو ذلك كثيرة جداً أذكر منها ما يلي:

١ـ رؤيا ملك مصر التي ذكرها الله في كتابه، قال تعالى: ﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾[٢].

وأولها يوسف ـ عليه السلام ـ قال تعالى: ﴿قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون* ثم يأتي من بعد ذلك سبع عجاف يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون* ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾[٣].

ففي هذه الرؤيا عرف الملك وقومه في ذلك الوقت أموراً قـــدرها

---

(١) الروح ٤٦، ٤٧.

(٢) يوسف (٤٣).

(٣) يوسف (٤٧، ٤٩).

الله وعلمها و لم تقع فأطلعهم عليها عن طريق رؤيا الملك وتأويل يوسف عليه السلام.

٢ــ رؤيا الفتيين اللذين كانا مع يوسف ــ عليه السـلام ــ في السجن قال تعالى: ﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبأنا بتأويله إنا نراك من المحسنين﴾ [1].

فهذه من أمور الغيب التي اطلع عليها الفتيان من خـلال الرؤيـا وعرفاها بتأويل يوسف ــ عليه السلام ــ.

قال تعالى: ﴿ يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمراً وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ [2].

٣ــ ورؤيا بختنصر التي فسرها له دانيال بذهاب ملكـه فـذهب فوقع كما رأى في الرؤيا[3].

٤ــ رؤيا عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مصاب أهل مكة وخروجهم إلى حَربٍ بعد ثلاثة أيام من

---

(١) يوسف (٣٦).

(٢) يوسف (٤١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٩/١٢٤.

الرؤيا، فوقع ذلك في اليوم الثالث وخرج أهل مكة إلى لقاء النبي صلى الله عليه وسلم في بدر فكانت فيه مصارعهم، فما بقي بيت في مكة إلا وقد أصابه مصيبة من تلك الموقعة ولله الحمد والشكر[١].

٥ـ ومثل هذه الرؤيا رؤيا عبد المطلب حينما أتاه آت فأمره بحفر بئر زمزم ودله على مكانها[٢].

٦ـ ورؤيا جهم بن الصلت[٣] في الطريق إلى بدر حينما رأى مصارع قومه من المشركين وعدهم بأسمائهم شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة، وأبو جهل، وأمية وغيرهم[٤].

٧ـ ورؤيا الطفيل بن عمر[٥] حيمنا خرج إلى اليمامة لقتال

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٦٠٧/١.

(٢) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١٤٢/١.

(٣) جهم بن الصلت بن مَخرمة بن المطلب بن عبد مناف الكلبي، قال ابن سعد أسلم بعد الفتح ولا أعلم له رواية، وهو يكتب، وقد كتب للنبي صلى الله عليه وسلم.
وقال أبو عمر: أسلم عام خيبر وأطعمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ثلاثين وسقاً. الإصابة ٥٢٤/١.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ٦١٨/١.

(٥) الطفيل بن عمر بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس الدوسي، اختلف في وقت إسلامه، فقيل إنه أسلم في مكة ولحق بدوس ثم وافى النبي صلى الله عليه وسلم في عمرة القضاء، وشهد الفتح بمكة قاله ابن سعد وابن حبان.
وقيل قدم إلى النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي هريرة ـ رضي الله عنهما ـ بخيبر.
انظر: الإصابة ٥٢١/٣.

المرتدين، فقد رأى أنه يستشهد في تلك الموقعة فاستشهد ــ رضي الله عنه ــ[١].

٨ ــ رؤيا عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ مبعث النبي صلى الله عليه وسلم. قال عمر: «بينما أنا نائم عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه يقول يا جليح[٢] أمر نجيح[٣] رجل فصيح[٤] يقول لا إله إلا الله فقمت، فما نشبنا[٥] أن قيل هذا نبي »[٦].

٩ ــ رؤيا الأحياء للأموات وهي كثيرة جداً:

وقد ذكر ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ أمثلة كثيرة جداً في كتاب

---

(١) السيرة النبوية ٣٨٥/١.

(٢) معناه المكابر والمكاشف بالعدواة. اللسان ٣٢٦/٢ مادة جلح.

قال ابن حجر ــ رحمه الله تعالى ــ قال: ابن التين يحتمل أن يكون نادي رجلا بعينه، ويحتمل أن يكون أراد من تلك الصفة. قلت: وقع في معظم الروايات.. يا آل ذريع بالذال المعجمة والراء المهملة وآخره مهملة، وهم بطن مشهور في العرب) الفتح ١٨١/٦.

وقال ابن الأثير جليح اسم رجل قد ناداه، وبنوا جليحة بطن من العرب، اللسان ٤٣٦/٢ مادة جلح.

(٣) أي: أمر صواب وصحيح، اللسان ١٦٢/٢ مادة نجح.

(٤) أي بليغ فصيح اللسان. اللسان ٥٤٤/٢ مادة فصح.

(٥) أي فما لبثنا. اللسان ٧٥٧/١ مادة نشب.

(٦) رواه البخاري (ح ٣٨٦٦).

الروح أسوق منها مثالا واحداً فقط وهو:

رؤيا ثابت بن قيس[١] لما قتل شهيداً في اليمامة جاء رجل من المسلمين وأخذ الدرع الذي عليه، فبينما رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت في منامه فقال له أوصيك بوصية فإياك أن تضيعها أو تقول هذا حلم فتضيعه؛ إني لما قتلت أمس مر بي رجل من المسلمين فأخذ درعي، ومنـــزله في أقصى الناس، وعند خبائه فرس يستن في طوله وقد كفأ على الدرع برقة[٢] وفوق البرقة رجل فأت خالداً فمره أن يبعث إلى درعي فيأخذها، وإذا قدمت إلى المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـــ يعني أبا بكر الصديق ـــ فقل له إن علي من الدين كذا وكذا، وفلان من رقيقي عتيق وفلان، فأتى الرجل خالداً فأخبره فبعث إلى الدرع فأتى بها، وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته. قال[٣]: ولا نعلم أحداً أجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس رحمه الله...)[٤].

---

(١) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي خطيب الأنصار يوم قدم النبي صلى الله عليه وسلم وكان مما قال: نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا فما لنا؟ قال: الجنة، قالوا رضينا. قتل ـــ رضي الله عنه وأرضاه ـــ يوم اليمامة. انظر: الإصابة ٣٩٥/١.

(٢) البرقة القدر من الحجر.

(٣) أي أبو عمر راوي هذه القصة.

(٤) أخرجه الحاكم ٢٣٤/٣-٢٣٥ وصححه ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في المجمع ٣٣٢/٩، وقال: هو في الصحيح غير قصة الدرع، وراه الطبراني ورجاله رجال =

وعمل أبو بكر بهذه الوصية للقرائن التي حفَّت بها وعلم صدقها، ولعدم اعتراض الورثة على ذلك، والله تعالى أعلم.

قال ابن القيم: (وقد دل على التقاء أرواح الأحياء والأموات أن الحي يرى الميت في منامه فيستخبره ويخبره الميت بما لا يعلم الحي فيصادف خبره كما أخبر في الماضي والمستقبل، وربما أخبره بمال دفنه الميت في مكان لم يعلم به سواه [ثم ذكر نماذج لذلك وختم كلامه بقوله]: وبالجملة فهذا أمر لا ينكره إلا من هو أجهل الناس بالأرواح وأحكامها وشأنها)[1].

هل الرؤيا طريق لمعرفة الغيب:

ومما ينبغي أن ينبه عليه أن الرؤيا لا يمكن أن يعرف بها الغيب المطلق البتَّة لأن الغيب المطلق من خصائص الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ فلا يمكن أن يطلع عليه أحد لا نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا من أراد الله أن يطلعه عليه من أنبيائه ـــ صلوات الله وسلامه عليهم ـــ كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى في الباب الثالث.

وأيضا لا يمكن أن تكون الرؤيا طريقاً إلى معرفة الأحكام والشرائع، وقد ذكر ابن القيم ـــ رحمه الله تعالى ـــ أن صاحب الرؤيا لا يمكن أن يطلع من خلالها على علم الغيب الذي بعث به رسوله صلى الله عليه

= الصحيح. وذكرها بطولها ابن القيم في كتاب الروح ٢٣-٢٤.

(١) الروح ص ٣٢ وص ٤٨.

وسلم، ولا على تفاصيل المعاد وأشراط الساعة وتفاصيل الأمر والنهي والأسماء والصفات والأفعال ونحو ذلك مما لا يعلم إلا عن طريق الوحي)[١].

وقد تقدم الكلام على هذا والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر كتاب الروح ص ٤٣.

الباب الثاني: علم الغيب من خصائص الله

وفيه فصلان:

الفصل الأول : الأدلة على ذلك من الكتاب.

الفصل الثاني: الأدلة على ذلك من السنة.



الفصل الأول

الأدلة على اختصاص الله بعلم الغيب من الكتاب.

الفصل الأول: الأدلة على اختصاص الله بعلم الغيب من الكتاب

اختص الله ــ سبحانه وتعالى ــ بعلم الغيب دون من سواه فلا يمكن لأحد كائنا من كان أن يطلع على الغيب أو على شيء منه[1] إلا إذا أطلعه الله على شيء من ذلك، ولا يكون ذلك إلا للرسل ــ عليهم الصلاة والسلام ــ وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة، وقد أطبقت عليه نصوص الكتاب والسنة، ولولا ما حدث من بعض الفرق الضالة من ادعاء علم الغيب لغير الله، مخالفين بذلك نصوص الكتاب والسنة وما أطبقت عليه الأمة، وسلمت له الفطر والعقول السليمة، لما احتاج الباحث إلى إيراد النصوص الدالة على اختصاص الله سبحانه وتعالى به.

وقد ذكر الله ــ عز وجل في كتابه آيات كثيرة كلها تدل على اختصاصه بالغيب.

ومن هذه الآيات ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو. . .﴾[2].

قال ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ في معنى هذه الآية: إن عند الله علم ما غاب عن خلقه فلم يطلعوا عليه، ولم يدركوه ولن يعلموه ولن يدركوه، وعنده علم مالم يغب أيضا عنكم. فعنده علم كل شيء كائن

---

(١) أعني بالغيب هنا الغيب المطلق المختص بالله عز وجل.

(٢) الأنعام (٥٩).

ويكون وما هو كائن مما لم يكن بعد، وذلك هو الغيب)[1].

وقوله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون﴾[2].

قال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ في تأويلها: (يقول تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول معلماً لجميع الخلق أنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله عز وجل فإنه المتفرد بذلك وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو. .﴾ وقال: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث. .﴾ الآية[3].

وقال بنحوه ابن جرير الطبري والقرطبي ــ رحمهما الله تعالى ــ[4].

وقوله تعالى: ﴿ ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾[5].

قال ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ : (يقول تعالى ذكره ويقول هؤلاء المشركون هلا أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم علم ودليل يعلم به أن محمداً محق فيما يقول. فقال الله: فقل يا محمد لا يعلم أحد

---

(١) جامع البيان ٤٠٢/١١، بتصرف.

(٢) النمل ٦٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٢١٦/٦.

(٤) انظر جامع البيان ٥/٢٠، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٥/١٣.

(٥) يونس ٢٠.

بفعل ذلك إلا هو جل ثناؤه؛ لأنه لا يعلم الغيب ـــ وهو السر الخفي من الأمور ـــ إلا الله) [١].

وقوله تعالى: ﴿ ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر﴾ [٢].

قال ابن كثير ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (يخبر تعالى عن كماله وقدرته على الأشياء في علمه غيب السموات والأرض واختصاصه بذلك، فلا اطلاع لأحد على ذلك إلا أن يطلعه الله على ما يشاء..) [٣].

وقال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ نحوه[٤].

وقوله تعالى: ﴿قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض...﴾[٥].

قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (يقول تعالى ذكره لله غيب السموات والأرض لا يعزب عنه علم شيء منه، ولا يخفى عليه شيء، يقول: فسلموا له علم مبلغ ما لبث الفتية في الكهف إلى يومكم هذا؛ فإن

---

(١) جامع البيان ٤٨/١٥.

(٢) سورة النحل ٧٧.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٥٠٨/٤.

(٤) جامع البيان ١٥١/١٤.

(٥) الكهف ٢٦.

ذلك لا يعلمه سوى الذي يعلم غيب السموات والأرض وليس ذلك إلا لله الواحد القهار) [(١)].

وقال القرطبي بنحوه[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾ [(٣)].

قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (أي عالم ما غاب عن أبصار خلقه فلم يروه. فلا يظهر على غيبه أحداً فيعلمه أو يريه إياه؛ إلا من ارتضى من رسول فإنه يظهره على ما يشاء من ذلك)[(٤)].

وقال القرطبي ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (قال العلماء رحمة الله عليهم: لما تمدح الله سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم...) [(٥)].

---

(١) جامع البيان ٢٣٢/١٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ٣٨٧/١٠.

(٣) الجن (٢٦-٢٧).

(٤) جامع البيان ١٢٣١/٢٩.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ٢٨/١٩.

وبنحوه قال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ [١].

وقال تعالى: ﴿أم عندهم الغيب فهم يكتبون﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ [٣].

وآيات كثيرة كلها تدل على اختصاص الله ــ سبحانه وتعالى ــ بعلم الغيب وحده لا شريك له، وليس لمخلوق أياً كان أن يدعي معرفة الغيب؛ لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.

وقد أشرت إلى أن الله قد يطلع بعض رسله على شيء من الغيب، وذكرت الأدلة الدالة على ذلك، وسيأتي زيادة توضيح لهذه المسألة في الباب الثالث إن شاء الله تعالى.

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٢٧٣/٨.

(٢) الطور ٤١.

(٣) هود (١٢٣).

الفصل الثاني

الأدلة على ذلك من السنة.

الفصل الثاني: الأدلة على ذلك من السنة.

وردت نصوص كثيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم تدل على اختصاص الله بعلم الغيب منها ما يلي:

١ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر إلا الله ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله» [١].

وفي رواية أخرى لابن عمر أيضاً: (مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر) [٢].

فدل هذا الحديث على أن أمور الغيب لا يحصيها إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ وعبَّر عنه بالمفاتيح لتقريب الأمر إلى ذهن السامع؛ لأن كل شيء حيل بينك وبينه فهو غيب، وأقرب شيء إلى ذلك الأبواب؛ والأبواب أقل ما يحبسها عن الفتح وأيسره المفاتيح، فإذا كان أيسر الأشياء التي يعرف بها الغيب لا يعرف لها أحد موضعاً فكيف يقدر أن

---

(١) تقدم تخريجه انظر ص ٧٦.

(٢) تقدم تخريجه انظر ص ٧٦.

يعرف ما هو أكبر من ذلك؟ هذا محال وهذا من أبلغ البيان وأخصره[(١)].

وفي حديث أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ الطويل الذي جاء فيه جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم على صورة رجل يسأله. وفيه: « قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت المرأة ربتها فذلك من أشراط الساعة.. في خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام. . .﴾ الحديث[(٢)].

وفي رواية لأحمد: «قال متى الساعة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ـــ سبحان الله تعالى ـــ خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله عز وجل: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ [(٣)].

وعن عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله بن سلمة يقول سمعت عبد الله بن مسعود يقول: (أوتي نبيكم صلى الله عليه وسلم مفاتيح كل شيء غير الخمس: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم

---

(١) انظر إلى بهجة النفوس ٢٧٢/٤ بتصرف.

(٢) البخاري (ح ٤٧٧٧) وقد تقدم تخريجه انظر ص ٦٢.

(٣) المسند ٣١٩/١، ١٢٩/٤، ١٦٤.

خبير﴾. قال: قلت له: أنت سمعته من عبد الله؟ قال: نعم أكثر من خمسين مرة) [١].

وفي البخاري عن عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ قالت: ((من حدثك أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب وهو يقول: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ . ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب، وهو يقول: ﴿لا يعلم الغيب إلا الله﴾ [٢].

وعند مسلم قالت: ((من زعم أن رسول الله يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول: ﴿لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ [٣].

فكل هذه الأحاديث تدل على أن الله جل وعلا مختص بعلم الغيب وأنه لا يمكن لأحد كائن من كان أن يطلع أو يعرف شيئاً من علم الغيب المطلق؛ لأن الله ـــ جل وعلا ـــ اختص بذلك دون من سواه، وقد أكرم الله به بعض رسله فأطلعهم على شيء من الغيوب إكراماً لهم، ولتكون معجزة وحجة على أقوامهم. ولا يعني هذا أن يوصفوا بأنهم يعلمون الغيب؛ لأنهم لم يعلموا ذلك إلا بتبليغ الله ـــ عز وجل ـــ لهم ثم أن علمهم بالأمور الغيبية محدود بحسب ما يكشفه الله ـــ عز وجل ـــ لهم.

---

(١) رواه أحمد في المسند ٤٣٨/١.

(٢) البخاري (ح ٧٣٨٠).

(٣) رواه مسلم (ح١٧٧).

وقد أشار الإمام النووي ــ رحمه الله تعالى ــ إلى ذلك حيمنا سئل عن معنى قوله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ . وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يعلم ما في غد إلا الله» (١). وأشباه هذا من القرآن والسنة؛ مع أنه وقع علم ما في غد في معجزات الأنبياء ــ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ــ وفي كرامات الأولياء؟

فأجاب ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله: (معناه لا يعلم ذلك استقلالاً، علم إحاطة بكل المعلومات إلا الله، وأما المعجزات والكرامات فحصلت بإعلام الله تعالى للأنبياء والأولياء لا استقلالا، وهذا كما أنا نعلم أن الشمس إذا طلعت تبقى ست ساعات أو نحوها ثم تزول، ثم تبقى نحو ذلك ثم تغرب، ثم تبقى مثل مجموع ذلك أو نحوه، ثم تطلع، وهكذا القول في القمر وغيره من الأمور التي يعلم وقوعها في المستقبل، وليس هو علم غيب علمناه استقلالا وإنما علمناه بإجراء الله تعالى العادة به) (٢)

---

(١) تقدم تخريجه انظر ص ٧٦.

(٢) فتاوى الإمام النووي المسماة بالمسائل المنثورة ص ٢٦٥-٢٦٦.

الباب الثالث: الرسل وعلم الغيب

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول: صفات الرسل ومكانتهم.

الفصل الثاني: تبرؤ الرسل من معرفة الغيب.

الفصل الثالث: تأييد الله للرسل باطلاعهم على أمور من الغيب.



الفصل الأول

صفات الرسل ومكانتهم

تمهيد: حاجة العباد إلى الرسل:

حاجة العباد إلى الرسل فوق كل حاجة، وضرورة اتباعهم ومعرفتهم فوق كل ضرورة (فإنه لا سبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث على جهة التفصيل إلا من جهتهم ولا ينال رضى الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ البتة إلا باتباعهم، ولا سبيل إلى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة إلا على اتباعهم. قال تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾ [١].

فبالرسالة تحيا القلوب، وتشرق شمس الهداية عليها، ويزول ظلامها، وينال العبد من روحها وحياتها، فهو في ظلمة؛ بل من الأموات ما لم يؤمن بالرسل، قال تعالى: ﴿أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها﴾ [٢]؟

فهذا وصف من كان ميتاً في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وقال تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا﴾ [٣].

فالروح إذا عدمت فقدت الحياة. والنور إذا عدم حل الظلام،

---

(١) النساء (٦٩).

(٢) الأنعام (١٢٢)

(٣) الشورى (٥٢).

فالكافر في ظلمات الكفر والشرك غير حي، وإن كانت حياته حياة حيوانية فحياته الروحية معدومة فقدت سببها وهو الإيمان بالرسل.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: (حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية فوق حاجتهم إلى كل شيء ولا نسبة لحاجتهم لعلم الطب إليها، فأكثر الناس يعيشون بغير طبيب، فأهل البادية والكفور كلهم وعامة بني آدم، لا يحتاجون إلى طبيب، وهم أصح أبداناً وأقوى طبيعة ممن هو متقيد بالطبيب، وكثير من أحوال الطب مأخوذة من عوائد الناس وتجاربهم، أما الشريعة فمبناها على تعريف مواقع رضى الله وسخطه في حركات العباد الاختيارية، وهذا لا يعرف إلا عن طريق الوحي المحض فحاجتهم إليه أشد من حاجتهم إلى النفس، فضلا عن الطعام والشراب، لأن غاية ما يقدر عند فقد الشريعة ففساد الروح والأبدان إلى الأبد، وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت) [1].

ضرورة أن يكون الرسل بشراً:

اقتضت حكمة الله تعالى وسنته في خلقه أن يرسل رسلا إلى عباده من أنفسهم يتحدثون بلغتهم، ويشعرون بما يشعرون به، ويصيبهم ما يصيب البشر من الجوع والعطش والمرض والموت وغير ذلك.

وقد من الله على المؤمنين حيث بعث فيهم رسولا من أنفسهم قال تعالى ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته

---

(١) انظر مفتاح دار السعادة ٢/١ باختصار.

ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (١).

فهذه من أعظم المنن التي من الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ بها على عباده المؤمنين حيث جعل رسله إليه بشراً من جنسهم عليهم الأخذ عنه والاقتداء به والاهتداء بهديه، والاستنان بسننه. فيكون قدوة لهم في كل شيء، فلو كان من غيرهم لما تيسر لهم أن يهتدوا بجميع هديه؛ لأنه قد يفعل ما لا يستطيعون فعله.

وقد بين الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ أنه لو أرسل إليهم رسولا من غيرهم لجعل له نفس صفاتهم وطبائعهم وقدراتهم. قال الله تعالى: ﴿. . ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ (٢).

فلو شاء الله أن يرسل إلى البشر رسولا من الملائكة كما طلب المشركون لاقتضت حكمته أن يجعله على هيئة رجل حتى تسهل رؤيته، والأخذ عنه، وموافقة جبلته لجبلة البشر وخلقهم. وفي هذا تظهر رحمة الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ في ضرورة أن يكون الرسول إلى الناس من البشر. ولهذا كان رسل الله جميعاً من البشر وجاءت الآيات في كتاب الله تنص على ذلك. قال الله تعالى آمراً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بأن يقول لقومه: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد﴾ (٣).

---

(١) آل عمران (١٦٤).

(٢) الأنعام (٩).

(٣) الكهف (١١٠)، فصلت (٦).

وأخبر عز وجل أن هذا هو قول الرسل قبله لأقوامهم. قال تعالى: ﴿قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله﴾ (١).

وقال تعالى مخاطباً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون﴾ (٢).

موقف الكافرين من بشرية الرسل:

استعظم المشركون أن يرسل الله إليهم بشراً من أنفسهم. قال تعالى مخبراً عن موقفهم هذا: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً﴾ (٣) ؟!.

وقال تعالى حكاية عنهم ﴿قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ (٥).

فأخبر تعالى في هذه الآية عن إسرار المشركين بعضهم لبعض بأن

---

(١) إبراهيم (١١).

(٢) الأنبياء (٣٤).

(٣) الإسراء (٩٤).

(٤) إبراهيم (١٠)

(٥) الأنبيا (٣).

هؤلاء الذين يقولون بأهم رسل من عند الله وأهم بشر مثلكم لا يمتازون عليكم بشيء، وأن ما جاؤوا به كذب وسحر، فهل تريدون أن تقبلوا على تعلم السحر منهم وأنتم تعلمون ذلك [١]؟!

وذكر الله تعالى قصة دعوة نوح لقومه وكيف أهم أنكروا رسالته؛ لأنه بشر مثلهم واستعظموا كون الله جل وعلا يرسل بشراً ليبلغ رسالته إلى الناس، وقالوا لو أراد الله أن يرسل رسولا لأرسل ملائكة لكي نتيقن ونصدق بأنه من عند الله حقيقة واهموا نوحاً ــ عليه السلام ــ بالجنون لكونه قال إنه رسول من رب العالمين، ولكونه جاء بما لم يأت به آباؤهم الأولون؛ فضلا عن كونه بشراً مثلهم، فقال تعالى: ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين * إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين﴾ [٢].

ثم إن الأمم التي جاءت بعد نوح ــ عليه السلام ــ كلما جاءهم رسول اعترضوا عليه بما اعترض عليه قوم نوح ــ عليه السلام ــ بكوهم بشراً مثلهم. فكان هذا أكبر أسباب كفرهم وصدودهم عن الحق. قال تعالى: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا﴾ [٣].

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٢٥/٥.

(٢) المؤمنين (٢٤، ٢٥).

(٣) الإسراء (٩٤).

فرد الله ــ سبحانه وتعالى ــ على هذا الاعتراض الواهي بقوله:
﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾ (١).

ولكن الذين في الأرض بشر فمن حكمة الله ــ سبحانه وتعالى ــ أن يرسل إليهم بشراً من أنفسهم حتى يكونوا أسوة لهم وقدوة يستطيعون فعل ما يفعلون والتمكن من الائتمار بما يؤمرون، ولا يكون لهم حجة في ترك هديهم بأن الرسل ليسوا من جنسهم، فلا طاقة لهم بما يأمرون به ويفعلونه.

هذا فضلا عن كون الرسل من جنس البشر فيه رحمة للبشر حيث يمكنهم خطابهم ومجالستهم والفهم منهم والأخذ عنهم مما لا يتحقق فيما لو كان الرسل من غير البشر.

صفات الأنبياء البشرية:

تبين مما سبق أن جميع الرسل الذين أرسلهم الله إلى الناس بما فيهم محمد صلى الله عليه وسلم بشر كسائر البشر لا يختلفون عنهم بشيء من حيث البشرية. ومقتضى ذلك أن يتصفوا بالصفات التي لا تنفك عن البشر، ومن هذه الصفات ما يلي:

١ــ حاجتهم إلى الطعام والشراب.

كان المشركون يعيبون على أنبيائهم بشريتهم وكونهم يأكلون كما

---

(١) الإسراء (٩٥).

يأكل سائر البشر ويشربون كما يشرب غيرهم من البشر قال تعالى: ﴿وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق﴾ الآية [(١)].

هكذا كان المشركون يعيبون على أنبيائهم الذين أرسلوا إليهم؛ ولكن الله رد عليهم مقالتهم هذه وبين أن هؤلاء الرسل إنما هم بشر مثلكم يحتاجون إلى ما تحتاجون إليه ويعتريهم ما يعتريكم قال تعالى: ﴿وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين﴾ [(٢)].

وقال تعالى على لسان خليله إبراهيم ـــ عليه السلام ـــ: ﴿والذي هو يطعمني ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [(٣)].

وقال أيضا في معرض ذكر قصته مع الملائكة الذين دخلوا عليه: ﴿فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين * فقربه إليهم قال ألا تأكلون﴾ [(٤)].

ودلت السنة في غير ما حديث على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع حتى إنه ليربط بطنه من شدة الجوع فمن ذلك ما يلي:

حديث أنس بن مالك ـــ رضي الله عنه ـــ قال: «أُتِي رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمر فرأيته يأكل وهو مقع من الجوع» [(٥)].

---

(١) الفرقان (٧).

(٢) الأنبياء (٨).

(٣) الشعراء (٧٩، ٨٠).

(٤) الذاريات (٢٥، ٢٦).

(٥) رواه مسلم (ح ٢٠٤٤).

وحديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم»[(١)].

ومنها حديث جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: «لما حفر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الخندق أصاب النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين جهد شديد فمكثوا ثلاثة لا يجدون طعاماً، حتى ربط النبي صلى الله عليه وسلم على بطنه حجراً من الجوع»[(٢)].

ومنها حديث عتبة بن غزوان ـ رضي الله عنه ـ وفيه: «لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام إلا ورق الحبلة[(٣)] حتى قرحت[(٤)] أشداقنا»[(٥)].

٢ـ الرسل يولدون ويولد لهم ويموتون:

خلق الله الخلق وقضى فيه بحكمه وسنته بأنهم يولدون في هذه الحياة الدنيا فيلبثون فيها ما شاء الله أن يلبثوا ثم يتوفاهم الله عز وجل. والرسل

---

(١) رواه مسلم (ح ٢٩٧٠).

(٢) رواه أحمد ٣/٣٣٠، والبخاري بنحوه (ح ٤١٠١، ٤١٠٢)، والدارمي في المقدمة باب ما أكرم به النبي صلى الله عليه وسلم في بركة طعامه ١/٢٠.

(٣) الحبلة بضم المهملة وسكون الموحدة أو بعضهما، وهو ثمر السَّمر وهو شبيه باللوبيات، وقيل ثمر العضاة. النهاية ١/٣٣٤.

(٤) قرحت أي تجرحت. النهاية ٤/٣٦.

(٥) رواه مسلم (ح٢٩٦٧) ومثله حديث سعد بن أبي وقاص عند مسلم (ح ٢٩٦٦).

من ضمن هؤلاء الخلق ولدوا كما ولد البشر وعاشوا كما عاش البشر.

قال الله تعالى عن نوح ـــ عليه السلام ـــ : ﴿رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تباراً﴾ (١).

وقال تعالى عن إبراهيم الخليل ـــ عليه السلام ـــ : ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبياً * إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً * يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سوياً﴾ (٢).

فهذا أبو الأنبياء خليل الله ـــ عليه السلام ـــ كان يخاطب أباه ويدعوه للإيمان بالله ـــ سبحانه وتعالى ـــ ونبذ الشرك.

ثم كانت جميع الرسل من أبنائه وأحفاده. فهو والد ومولود كسائر البشر.

وقال تعالى عن يوسف ـــ عليه السلام ـــ : ﴿. .إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً . . .﴾ (٣).

وقال تعالى حكاية عن يعقوب في معرض خطابه ليوسف ـــ عليهما السلام ـــ : ﴿ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل

---

(١) نوح (٢٨).

(٢) مريم (٤١-٤٣).

(٣) يوسف (٤).

إبراهيم وإسحاق﴾ [(١)].

فيوسف ــ عليه السلام ــ ذكره أبوه بنعمة الله عليه وعلى آبائه وأجداده من قبل.

وقال تعالى عن موسى ــ عليه السلام ــ : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم. . . ﴾ [(٢)].

وقال على لسان فرعون وهو يخاطب موسى ــ عليه السلام ــ : ﴿ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين﴾ [(٣)].

وقال تعالى على لسان عيسى ــ عليه السلام ــ : ﴿والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً﴾ [(٤)].

فدلت هذه الآيات وغيرها على أن الأنبياء يولدون كسائر البشر.

وأما كونهم يُولد لهم فقد دلت آيات كثيرة على ذلك منها ما يلي:

قوله ــ سبحانه وتعالى ــ: ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية﴾ [(٥)].

---

(١) يوسف (٦).

(٢) القصص (٧).

(٣) الشعراء (١٨).

(٤) مريم (٣٣).

(٥) الرعد (٣٨).

وقال تعالى على لسان زوجة إبراهيم الخليل ــ عليه السلام ــ :

﴿أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا﴾ [١].

وكذلك زكريا ــ عليه السلام ــ طلب الولد من الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء * فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى﴾ [٢].

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم تزوج وأنجب وصار له ذرية طيبة، فعاش وعاشت ذريته من بعده.

وأما كونهم يموتون فقد وردت نصوص كثيرة تدل على أنهم يموتون كسائر البشر.

قال تعالى: ﴿وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين﴾[٣].

وقال تعالى أيضا: ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون﴾ [٤].

وقال أيضا: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ [٥].

---

(١) هود (٧٢).

(٢) آل عمران (٣٨-٣٩).

(٣) الأنبياء (٨).

(٤) الأنبياء (٣٤).

(٥) الزمر (٣٠).

وقال: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ [1].

فدلت هذه النصوص الواضحة على أن الرسل كسائر البشر يولدون فيعيشون في هذه الدار ما شاء الله لهم، ويتزوجون كغيرهم من البشر، ويولد لهم كذلك كغيرهم من البشر، ثم يعتريهم الموت الذي يعتري كل مخلوق. فلا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً فضلا عن كونهم لا يعلمون الغيب.

٣ ـ الرسل يلحقهم المرض والبلاء:

يعتري الرسل المرض والألم كسائر البشر قال تعالى على لسان إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ : ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [2].

ومرض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فكان يقول: «هريقوا علي من سبع قرب لم تحلك أوكيتهن لعلي أعهد إلى الناس وذلك لشدة ما يجده من الحمى» [3].

هذا من مقتضى بشريتهم كما أنهم أيضاً يتعرضون للبلاء والمحن كسائر البشر بل هم أشد بلاءً من غيرهم كما جاء في السنة عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الناس

---

(١) آل عمران (١٤٤).

(٢) الشعراء (٨١).

(٣) رواه البخاري (ح ١٩٨)

أشد بلاءً قال «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه..» الحديث [١].

وقد بوب البخاري ـــ رحمه الله ـــ فقال: باب أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل[٢]

وعن عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ قالت: «ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم» [٣].

وهذا أيوب ـــ عليه السلام ـــ ابتلي في ماله وأهله وجسده ولبث البلاء به ثمانية عشر سنة حتى رفضه القريب والبعيد إلا زوجته وإخوانه[٤] فصبر.

قال تعالى: ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين * فاستجبنا له وكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾ [٥].

وسجن يوسف ـــ عليه السلام ـــ قال تعالى حكاية عنه: ﴿قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه﴾ [٦].

---

(١) رواه الترمذي (ح ٢٣٩٧) وقال حديث حسن صحيح وابن ماجه (ح ٤٠٤٣) وابن حبان (ح٦٩٩) وأحمد ١/١٧٢، ١٧٤.

(٢) انظر صحيح البخاري ٤/٢٤، وانظر الفتح ١٠/١١١.

(٣) رواه البخاري (ح ٥٦٤٦).

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه انظر الإحسان (ح ٢٨٨٧).

(٥) الأنبياء (٨٣).

(٦) يوسف (٣٣).

وكان بنو إسرائيل يقتلون الأنبياء ويخرجوهم من ديارهم بغير حق.

وقال تعالى ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون﴾ [(١)].

وأخرج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من مكة بعد أن أوذي فيها إيذاء شديداً. كما أوذي أيضاً في المدينة من قبل المنافقين؛ حيث أنهم آذوه حتى في زوجه عائشة ــ رضي الله عنها وأرضاها ــ فجلس النبي صلى الله عليه وسلم حزيناً شهراً كاملاً لا يدري هل ما اتهموها به حق أم كذب حتى نزل عليه الوحي بعد شهر كامل من الحزن والأسي.

٤ ــ الرسل ــ عليهم السلام ــ وطلبهم للمعاش:

ومن مقتضى بشريتهم قيامهم بالأعمال التي يقوم بها البشر، من الاشتغال في أعمال الدنيا لطلب الرزق. فما من نبي إلا وقد رعى الغنم كما في حديث جابر بن عبد الله ــ رضي الله عنه ــ [(٢)].

وقد اشتغل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالتجارة قبل البعثة بالإضافة إلى رعي الغنم.

---

(١) البقرة (٨٧).

(٢) أخرجه مسلم (ح ٢٠٥٠) وسياقه «عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بمر الظهران ونحن نجني الكَبَاث، فقال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالأسود منه، قال فقلنا: يا رسول الله: كأنك رعيت الغنم؟ قال: نعم وهل من نبي إلا رعاها». أو نحو هذا من القول، ورواه ابن ماجة عن أبي هريرة (ح ٢١٤٩).

وموسى ــ عليه السلام ــ رعى الغنم عشر سنوات، قال تعالى على لسان عبده الصالح: ﴿إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك﴾ الآية[١].

وداود ــ عليه السلام ــ كان يعمل الدروع. قال تعالى: ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾ [٢].

وزكريا ــ عليه السلام ــ كان يعمل نجاراً ويأكل من كسب يده كما ورد ذلك في السنة[٣].

وجاء وصفه صلى الله عليه وسلم في الحديث عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ بأنه «كان بشراً من البشر يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه» [٤].

٥ ــ الرسل ــ عليهم السلام ــ يعتريهم الغضب والنسيان والخطأ في الاجتهاد:

يعتري الأنبياء من الغضب والنسيان والخطأ في أمور دنياهم ما

---

(١) القصص (٣٧).

(٢) الأنبياء (٨٠).

(٣) أخرجه مسلم (ح ٢٣٧٩)، وابن ماجة (ح ٢١٥٠)، وأحمد ٢/٢٩٦، ٤٠٥، ٤٨٥.

(٤) رواه أحمد ٦/٢٥٦. وقال الألباني إسناده صحيح على شرط مسلم، انظر الصحيحة (ح ٦٧١).

يعتري غيرهم فموسى ـــ عليه السلام ـــ غضب غضباً شديداً عندما علم أن قومه عبدوا العجل.

قال تعالى: ﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾ [(١)].

وجاء في قصة يتيمة أم سليم ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم عليها وفيه: « يا أم سليم أما تعلمين أن شرطي على ربي، أني اشترطت على ربي فقلت إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر...» الحديث[(٢)].

ووقائع غضبه صلى الله عليه وسلم كثيرة ولكنه كان لا يغضب إلا إذا انتهكت محارم الله أو فُعِلَ أمر مخالف لشريعة الله.

أما النسيان فيعتريهم في غير الرسالة كما يعتري سائر البشر. فآدم ـــ عليه السلام ـــ نسي ما عهد الله إليه من عدم الأكل من الشجرة فأكل نسياناً وخطأً.

وكذلك ورد أن آدم ـــ عليه السلام ـــ أعطى داود من عمره أربعين سنة «فلما قضى عمر آدم ـــ عليه السلام ـــ جاءه ملك الموت

---

(١) الأعراف (١٥٠).

(٢) رواه مسلم (٢٦٠٣).

فقال: أو لم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أو لم تعطها ابنك داود؟ قال: فجحد آدم فجحدت ذريته ونسي آدم فنسيت ذريته وخطئ آدم فخطئت ذريته» [(١)].

ونسي رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الظهر ركعتين كما في حديث ذي اليدين[(٢)].

وأخبر صلى الله عليه وسلم عن نفسه بأنه بشر يعتريه النسيان كسائر البشر كما في حديث ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ولكني إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني» [(٣)].

وأما الخطأ في الاجتهاد:

فقد يحدث اجتهاد في قضية ما ثم لا يوافق مراد الله ــ عز وجل ــ كما وقع لداود ــ عليه السلام ــ مع المرأتين اللتين أتيتا بولد ادعت كل منهما أنه ولدها فحكم به للكبرى، ووفق الله سليمان ــ عليه السلام ــ لإصابة الحق[(٤)].

---

(١) رواه الترمذي (٣٠٧٦) وقال حديث حسن صحيح وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) انظر الحديث في البخاري (ح ٤٨٢)، والنسائي كتاب ١٣ باب ٢٢. وأحمد ٢/٢٣٤. وأبو داود (ح ١٠٠٨) باب السهو في السجدتين وسكت عنه.

(٣) البخاري (ح ٤٠١) ومسلم (ح ٥٧٧٢) وأبو داود (ح ١٠٢٠) والنسائي كتاب ١٣ باب ٢٥ التحري وابن ماجة (ح ١٢١١).

(٤) البخاري (ح ٣٤٢٦) موقوفاً ورفعه في (ح ٦٧٦٩).

وكذلك ما وقع لهما في الحرث الذي نفشت فيه غنم القوم.

فهم كسائر البشر يقع منهم ما يقع من البشر؛ لأنهم لا يعلمون الغيب كما بين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أم سلمة: «أنه سمع خصومة بباب حجرته فخرج إليهم فقال: إنما أنا بشر وإنه يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه صدق فأقضي بذلك، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار، فليأخذها أو يتركها» [1].

٦ ـ قد تقع منهم بعض الصغائر:

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الصغائر قد وقعت من بعض الأنبياء لأنهم غير معصومين من الصغائر باتفاق أهل العلم[2]. وقد وقعت لكثير منهم.

فآدم ـ عليه السلام ـ عصى ربه وأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها.

ونوح ـ عليه السلام ـ طلب من ربه أن ينجي ابنه من الغرق مع كونه كافراً بالله ـ سبحانه وتعالى ـ قال تعالى: ﴿ونادى نوح ربه رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق. . .﴾ فعاتبه ربه وبيَّن له أنه ليس من أهله؛ لأنه كافر، ونهاه عن طلب مثل ذلك قال تعالى: ﴿قال يا نوح إنه ليس من

---

(١) البخاري (ح ٢٤٥٨).

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٤/٣١٩.

أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين﴾. فبادر نوح ــ عليه السلام ــ واستغفر ربه فقال: ﴿ . . رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين﴾(١).

وإبراهيم ــ عليه السلام ــ طلب من الله أن يغفر لأبيه قبل أن يعلم أنه لا يجوز ذلك فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه.

وموسى ــ عليه السلام ــ قتل القبطي خطأ ثم استغفر ربه من فعلته تلك، قال تعالى: ﴿قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين * قال رب اغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾ (٢).

وداود ــ عليه السلام ــ تسرع في الحكم قبل سماع قول الخصم الآخر فبادر بالتوبة والاستغفار. قال تعالى: ﴿وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب * فغفرنا له ذلك. . .﴾ (٣).

وذا النون إذ ذهب مغاضبا وترك قومه ولم يكن قد أذن الله له، فعاتبه ربه. وقذفه في بطن الحوت، فنادى ﴿في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ (٤). فغفر الله له ذلك.

ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم حرم على نفسه العسل وهو مما

---

(١) هود (٤٥، ٤٧).

(٢) القصص (١٥-١٦).

(٣) سورة ص (٢٣-٢٥).

(٤) الأنبياء (٨٧).

أحل الله له فعاتبه ربه على ذلك.

وقبل الفداء من أسرى بدر فعاتبه الله على ذلك عتاباً شديداً وقال:

﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ (١).

فهذه الذنوب تقع من الأنبياء عليهم السلام لأهم بشر كسائر البشر يعتريهم النسيان والخطأ، ثم يأتيهم الوحي مبيناً لهم الصواب فيبادرون بالتوبة والاستغفار كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

الأنبياء لا يقرون على المعاصي:

مذهب أهل السنة والجماعة أن المعاصي تقع من الأنبياء ولكن لا يقرون عليها بل إهم يخبرون بها، ومن ثم يبادرون بالتوبة والاستغفار كما ذكر الله ــ سبحانه وتعالى ــ في الآيات المتقدمة. ثم إهم لا يتعمدون المعصية؛ بل إها تقع منهم إما جهلا بالحكم أو نسياناً أو خطأ، أو عن اجتهاد كما وقع ذلك في غزوة بدر، حيمنا استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في الأسرى فأشاروا عليه بآراء أخذ منها القول بفدائهم، فنـــزل الوحي مبيناً أن ذلك خطأ وذنب كما قال تعالى: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ (٢).

---

(١) الأنفال (٦٨).

(٢) الأنفال (٦٧-٦٨).

أما الكبائر فإنهم معصومون منها فلا يمكن أن تقع منهم مطلقاً باتفاق الأمة[١].

وهذه من خصائصهم التي خصهم الله ــ سبحانه وتعالى ــ بها. كما أنهم معصومون في تبليغ الرسالة وتحملها فلا ينسون شيئاً منها ولا يكتمونه البتة.

مكانة الأنبياء عليهم السلام:

إن ما تقدم من ذكر بشرية الأنبياء وما يلحقهم من النقص البشري والأعراض التي تلحق سائر البشر لا يقلل من شأنهم ولا ينقص من قدرهم؛ بل لهم المكانة العظيمة عند الله ــ سبحانه وتعالى ــ وعند عباده المؤمنين، كما أن لهم الدرجات العالية الرفيعة عند الله ــ جل وعلا ــ وهم أفضل الخلق علماً وعملاً وعبادة، وأفضلهم درجة عند الله ــ سبحانه وتعالى ــ واجتباهم وفضلهم على كثير ممن خلق، وخصهم بمزيد فضله وإحسانه وتوفيقه وامتنانه.

قال تعالى: ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾ [٢].

قال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ : (يخبر تعالى أنه اختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض، فاصطفى آدم ــ عليه السلام ــ خلقه

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٣١٩/٤، وتفسير القرآن العظيم ٣٥١/٥.

(٢) آل عمران (٣٤).

بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء، وأسكنه الجنة، ثم أنزله منها لما له في ذلك من الحكمة، واصطفى نوحا ــ عليه السلام ــ وجعله أول رسول إلى أهل الأرض .. واصطفى آل إبراهيم، ومنهم سيد البشر وخاتم الأنبياء على الإطلاق محمد صلى الله عليه وسلم، وآل عمران. والمراد بعمران هذا والد مريم...) [١].

وقال تعالى: ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم * ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين * وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلا فضلنا على العالمين * ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم * ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده. . .﴾ [٢].

قال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ : ﴿ونوحا هدينا من قبل﴾ (أي من قبله [أي إبراهيم] هديناه كما هديناه، ووهبنا له ذرية صالحة وكل منهما له خصوصية عظيمة. أما نوح ــ عليه السلام ــ فإن الله جعل ذريته هم الباقين بعد أن أغرق أهل الأرض بالطوفان، فالناس كلهم من

(١) انظر تفسير القرآن العظيم ٢/٢٦.

(٢) الأنعام (٨٣-٨٨).

ذرية نوح [عليه السلام]. وكذلك الخليل إبراهيم ـــ عليه السلام ـــ لم يبعث الله ـــ عز وجل ـــ بعده نبياً إلا من ذريته كما قال تعالى: ﴿وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب﴾ (١).

وقال: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب﴾ (٣) (٤).

فالرسل هم أفضل البشر على الإطلاق، وأفضلهم أولي العزم، ومحمد صلى الله عليه وسلم أفضل أولي العزم.

قال الإمام ابن تيمية ـــ رحمه الله تعالى ـــ : (أفضل الخلق الأولياء وأفضل الأولياء الأنبياء، وأفضل الأنبياء الرسل، وأفضل الرسل محمد صلى الله عليه وسلم) (٥).

صاحب الحوض المورود والمقام المحمود والشافع المشفع في الخلائق

---

(١) الحديد (٢٦).

(٢) مريم (٥٨).

(٣) الحديد (٢٦).

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣/٢٣١.

(٥) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٦.

ذرية نوح [عليه السلام]. وكذلك الخليل إبراهيم ـــ عليه السلام ـــ لم يبعث الله ـــ عز وجل ـــ بعده نبياً إلا من ذريته كما قال تعالى: ﴿وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب﴾ [١].

وقال: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب﴾ [٣] [٤].

فالرسل هم أفضل البشر على الإطلاق، وأفضلهم أولي العزم، ومحمد صلى الله عليه وسلم أفضل أولي العزم.

قال الإمام ابن تيمية ـــ رحمه الله تعالى ـــ : (أفضل الخلق الأولياء وأفضل الأولياء الأنبياء، وأفضل الأنبياء الرسل، وأفضل الرسل محمد صلى الله عليه وسلم) [٥].

صاحب الحوض المورود والمقام المحمود والشافع المشفع في الخلائق

---

(١) الحديد (٢٦).

(٢) مريم (٥٨).

(٣) الحديد (٢٦).

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣/٢٣١.

(٥) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٦.

يوم القيامة، أول من يجتاز الصراط، وأول من يفتح له باب الجنة، المرسل رحمة للعالمين كافة وقد كان الرسل يرسلون إلى أقوامهم خاصة.

قال القاضي عياض ــ رحمه الله تعالى ــ : (.. لا خلاف في أنه صلى الله عليه وسلم أكرم البشر وسيد ولد آدم، وأفضل الناس منزلة عند الله تعالى، وأعلاهم درجة، وأقربهم زلفى) [١].

وقد دلت السنة على ذلك. قال صلى الله عليه وسلم: «أنا سيِّد ولد آدم ولا فخر» [٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: «فضلت على الأنبياء بست؛ أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون...» [٣].

فالرسل أفضل الأولياء على الإطلاق فضلا عن غير الأولياء.

كيف يجب أن يكون الرسل في تصور المشركين:

الرسل بشر كسائر البشر كما تقدم ذلك سابقاً فلا يملكون جلب النفع لأنفسهم ولا لغيرهم؛ ولا دفع الضر ولا كشفه إلا بشيء قد كتبه الله وقدره وأعانهم عليه. وليس لهم من صفات الألوهية أو الربوبية شيء البتة، بل هم عبيد لله من أكمل عباد الله عبودية وأحسنهم طاعة كما تبين

---

(١) الشفاء في أحوال المصطفى صلى الله عليه وسلم ٣٥٣/١.

(٢) رواه مسلم (ح٥٢٣).

(٣) رواه مسلم (ح ٥٢٣)

فيما سبق.

وقد اعترض المشركون على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه أن يدلل على صدقه بأن ينـــزل عليهم ملكاً من السماء يصدقه في رسالته، ويكون نذيراً للناس معه، أو أن يكون غنياً وذلك بأن يطلب من الله أن ينـــزل كنـــزاً من السماء يستغني به فلا يحتاج معه إلى طلب العيش كما يطلبه غيره من البشر، أو يكون له بستان يأكل منه ويستغني به ويترفع من مخالطة الناس في معاشهم، أو يأتيهم بسلم يصعد فيه إلى السماء، أو يأتي بالله والملائكة قبيلا!!. طلبوا منه هذه الأمور التي لا يستطيعها البشر؛ وذلك لأنهم استنكروا واستعظموا أن يكون الله ـــ جل جلاله ـــ أرسل بشراً يبلغ رسالته إلى الناس.

قال تعالى حاكيا مقالتهم تلك: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرأه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾؟! [1].

فنرى في هذه الآيات كيف أنهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتي بأشياء هي من اختصاص الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ وليست في مقدور البشر مطلقاً، فبين لهم الله ـــ جل وعلا ـــ أنه بشر مثلهم لا

---

(١) الإسراء (٩٠-٩٣).

وخلافاً لما يقوله ويدعيه من ناقض هؤلاء فجعل مرتبة الولاية فوق مرتبة النبوة، وجعل الأولياء أعلم من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لأنهم عرفوا أشياء لم يعرفها الأنبياء، كما قال قائلهم:

(خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله). ويقول آخر: (نحن شاركناه في ولايته التي هي أعظم من رسالته). وهذا من أعظم ضلالهم؛ فإن ولاية محمد صلى الله عليه وسلم لم يماثله فيها أحد لا إبراهيم ولا موسى فضلاً عن أن يماثله فيها الملحدون) [١].

بل إنهم يجعلون الأولياء مساوين لله في صفاته، تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

قال محمد رشيد رضا – رحمه الله –: (ولو كان أولئك الرسل في عصرهم على غير ما يعهد أقوامهم من البشر، بأن كانوا يتصرفون في الكون بالضر والنفع وعلم الغيب، لما احتجوا عليهم بأنهم بشر مثلهم، كما يدعي الذين ضلوا من أقوامهم من بعدهم عما جاء به الرسل مع دعوى اتباعهم لهم، فزعموا أنهم وبعض من وصفوا بالصلاح والولاية من أتباعهم يضرون وينفعون، ويشفون ويسعدون، ويميتون ويحيون؛ أحياؤهم وأمواتهم في هذا سواء، بل يزعمون أنهم أحياء في قبورهم حياة مادية بدنية يأكلون فيها ويشربون، ويسمعون كلام من يدعوهم ويستغيث بهم، ويستجيبون دعاءهم فيها، وقد يخرجون من قبورهم فيقضون حوائجهم

---

(١) الفرقان ص ٤٠.

في خارجها، ويخالفون بهذه الدعاوى مئات من آيات القرآن والمحكمات في التوحيد وصفات الربوبية، وفي صفات الأنبياء وكونهم بشراً لا يقدرون على شيء مما لا يقدر عليه البشر، وأن النبوة والرسالة وآياتها ليست من كسبهم، ويتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله فيما ورد فيه من بعض أنباء الغيب في حياة الشهداء البرزخية، فيقيسون عليها بأهوائهم حياة أوليائهم رجماً بالغيب وافتراء على الله) [١].

فإذا تبين هذا فليس لهم من علم الغيب شيء إلا ما أطلعهم الله عليه وخصهم به كما سيأتي بيانه بإذن الله تعالى في الفصلين التاليين.

---

(١) تفسير المنار ١٧١/١٢.

الفصل الثاني

تبرؤ الرسل من علم الغيب

الفصل الثاني: تبرؤ الرسل من علم الغيب

بعد أن ذكرت الأدلة على أن الغيب من اختصاص الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ وأنه لا يمكن لأحد أن يطلع عليه كائناً من كان. ولما كان للرسل منـــزلة عند الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ ليست لغيرهم من البشر أردت أن أبين في هذا الفصل أنهم مع قربهم لا يعلمون الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه ليكون حجة لهم ومعجزة من معجزاتهم. خلافاً لبعض الفرق الضالة التي زعمت أن الرسل يعلمون ما كان وما يكون وما سيكون، بل إنهم بالغوا في ذلك حتى سلبوا الله خصائصه وجعلوها للأنبياء ـــ عليهم السلام ـــ فادعوا مع قولهم بعلمهم الغيب أنهم يتصرفون في الكون ويديرونه كما يريدون، كما زعموا أنهم ينفعون ويضرون، ومعلوم أن هذا من خصائص الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ لا يشاركه فيها أحد.

قال البوصيري[1] في قصيدة له[2] مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم:

---

(١) محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله بن صهناج بن ملا الصهناجي المصري، يقال له البوصيري نسبة إلى بوصير من أعمال مصر، اشتهر بالشعر ونظم بعض القصائد في مدح النبي صلى الله عليه وسلم منها البردة والهمزية وغيرها، وعارض قصيدة بانت سعاد. توفي عام ٦٩٦هـــ انظر وفيات الوفيات ٣٦٣/٣، والأعلام ١٣٩/٦.
وفي البردة من الإطراء والغلو ما لا يصح أن يقال فضلا عن أن يعتقد.

(٢) هي المسماة بالبردة.

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم[١].

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على عدم علمهم الغيب وعلى تبرئهم من معرفته، ومن ذلك ما يلي:

قال تعالى: ﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم* قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب﴾ [٢].

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ في تأويلها: (يقول تعالى ذكره واسمعوا وعظه وتذكيره لكم، واحذروه يوم يجمع الله الرسل فيقول: ﴿ماذا أجبتم﴾ أي ما الذي أجابتكم به أممكم حين دعوتموهم إلى توحيدي والإقرار بي والعمل بطاعتي والانتهاء عن معصيتي ﴿قالوا لا علم لنا﴾ أي لا علم إلا علم أنت أعلم به منا، لأنه لا يخفى عليك ما عندنا من علم ذلك ولا غيره من خفي العلوم وجليها، فإنما نفى القوم أن يكون لهم بما سئلوا عنه من ذلك علم لا يعلمه هو تعالى؛ ذكره لا لأنهم نفوا علم ما شاهدوا)[٣].

وأما من قال إن معنى قوله تعالى: ﴿ماذا أجبتم﴾ أي: ماذا عملت الأمم بعدكم؟ وماذا أحدثوا؟ فذكر ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ أنه

---

(١) انظر إلى هذا البيت في مجموعة المتون في مختلف الفنون ص ١٠.

(٢) المائدة (١٠٩).

(٣) جامع البيان ١١/٢٠٩-٢١٢.

تأويل لا معنى له؛ لأن الأنبياء لم يكن عندهم من العلم بما يحدث بعدها إلا ما أعلمهم الله من ذلك وإذا سُئِلْت والأمر كذلك فإنما يقال لها: ماذا عَرَّفْنَاكِ أنه كائن منهم بعدك؟ وظاهر خبر الله تعالى ذكره عن مسألته إياهم يدل على ذلك[١].

وذكر القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ عدة أقوال في هذه الآية فقال: (واختلف أهل التأويل في المعنى المراد بقولهم: ﴿لا علم لنا﴾ فقيل معناه لا علم لنا بباطن ما أجابت به أممنا؛ لأن ذلك هو الذي يقع عليه الجزاء وهذا مروي عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقيل المعنى: لا علم لنا إلا ما علمتنا فحذف.

وعن ابن عباس لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا[٢].

وقيل إنهم يذهلون من شدة الموقف، ثم يجيبون بعدما تثوب إليهم عقولهم) [٣].

واستحسن ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ ما اختاره ابن جرير من الأقوال فقال: (ولا شك أنه قول حسن وهو من باب التأدب مع الرب عز وجل، أي لا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء؛ فنحن وإن

---

(١) المصدر السابق مختصراً.

(٢) وهذا ما اختاره ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ كما سبق ذكره.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٦/٣٦١.

كنا قد أجبنا وعرفنا من أجابنا ولكن منهم من كنا نطلع على ظاهره ولا علم لنا بباطنه، وأنت العليم بكل شيء، فعلمنا بالنسبة إلى علمك كلا علم، فإنك ﴿أنت علام الغيوب﴾ (١).

ففي هذه الآية نرى كيف أن الرسل ـ عليهم السلام ـ يتبرؤون من معرفة الغيب، وذلك حين يسألهم الله ـ عز وجل ـ عن أقوامهم ماذا عملوا بعدهم، فيأتي الجواب بأنهم لا يعلمون شيئاً مما عملوا إلا ما أعلمهم الله به لأن هذا من علم الله الذي اختص به دون من سواه. فالأنبياء بشر مخلوقون يشهدون على أقوامهم بما أجابوهم به وما أعلمهم الله أنهم يفعلون فقط، أما أنهم يعلمون غير ذلك فلا.

وقد تبرأ الرسل جميعاً من معرفة الغيب فما من رسول إلا وقد نفى عن نفسه العلم بالغيب ووكله إلى علام الغيوب وإليك بيان ذلك:

أولا: نوح عليه السلام:

جاءِ قوله تعالى على لسانه أنه قال: ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إني إذن لمن الظالمين﴾ (٢).

ففي هذه الآية ينفي نوح ـ عليه السلام ـ أن يكون عنده خزائن الله أو أنه يعلم الغيب أو أن يعلم هل سيؤتي الله أتباعه من الضعفاء

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/٢١٧.

(٢) هود ٣١.

والفقراء خيراً أو لا؟ وهل يموتون على الإيمان أو لا؟ وهل هم صادقون في إيمانهم واتباعهم له أو لا؟ ثم يكل علم ذلك وعلم ما في نفوسهم إلى الله ـــ عز وجل ـــ ويتبرأ من معرفة ذلك، بل ذكر أنه إن ادعى علم شيء من ذلك فإنه يكون من الظالمين، لأنه يكون بذلك قد تكلم فيما ليس له به علم، فكيف يتجرأ على الله؟ حاشاه أن يقفو ما ليس له به علم ويدعي معرفة الغيب.

وقد أشار ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ إلى هذا المعنى فقال: (معنى الكلام: ﴿ويا قوم لا أسألكم عليه أجراً﴾، ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ التي لا يفنيها شيء فأدعوكم إلى اتباعي عليها، ولا أعلم أيضا الغيب: يعني ما خفي من سرائر العباد فإن ذلك لا يعلمه إلا الله، فأدعي الربوبية وأدعوكم إلى عبادتي.. ﴿ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً﴾ يقول: ولا أقول للذين اتبعوني وآمنوا بالله ووحدوه، الذين تستحقرهم أعينكم وقلتم إنهم أراذلكم ﴿لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم﴾ يقول: الله أعلم بسرائر صدورهم واعتقاد قلوبهم، وهو ولي أمرهم في ذلك، وإنما لي ما ظهر وبدا وقد أظهروا الإيمان بالله واتبعوا فلا أطردهم ولا أستحل ذلك. ﴿إني إذا لمن الظالمين﴾ إن قلت لهم ﴿لن يؤتيهم اله خيراً﴾ وقضيت على سرائرهم بخلاف ما أبدته ألسنتهم على غير علم مني بما في نفوسهم وطردهم بفعل ذلك لمن الفاعلين ما ليس لهم فعله، المعتدين

ما أمرهم الله وذلك هو الظلم) [١].

وقال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ بنحوه [٢].

وقال القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ في معنى قوله تعالى: ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب﴾ الآية: (أخبر بتذلله وتواضعه لله ــ عز وجل ــ وأنه لا يدعي ما ليس له من خزائن الله وهي إنعامه على ما يشاء من عباده وأنه لا يعلم الغيب لأن الغيب لا يعلمه إلا الله عز وجل...) [٣].

وكذلك قال عنه في آية أخرى: ﴿قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون * قال وما علمي بما كانوا يعملون. . .﴾ [٤].

ففي هذه الآية ينفي نوح ــ عليه السلام ــ علمه بسرائر الخلق وبواطن نفوسهم ويخبر أن له الظاهر فقط، أما الباطن فلا يعلمه إلا الله ــ عز وجل ــ لأنه من اختصاص الله الذي يعلم السر وأخفى.

وقد أشار إلى هذا المعنى ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ حيث قال في معنى هذه الآية ما يلي: (يقول تعالى ذكره قال قوم نوح له مجيبيه عن قيله لهم: ﴿إني لكم رسول أمين * فاتقوا الله وأطيعون﴾ قالوا: أنؤمن لك يا

---

(١) جامع البيان ٢٠٣/١٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٥١/٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٦/٩.

(٤) الشعراء ١١١-١١٢.

نوح ونقر بتصديقك فيما تدعونا إليه، وإنما اتبعك منا الأرذلون دون ذوي الشرف وأهل البيوتات ﴿قال وما علمي بما كانوا يعملون﴾ : قال نوح لقومه: وما علمي بما كان أتباعي يعملون؟ إنما لي منهم ظاهر أمرهم دون باطنهم، ولم أكلف علم باطنهم وإنما كلفت الظاهر فمن أظهر حسناً أظهرت له حسناً ومن أظهر لي سيئاً ظننت به سيئاً. ﴿إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون﴾ إن حساب باطنهم الذي خفي عني إلا على ربي لو تشعرون فإنه يعلم سر أمرهم وعلانيته[١].

ثانياً: إبراهيم الخليل عليه السلام:

أما إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ فقد ذبح للملائكة العجل وهو لم يعلم أنهم ملائكة الله حتى أخبروه، ولم يعلم لماذا جاؤوا حتى أخبروه بأنهم رسل الله إلى قوم لوط.

قال الله تعالى حاكياً تلك القصة:

﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون * فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين * فقربه إليهم قال ألا تأكلون * فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم﴾ إلى أن قال: ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين * لنرسل عليهم حجارة من طين﴾ الآية [٢].

---

(١) جامع البيان ١٩/٩٠.

(٢) الذاريات (٢٤-٣٣).

ثالثاً: لوط عليه السلام:

ومثله لوط ـــ عليه السلام ـــ فإنه لما قدم عليه الملائكة لم يعلم بأنهم ملائكة الله، ولذا ﴿سيئ بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب﴾ فخاف من قومه أن يفعلوا بهم فاحشتهم المشهورة عنهم، حتى أنه قال: ﴿لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾ ولم يعلم أنهم رسل الله حتى أخبروه بذلك وقالوا: ﴿إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم. . .﴾ الآية[1].

فهاتان القصتان تدلان على أن إبراهيم ولوطاً ـــ عليهما السلام ـــ لم يعلما ولم يعرفا الملائكة الذين دخلوا عليهما، وظنّا أنهم بشرٌ مثلهما، حتى أخبروهما بأنهم رسل الله من الملائكة.

فإذا كانا لم يعلما ذلك فمن باب أولى أن لا يعرفا غيره من علم الغيب المختص بالله ـــ سبحانه وتعالى ـــ وهذا من أوضح الأدلة على أن الرسل لا يعلمون الغيب.

رابعاً: يعقوب عليه السلام:

وهذا يعقوب ـــ عليه السلام ـــ تبيض عيناه من الحزن على يوسف ـــ عليه السلام ـــ وهو في مصر لا يدري خبره وأين هو، فقال الله تعالى حاكياً قصته:

---

(١) هود ٧٧- ٨١.

﴿وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾ [١].

وكذلك أرسل ابنه يوسف مع إخوته ولم يكن يعلم بما دبروه من الكيد به، ولو كان يعلم الغيب لما أرسله معهم. ومثله أخوه بنيامين.

خامساً: موسى عليه السلام:

وموسى ــ عليه السلام ــ يتبرأ من علم الغيب ويرده إلى الله ــ عز وجل ــ وذلك حينما سأله فرعون عن القرون الأولى ما بالها لم تؤمن وقد جاءتها الرسل بما جئت به؟ فرد ــ عليه السلام ــ بأن علمها إلى الله ــ عز وجل ــ قال الله تعالى: ﴿قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾ [٢].

قال القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ في معنى هذه الآية: (أي ما حالها وما شأنها فأعلمه أن علمها عند الله تعالى، أي أن هذا من علم الغيب الذي سألت عنه، وهو مما استأثر الله تعالى به لا يعلمه إلا هو، وما أنا إلا عبد مثلك لا أعلم منه إلا ما أخبرني به علام الغيوب، وعلم أحوال القرون مكتوبة عند الله تعالى في اللوح المحفوظ...) [٣].

---

(١) يوسف ٨٤ وما بعدها.

(٢) طه (٥١-٥٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٠٥/١١.

ومما يدل على أنه لا يعلم الغيب أيضا قوله تعالى: ﴿قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا﴾ (١).

حيث إن الله ـ جل وعلا ـ أخبره بما فعله قومه من بعده مما يدل على أن موسى عليه السلام لم يعلم ذلك.

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: (أخبر تعالى نبيه موسى ـ عليه السلام ـ بما كان بعده من الحدث في بني إسرائيل وعبادتهم العجل الذي علمه لهم ذلك السامري، ﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً﴾ أي: بعد ما أخبره الله تعالى في غاية الغضب والحنق عليهم...) (٢).

ومما يدل على أنه لا يعلم الغيب أيضا أن آل فرعون هموا بقتله وأرسل فرعون جنوده ليبطشوا به وذلك بعد قتله القبطي الذي كان يقتتل مع الإسرائيلي، حيمنا استغاثه الإسرائيلي فوكز موسى القبطي فقضى عليه، ثم إن موسى ـ عليه السلام ـ وجد ذلك الإسرائيلي يقتتل مع قبطي آخر فاستغاث به الإسرائيلي، فقال له موسى إنك لغوي مبين. أي: بانت غوايتك وظهرت باعتدائك على الناس ثم أقبل موسى يريد قتل ذلك القبطي فظن الإسرائيلي أنه يريد قتله، فقال له: ﴿أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس...﴾ فسمعها القبطي وأخبر أهل القتيل بأن موسى هو

---

(١) طه (٨٥-٨٦).

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣٠٣/٥.

القاتل. فهم القوم ليقتلوه وأرسل فرعون جنده لذلك، و لم يكن موسى ـــ عليه السلام ـــ يعلم بما هم به جنود فرعون من إرادة قتله، إلا بعد أن جاءه ذلك الرجل من أقصى المدينة يسعى حتى سبقهم وأخبره بأن الملأ يأتمرون به ليقتلوه ونصحه بالخروج من المدينة فخرج[١].

ولو كان ـــ عليه السلام ـــ يعلم الغيب لخرج ولما احتاج لمن يخبره بما هم به ملأ فرعون. ولعلم بأن الملأ عرفوا أنه هو القاتل قبل أن يخبره ذلك الرجل، ولخرج قبل ذلك. ولو كان يعلم أنه سينجو لما خرج وهو خائف يترقب إدراكهم له وقتله.

قال تعالى حاكياً تلك القصة: ﴿...وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين * فخرج منها خائفا يترقب..﴾[٢].

قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ : (ذكر أن قول الإسرائيلي سمعه سامع فأفشاه وأعلم به أهل القتيل فحينئذ طلب فرعون موسى وأمر بقتله، فلما أمر بقتله جاء موسى مُخْبِرٌ وخَبَّرَهُ بما قد أمر به فرعون في أمره، وأشار عليه بالخروج من مصر بلد فرعون وقومه، فخرج موسى من مدينة فرعون خائفاً من قتل النفس أن يقتل به ﴿يترقب﴾ يقول ينتظر

---

(١) انظر جامع البيان ٢٠/٥٠ وما بعدها، والجامع لأحكام القرآن ١٣/٢٦٥-٢٦٦.

(٢) القصص (٢٠-٢١).

الطلب أن يدركه فيأخذه) [١].

وكذلك قتل قتيلا في بني إسرائيل وطلبوا منه ﷺ يبيّنه لهم، ولم يكن يعلم من هو القاتل حتى دعا الله فأمره أن يأمرهم بذبح بقرة ويضربوه بعظمها، فأحياه الله وأخبر بقاتله، ولو كان نبي الله يعلم الغيب لما طلب من الله أن يبين لهم القاتل؛ ولأخبرهم به وانتهى الأمر، ولكنه لا يعلم الغيب.

سادساً: سليمان عليه السلام:

أما سليمان ـــ عليه السلام ـــ فمما يدل على أنه لا يعلم الغيب ما حدث له مع بلقيس، فإنه لم يكن يدري عنها وقومها حتى جاءه الخبر من الهدهد مع أن الله قد سخر له ما لم يسخر لأحد من العالمين؛ سخر له الجن والشياطين والريح والطير وغيرها.

قال الله تعالى حاكياً قصته: ﴿ وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين * لأعذبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين * فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين * إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم. . . ﴾ [٢].

سابعاً: زكريا عليه السلام:

وكذلك زكريا ـــ عليه السلام ـــ لم يكن يدري من أين يأتي مريم

---

(١) جامع البيان ٢٠/٥٠-٥٢).

(٢) النمل ٢٠ وما بعدها.

الطعام الذي ترزقه، فكان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً، لا يدري من أين يأتيها هذا الرزق إلا بعد أن أخبرته مريم بذلك: قال تعالى: ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً * قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ (١) ولو كان يعلم الغيب لما سألها عن ذلك.

ثامنا: عيسى عليه السلام:

وكذلك عيسى عليه السلام كان لا يعلم من الغيب إلا ما أطلعه الله عليه، وأعلمه به، أما غير ذلك من الغيب فلم يكن يعلمه، قال تعالى: ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ (٢) لأن علم الغيب من صفات الكمال التي خص الله بها نفسه دون من سواه.

(وصفات الكمال ترجع إلى ثلاثة أمور:

العلم، والقدرة، والغنى، وإن شئت تقول العلم والقدرة. والقدرة إما على الفعل؛ وهو التأثير، وإما على الترك وهو الغنى، والأول أجود. وهذه الثلاثة لا تصح على وجه الكمال إلا لله وحده، فإنه هو الذي أحاط بكل

---

(١) آل عمران ٣٧٩.

(٢) المائدة ١١٦.

شيء علماً وهو على كل شيء قدير، وهو غني عن العالمين) [١].

تاسعاً: محمد عليه الصلاة والسلام:

بعد أن عرضنا فيما تقدم موقف الأنبياء السابقين ــ عليهم الصلاة والسلام ــ من الغيب، يبقى ذكر موقف سيدهم وخاتمهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الغيب. فقد وردت عشرات الآيات في الكلام على هذه القضية، وكذلك الأحاديث النبوية ومن تلك النصوص القرآنية ما يلي:

قال تعالى: ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي. . . ﴾ [٢].

وقال ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ : (يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المنكرين نبوتك لست أقول لكم إني الرب الذي له خزائن السموات والأرض فأعلم غيوب الأشياء الخفية التي لا يعلمها إلا الرب الذي لا يخفى عليه شيء فتكذبوني فيما أقول من ذلك؛ لأنه لا ينبغي أن يكون رباً إلا من له ملك كل شيء، وبيده كل شيء، ومن لا يخفى عليه خافية، وذلك هو الذي لا إله غيره.. ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾ يقول: قل لهم ما أتبع فيما أقول لكم وأدعوكم إليه إلا ما يوحي الله الذي يوحيه إلي

---

(١) انظر المعجزة والكرامة ص ٢٧.

(٢) الأنعام (٥٠).

وتنـــزيله الذي ينـــزله علي فأمضي لوحيه وأئتمر لأمره...)[١].

وقال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ في قوله تعالى: ﴿ولا أعلم الغيب﴾: (أي ولا أقول إني أعلم الغيب إنما ذلك من علم الله عز وجل لا أطلع منه إلا على ما أطلعني عليه)[٢].

وقال الألوسي ــ رحمه الله تعالى ــ في معنى هذه الآية: (قل يا محمد لا أدعي أن خزائن مقدوراته تعالى مفوضة إلي أتصرف فيها كيف أشاء استقلالاً واستدعاءً، ولا أدعي أني أعلم الغيب حتى تسألوني عن وقت العذاب أو نـــزول العذاب)[٣].

وقوله تعالى: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾[٤].

قال ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ: (لو كنت أعلم ما هو كائن مما لم يكن بعد ﴿لاستكثرت من الخير﴾ يقول: لأعددت الكثير من الخير)[٥].

---

(١) جامع البيان ٣٧١/١١.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٥٣/٣.

(٣) روح المعاني ٣٣/٣.

(٤) الأعراف (١٨٨).

(٥) جامع البيان ٣٠١/١٣.

وقال القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ: (..أي: لو كنت أعلم المستقبل وما يحدث لي لفعلت ما يرضي الله ــ عز وجل ــ واجتنبت ما يسخطه، ولأكثرت من عمل الصالحات ولحذرت السوء مخافة أن يصيبني)[١].

وقال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ في معناها: (أمر الله تعالى أن يفوض الأمور إليه وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب، ولا اطلاع له على شيء من ذلك إلا بما أطلعه الله؛ كما قال تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً﴾ [٢]

وقال تعالى: ﴿ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾ [٣].

وقال ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ: (قال أبو جعفر يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون هلا أنزل على محمد آية من ربه..قال الله له: قل يا محمد: ﴿إنما الغيب لله﴾ أي: لا أعلم أحداً يفعل ذلك إلا هو جل ثناؤه؛ لأنه لا يعلم الغيب ــ وهو السر الخفي من الأمور ــ إلا الله فانتظروا أيها القوم قضاء الله بيننا بتعجل عقوبته للمبطل منا، إني معكم ممن ينتظر ذلك) [٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٣٦/٧.
(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٧٢/٨.
(٣) يونس (٢٠).
(٤) جامع البيان ٤٨/١٥، تحقيق محمود شاكر والأخرى ٩٩/١١.

وقال القرطبي ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (يريد أهل مكة هلا أنزل عليه آية، أي معجزة غير هذه المعجزة.. ﴿فقل إنما الغيب لله﴾ أي: قل يا محمد إن نزول الآية غيب ﴿فانتظروا﴾ أي تربصوا. ﴿إني معكم من المنتظرين﴾ لنـــزولها) [١].

وقال تعالى: ﴿. .ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون﴾[٢].

قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركي قومك: ﴿ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون﴾ في شأن آدم من قبل أن يوحي إلي ربي فيعلمني ذلك، يقول: ففي إخباري لكم عن ذلك دليل واضح على صدقي، وإن ما جئت به من عند الله؛ لأنكم تعلمون أن علم ذلك لم يكن عندي قبل نزول هذا القرآن، ولا هو مما شاهدته فعاينته، ولكني علمت ذلك بإخبار الله إياي به) [٣].

وقال ابن كثير ـــ رحمه الله تعالى ـــ في معنى الآية: (أي لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملأ الأعلى؛ يعني في شأن آدم وامتناع إبليس من السجود له ومحاجته ربه في تفضيله عليه) [٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣٢٣/٨.

(٢) سورة ص (٦٩).

(٣) جامع البيان ١٨٣/٣٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٧١/٧.

وقال تعالى: ﴿وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ [(١)].

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ: يقول تعالى ذكره لنبيه: قل وما أدري متى الوقت الذي يحل بكم عقاب الله الذي وعدكم فينتقم به منكم أقريب نزوله بكم أم بعيد) [(٢)].

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: (يعني أجل يوم القيامة لا يدريه أحد لا نبي مرسل ولا ملك مقرب، قاله ابن عباس) [(٣)].

وقال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: (أي هو واقع بهم لا محالة ولكن لا علم لي بقربه ولا ببعده) [(٤)].

ومثلها قوله تعالى: ﴿وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾ [(٥)].

(أي وما يدريني لعل هذه فتنة ومتاع إلى حين) [(٦)].

وقوله تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين * قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين﴾ [(٧)].

وقال تعالى: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك

---

(١) الأنبياء (١٠٩).
(٢) جامع البيان ١٧/١٠٧.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ١١/٣٥٠.
(٤) تفسير القرآن العظيم ٥/٣٧٣.
(٥) الأنبياء (١١١).
(٦) تفسير القرآن العظيم ٥/٣٧٣.
(٧) الملك (٢٥-٢٦).

حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ [١].

وقال تعالى: ﴿يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله﴾[٢].

وغير هذه الآيات كثير جداً فالقرآن الكريم مليء بالآيات التي يأمر الله ـــ جل شأنه ـــ فيها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأن يعلن للخلق بأنه لا يعلم شيئاً من الغيب إلا ما أطلعه الله وأعلمه به، أما ما عدا ذلك فليس له معرفته.

وأما الأدلة من السنة فهي كثيرة:

تظافرت الأدلة من السنة الدالة على أنه صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب، وإليك بعضاً منها:

جاء في حديث خالد بن ذكوان عن الربيع بنت معوذ قالت: «دخل على النبي صلى الله عليه وسلم غداة بني علي، فجلس على فراشي مجلسك مني؛ وجويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر، حتى قالت جارية: وفينا نبي يعلم ما في غد؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولي هكذا وقولي ما كنت تقولين» [٣].

ففي هذا الحديث نهي النبي صلى الله عليه وسلم تلك الجارية أن تنسب له علم الغيب المستقبلي؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لا يعلم من ذلك شيئاً؛ وإنما يعلمه علام الغيوب وحده دون من سواه ولذلك نهى

---

(١) الأعراف (١٨٧)

(٢) الأحزاب (٦٣).

(٣) رواه البخاري (ح ٤٠٠١) وأبو داود (٤٩٢٢).

الجارية عن تلك المقولة.

وقد ورد النهي صريحا في رواية الترمذي له حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اسكتي عن هذه وقولي الذي كنت تقولين قبلها» [١].

وورد أصرح منه في رواية ابن ماجه حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أما هذا فلا تقولوه. ما يعلم ما في غد إلا الله» [٢].

وعن خارجة بن زيد بن ثابت: «أن أم العلاء ــ امرأة من نسائهم بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ــ أخبرته أن عثمان بن مظعون طار لهم في السكنى[٣] حين اقترعت الانصار على سكنى المهاجرين. قالت أم العلاء: فاشتكى عثمان عندنا فمرضته حتى توفي، وجعلناه في أثوابه، فدخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب شهادتي عليك لقد أكرمك الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وما يدريك أن الله أكرمه؟ قالت قلت: لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله فمن؟ قال: أما هو فقد جاءه والله اليقين، والله إني لأرجو له الخير، وما أدري والله ــ وأنا رسول الله ــ ما يفعل بي. قالت فوالله لا أزكي أحداً بعده. قالت فأحزنني ذلك فنمت فرأيت لعثمان عيناً تجري فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فقال ذلك عمله» [٤].

---

(١) رواه الترمذي (ح ١٠٩٠) وقال هذا حديث حسن صحيح.

(٢) رواه ابن ماجة (ح١٨٩٧) ٦١١/١.

(٣) أي خرج لهم في القرعة حين استضافت الأنصار إخوانهم المهاجرين.

(٤) البخاري (ح ٣٩٢٩).

قال الحافظ في الفتح: (قوله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم. إنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك موافقة لقوله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ وكان ذلك قبل نزول قوله تعالى: ﴿ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر﴾ لأن الأحقاف مكية وسورة الفتح مدنية بلا خلاف فيهما. وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال: «أنا أول من يدخل الجنة» وغير ذلك من الأخبار الصريحة في معناه فيحتمل أن يحمل الإثبات في ذلك على العلم المجمل والنفي على الإحاطة من حيث التفصيل) [(١)].

ومثله حديث حذيفة بن اليمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني لا أدري قدر بقائي فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي» وأشار إلى أبي بكر وعمر[(٢)].

وأيضا حديث ثوبان الطويل حينما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم حبر من أحبار اليهود وسأله عن أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ ومن أول الناس إجازة على الصراط إلى الجنة؟ وما تحفة أهل الجنة حينما يدخلونها؟ وما غذائهم على إثرها؟ وما شرابهم عليه؟ وعن الولد متى يكون ذكراً ومتى يكون أنثى؟ فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ثم قال: «لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما أعلم

---

(١) الفتح ١١٥/٣.

(٢) رواه ابن ماجة (٣٧/٩٧).

بشيء منه حتى أتاني الله به»[(١)].

فهذه الأمور التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي حين سأله لم يكن يعلم منها شيئاً حتى جاءه الوحي بذلك، ولو كان يعلم الغيب لما احتاج لمن يخبره.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال: «إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾ الآية. وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل، وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم﴾ إلى قوله: ﴿الحكيم﴾ قال: فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم»[(٢)].

ولمسلم عن أنس ـ رضي الله عنه ـ وفيه: «...أتدرون ما الكوثر فقلنا الله ورسوله أعلم. قال: فإنه نهر وعدنيه ربي ـ عز وجل ـ عليه خير كثير. هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم فأقول: رب إنه من أمتي فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك»[(٣)].

---

(١) مسلم (ح ٣١٥) ج ١.

(٢) البخاري (ح ٦٥٢٦) والترمذي (٢٤٢٣) ج٤.

(٣) مسلم (٤٠٠) والنسائي (ح ٩٠٥).

وعن أبي سعيد الخدري ـــ رضي الله عنه ـــ في قصة اختصام اليهودي مع المسلم وفيه: «...فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تفضلوا بين الأنبياء إن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أكان فيمن صعق أم حوسب بِصَعْقَةِ الأولى»[1].

وحديث ماعز عند مسلم حين جاء ماعز ـــ رضي الله عنه ـــ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله طهرني فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه» فما زال يردده حتى إذا كانت الرابعة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فيم أطهرك؟ قال: من الزنى فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبه جنون؟ فأخبر أن ليس بمجنون فقال: أشربت خمراً؟ فقام رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أزنيت؟ قال: نعم. فأمر به فرجم»[2].

فماعز ـــ رضي الله عنه ـــ جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يقول: طهرني فسأله عن أي شيء يطهره؟ ولو كان يعلم الغيب لم يسأله.

---

(١) رواه البخاري (ح ٢٤١٢)، والترمذي (ح ٣٢٤٥)، وابن ماجه (ح ٤٢٧٤)، وأحمد ٢/٤٥١، ٣/٣٣، ٤١).

(٢) رواه مسلم (١٦٩٥) ج ٣.

وكذلك سأل أبه جنون؟ وهل شرب خمراً؟ فكل هذا يدل على عدم علمه الغيب.

ثم نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبرأ من علم الغيب ويرده إلى علام الغيوب، وذلك في الدعاء المأثور عنه: «اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة» الحديث[١].

وعن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة فقالت: «يا أبا عائشة: ثلاث من تكلم بواحدة فقد أعظم على الله الفرية. قلت: فما هن؟ قالت: من زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية..» إلى أن قالت: «ومن زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله يقول: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ [٢].

وقد رواه البخاري عن مسروق عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «من حدثك أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب

(١) الترمذي (ح ١٣٠٦) ج ٣.

(٢) أخرجه مسلم (ح ٢٨٧) والترمذي (ح ٣٠٦٨).

وهو يقول: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ ومن حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب وهو يقول: لا يعلم الغيب إلا الله»[(١)].

فهذه الأحاديث فيها الدلالة الواضحة الكافية الشافية التي تدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب بل يتبرأ منه وينهى من ينسب إليه شيئاً من ذلك، لأنه من اختصاص الله، لا يعلم منه إلا ما أعلمه الله به.

وإن في قصة الإفك لأوضح دلالة وأبينها حيث بقي شهراً كاملا وهو لا يدري ما مدى صحة أو بطلان ما نسب إلى الصديقة بنت الصديق ــ رضي الله عنهما وأرضاهما ــ وبلغت أذيَّة المنافقين له مبلغاً لو كان على غيره لما احتمل جزءاً منه، ولكنه صلى الله عليه وسلم صبر. ثم بعد تلك المدة يأتيه الخبر من السماء ببراءة عائشة ــ رضي الله عنها ــ في قوله تعالى: ﴿أولئك مبرؤون مما يقولون﴾ الآية[(٢)].

وكذلك الرسل لا يعلمون الغيب ويتبرؤون منه. ويدل على ذلك حديث عبد الله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ قال: «لما كان ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم لقي إبراهيم وموسى وعيسى فتذاكروا الساعة فبدؤوا بإبراهيم فسألوه عنها فلم يكن عنده منها علم، ثم سألوا موسى فلم يكن عنده منها علم، فَرُدَّ الحديث إلى عيسى بن مريم فقال قد

---

(١) البخاري (ح ٧٣٨٠)، وقد تقدم انظر ص ٢٤٩.

(٢) انظر أضواء البيان ٢/١٩٥.

عهد إلي فيما دون وجبتها، فأما وجبتها فلا يعلمها إلا الله فذكروا خروج الدجال» الحديث [١].

وهذا نوح ــ عليه السلام ــ وهو أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض وأول أولي العزم يتبرأ من الغيب ويكل علمه إلى الله ــ سبحانه وتعالى ــ كما تقدم ذكره.

وهذا محمد صلى الله عليه وسلم آخر رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، وآخر أولي العزم، وخاتم الأنبياء فلا نبي بعده، يتبرأ من معرفة الغيب ويكله إلى الله ــ عز وجل كما تقدم أيضاً. فدل هذا دلالة جليَّة بأن الرسل لا يعلمون الغيب.

وقد تمسك الذين يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب ببعض الأحاديث التي ذكر فيها النبي صلى الله عليه وسلم بعض الأمور الغيبية، ــ والتي تقدم بعضها وسيأتي ذكر شيء منها أيضاً ــ حيث قالوا إنه في أول الأمر لم يكن يعلم الغيب ولكنه علم بعد ذلك، كما علم أنه في الجنة علم أيضاً قرب موته وغير ذلك.

وفي الحقيقة أنه لا حاجة في ذلك؛ لأن تلك أمور خصه الله ــ سبحانه وتعالى ــ بها فأطلعه عليها فكانت معجزة له ودلالة على صدق

---

(١) ابن ماجه (٤٠٨١) ج٢ قال صاحب الزوائد إسناده صحيح رجاله ثقات ومؤثر بن عفاره ذكره ابن حبان في الثقات، وباقي رجال الإسناد ثقات ٦٤/١.

رسالته، وتأييداً لصدق نبوته[1] ثم إن النصوص التي دلت على تبرئهم من العلم بالغيب والتي قد مر ذكر بعضها لهي كفيلة بأن تلجم كل من يتفوه بمثل هذا.

ولم يقف هؤلاء عند حد حتى زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم بما في اللوح المحفوظ[2] بل زعموا أن له التصرف بالكون. عليهم من الله ما يستحقون.

فمتى كان النبي صلى الله عليه وسلم كذلك والله يقول: ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾ [3]

(١) وسيأتي بيان ذلك مفصلا إن شاء الله في الفصل الآتي.

(٢) انظر الفصل الثاني من الباب الرابع.

(٣) الأعراف (١٨٨).

الفصل الثالث

تأييد الله عز وجل للرسل بإطلاعهم على أمور الغيب



الفصل الثالث: تأييد الله عز وجل للرسل بإطلاعهم على أمور الغيب

التمهيد:

حاجة الرسل إلى المؤيدات:

بعد أن تبين أن الرسل ــ عليهم السلام ــ كبقية البشر لا يتميزون عنهم بشيء في الخلقة، إلا بما خصهم الله به من وحيه واصْطفاهم على الخلق بالرسالة، وأيدهم بما يدل على صدقهم من الحجج والبراهين والآيات والمعجزات الدالة على نبوتهم، وقد كان كل نبي من الأنبياء يؤيد بتلك المعجزات، فهذا إبراهيم ــ عليه السلام ــ ألقي في النار فخرج منها سالماً معافى، وهذا صالح ــ عليه السلام ــ قال له قومه ﴿ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين * قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم. . .﴾ الآية [1].

وموسى ــ عليه السلام ــ أيده الله بالعصا، قال تعالى على لسان موسى يخاطب فرعون: ﴿أولو جئتك بشيء مبين * قال فأت به إن كنت من الصادقين * فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين * ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ [2].

---

(١) الشعراء (١٥٤-١٥٥).

(٢) طه (٤٩).

وعيسى ـــ عليه السلام ـــ أيده الله بمعجزات كثيرة منها: إحياء الموتى وعلمه بما يدخر قومه. قال تعالى على لسانه: ﴿... أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين﴾ [١].

وكذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أيده الله بمعجزات كثيرة أعظمها هذا القرآن العظيم الذي تحدى الناس به وبفصاحته، وتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله، قال تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ [٢].

ومنها أيضاً انشقاق القمر، قال تعالى: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ [٣].

إذن فقد كان الرسل بحاجة إلى ما يؤيد صدقهم؛ ويدلل على نبوهم ليحاجوا بها أقوامهم، فكان الله يؤيدهم بتلك المعجزات.

ومن تلك البراهين والآيات: إطلاعهم على بعض المغيبات التي اختص الله بعلمها دون غيره. فقد أطلعهم الله عليها لتؤكد صدقهم في دعواهم للنبوة.

---

(١) آل عمران (٤٩).

(٢) البقرة (٢٣).

(٣) القمر (١).

الأدلة على إطلاع الرسل على بعض المغيبات:

قد أشرت فيما سبق بعد أن ذكرت الأدلة على اختصاص الله بعلم الغيب إلى أن الله قد يطلع من يجتبي من رسله على أمور من الغيب، وقد دلت النصوص على ذلك. ومن هذه النصوص ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء﴾ الآية[1].

فدلت هذه الآية على أن الله ــ جل وعلا ــ قد يطلع من يشاء من رسله على ما شاء من الغيب تأييداً لهم وحجة على أقوامهم المنكرين لرسالتهم.

ومعنى الآية كما فسرها السلف: أنه سبحانه ما كان ليترك المؤمنين مع المنافقين على ما هم عليه دون تمييز بينهم، فإنه لا بد من التمييز حتى يعرف المؤمن من المنافق، وهذا لا يكون بإبلاغكم واطلاعكم على ما في سرائرهم وما تخفيه صدورهم؛ لأن هذا من علم الغيب الذي اختص الله ــ سبحانه وتعالى ــ به: ﴿ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء﴾ فيطلعه بطريق الوحي على بعض المغيبات كما حصل للنبي صلى الله عليه وسلم حينما أطلعه الله على سرائر المنافقين لما عزموا على قتله بإلقائه من أعلى العقبة، فعرفهم وأخبرهم بما قالوه وما عزموا أن يفعلوه، وكان ذلك في

---

(١) آل عمران (١٧٩).

غزوة تبوك[1].

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطلع حذيفة بن اليمان ــ رضي الله عنه ــ على أسماء هؤلاء المنافقين و لم يطلع عليهم غيره.

قال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ : (ولهذا كان حذيفة يقال له «صاحب السر الذي لا يعلمه غيره» أي من تعيين جماعة من المنافقين وهم هؤلاء قد أطلعه عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيره والله أعلم) [2].

---

(١) انظر جامع البيان ٤٢٧/٧، والجامع لأحكام القرآن ٢٨٩/٤، ومعالم التنــزيل للبغوي ٣٧٧/١، وروح المعاني ٤٢٧/٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤٢٧/٢، وانظر زاد المعاد ٥٤٨/٣، ويؤيد هذا ما رواه البخاري ــ رحمه الله تعالى ــ في صحيحه (أن أبا الدرداء قال لعلقمة أليس فيكم صاحب السر الذي لا يعلمه غيره). (ح ٣٧٤٢).
ويؤيده أيضاً ما رواه مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «في أصحابي اثنا عشر منافقاً لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط، ثمانية منهم تكفيكهم الدبيلة سراج من نار ويظهر بين أكتافهم حتى ينجم من صدورهم» (ح ٢١٤٣).
وكذلك حديث الطفيل قال كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون في الناس فقال: أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة؟ قال فقال له القوم: أخبره إذ سألك قال: كنا نخبر أنهم أربعة عشر، فإذا كنت منهم فقد كانوا خمسة عشر، وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم =

وكان عمر ــ رضي الله عنه ــ إذا مات الرجل وشكوا فيه يقول: انظروا فإن صلى عليه حذيفة وإلا فهو منافق.

كما كان أيضاً يتخوف من النفاق حتى إنه سأل حذيفة هل عده رسول الله من المنافقين! فقال حذيفة ــ رضي الله عنه ــ لا. ولا أخبر أحداً غيرك[1].

وقوله تعالى: ﴿. .قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً * عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من

= الأشهاد وعذر ثلاثة ... الحديث) رواه مسلم (ح ٢٧٧٩) وعند أحمد نحوه عن عمار ٤٥٣/٥، وروى البيهقي نحوه أيضا في الدلائل ٢٥٦/٥، ٢٥٨.

قوله أهل العقبة: أي التي على طريق تبوك وفيها اجتمع المنافقون على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم في أثناء الرجوع من غزوة تبوك فعصمه الله منهم.

(١) أخرج نحوه الخرائطي في مساوئ الأخلاق (١/٢٧/ب/٢٨/أ) من طريق أبو داود الطيالسي ثنا أبو مرة عن الحسن قال: هلك رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكان جار لحذيفة فلم يصل عليه حذيفة، فبلغ ذلك عمر فقال عمر لحذيفة، وأقبل عليه: يموت رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصل عليه؟ فقال يا أمير المؤمنين إنه منهم، قال نشدتك الله أنا منهم أم لا؟ قال: اللهم لا، ولا أؤمِّن منها أحداً بعدك). انظر الزهد لوكيع ٧٨٦/٣، وقال محققه رجاله ثقات، وإسناده صحيح. ويشهد لذلك أيضاً ما جاء عن زيد بن وهب قال: مات رجل من المنافقين فلم يصل عليه حذيفة. فقال عمر: أمن القوم هذا؟ قال نعم، قال بالله أمنهم أنا؟ قال لا ولن أخبر به بعدك أحداً. كنــز العمال (ح ٣٦٩٦٢) ج ١٣ ونحوه (ح ٣٦٩٦١) ج ١٣.

بين يديه ومن خلفه رصداً * ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً﴾ (١).

قال ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ : (هذه كقوله تعالى: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ . وهكذا قال ههنا إنه لا يطلع أحداً من خلقه على شيء من علمه إلا بما أطلعه الله تعالى عليه ولهذا قال: ﴿فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾ وهذا يعم الرسول الملكي والبشري) (٢).

وقال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: (قال العلماء ـ رحمة الله عليهم ـ : لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه. ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء الله من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة ودلالة صادقة على نبوتهم) (٣).

قال الألوسي ـ رحمه الله تعالى ـ: (لما كان مساق الكلام قد يتوهم منه أنه عليه الصلاة والسلام لم يطلع على شيء من الغيب. عقب ـ عز وجل ـ الكلام بالاستثناء المنقطع.. الذي هو بمعنى الاستدراك لدفع ذلك على أبلغ وجه، حيث عمم الأمر في الرسل المرتضين وأقام

(١) الجن (٢٥-٢٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣٧٣/٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٨/١٩.

كيفية الإظهار مقام الإظهار، مع الإشارة إلى البعض الذين اطلعوا عليه، المناسب لمقام الدعوة، فمعنى الآية: لكن الرسول المرتضى يظهره جل وعلا على بعض الغيوب المتعلقة برسالته، كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقاً [ما] إما لكونه من مباديها بأن يكون معجزة، وإما لكونه من أركانها وأحكامها كعامة التكاليف الشرعية وكيفيات الأعمال وأجزيتها ونحو ذلك من الأمور الغيبية التي بيانها من وظائف الرسالة، بأن يسلك من جميع جوانبه عند إطلاعه على ذلك حرساً من الملائكة ـــ عليهم السلام ـــ يحرسونه من تعرض الشياطين، لما أريد إطلاعه عليه اختطافاً أو تخليطاً، ليعلم الرسول المرتضى بأنه قد بلغته الغيوب المظهر عليها كما هي من غير اختطاف ولا تخليط) [١].

وقوله تعالى: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ [٢].

وعلم الغيب من علمه الذي لا يطلع عليه أحداً إلا بعد مشيئته وإرادته. والآيات التي سبقت تخصص الرسل من بين سائر البشر على إمكان اطلاعهم على بعض الغيب النافذ بعد مشيئة الله وإرادته. وقد بين المفسرون هذا المعنى:

قال ابن كثير ـــ رحمه الله تعالى ـــ في معنى الآية: (أي لا يطلع أحداً من علم الغيب على شيء إلا بما أعلمه الله ـــ عز وجل ـــ وأطلعه

---

(١) روح المعاني ١٥/١٢٠ مختصراً.

(٢) البقرة (٢٥٥).

عليه، ويحتمل أن يكون المراد: لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم الله عليه؛ كقوله تعالى: ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ [1].

ولا مانع أن تكون دالة على كلا المعنيين لأنه سبحانه أطلق العلم و لم يقيده بشيء.

الرسل لا يعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه:

تبين مما سبق أن أعلم المخلوقين وهم الرسل والملائكة لا يعلمون من الغيب إلا ما أعلمهم الله به. وهو ــ سبحانه وتعالى ــ يطلع رسله على ما يشاء من غيبه كما مر معنا في الآيات السابقة، وقد أشرت إلى أن ذلك يكون إما تأييداً لهم ومعجزة من معجزاتهم، وإما ما يكون من أركان الرسالة وأحكامها كعامة التكاليف. وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك:

أولا: نوح عليه السلام:

أطلع الله نبيه نوحاً ــ عليه السلام ــ على أمور من الغيب منها: أنه لن يؤمن من قومه إلا من آمن، فأمره بأن يصنع سفينة لأن الله سيرسل عليهم الطوفان فيغرقهم فكان هذا مما أوحى إليه ربه من علم الغيب. وإلا فقد لبث ــ عليه السلام ــ في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوا قومه، و لم يدر هل سيزيد عدد المؤمنين به أو لا؟ حتى أوحى إليه ربه أنه لن يؤمن من قومه إلا من آمن. و لم يدر بما سيعذبهم الله تعالى به حتى

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١/٤٥٠.

أخبره الله بذلك. قال تعالى: ﴿وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون * واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون * ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون * فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم * حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل﴾ (١)

قال ابن كثير ـــ رحمه الله تعالى ـــ : (يخبر تعالى أنه أوحى إلى نوح ـــ عليه السلام ـــ لما استعجل قومه نقمة الله بهم وعذابه لهم. فدعا عليهم نوح دعوته التي قال الله مخبراً عنها: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾. ﴿فدعا ربه أني مغلوب فانتصر﴾ فعند ذلك أوحى الله إليه ﴿أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ فلا تحزن عليهم ولا يهمنك أمرهم) (٢).

ثانيا: صالح عليه السلام:

أطلع الله نبيه صالحاً ـــ عليه السلام ـــ على عذاب قومه قبل وقوعه، وأخبره بأنه سيحل بهم عذاب عظيم بعد ثلاثة أيام من عقرهم الناقة. فما إن مضت تلك الثلاثة حتى جاءهم العذاب من فوقهم، فهلكوا

---

(١) هود (٣٦-٤٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/٢٥٢.

عن بكرة أبيهم، ونجى الله نبيه ومن معه. قال تعالى على لسان صالح: ﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب * فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب * فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا . . .﴾ الآية[(١)].

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى ـ في تأويل الآية الثانية يقول تعالى ذكره: (فعقرت ثمود ناقة الله .. فقال لهم صالح ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾ يقول استمتعوا في دار الدنيا بحياتكم ثلاثة أيام ﴿ذلك وعد غير مكذوب﴾. يقول هذا الذي أجلتكم وعد الله من الله وعدكم بانقضائه الهلاك ونزول العذاب بكم ﴿غير مكذوب﴾ يقول لم يكذبكم فيه من أعلمكم ذلك) [(٢)].

ثالثا: إبراهيم عليه السلام:

أما إبراهيم ـ عليه السلام ـ فقد أطلعه الله ـ سبحانه وتعالى ـ على بعض أمور الغيب التي اختص بها.

ومن ذلك أنه أخبره بأنه سيولد له ولد اسمه إسحاق، وهذا الولد سيكون له ولد اسمه يعقوب، وهذا من علم الغيب؛ لأنه لا يعلم ما في

---

(١) هود (٦٤-٦٦).

(٢) جامع البيان ٣٧٢/١٥.

الأرحام إلا الله ــ سبحانه وتعالى ــ كما سبق ذكره.

قال تعالى مخبراً عن ذلك: ﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ * فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط * وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب * قالت يا ويلتا ءألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب * قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد * فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط﴾ [1].

قال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ في معنى هذه الآيات: ﴿ولقد جاءت رسلنا﴾ وهم الملائكة إبراهيم بالبشرى قيل تبشره بإسحاق. وقيل بهلاك قوم لوط ويشهد للأول قوله تعالى: ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط﴾ .. وقوله تعالى: ﴿وامرأته قائمة فضحكت﴾ استبشاراً بهلاك قوم لوط لكثرة فسادهم وكفرهم، فلهذا جوزيت بالبشارة بالولد بعد الإياس) [2].

وقال ابن جرير في قوله تعالى: ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع﴾ أي الخوف الذي أوجسه في نفسه، وأمن أن يكون قصد في نفسه وأهله بسوء

---

(١) هود (٦٩-٧٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/٢٦٤.

وجاءته البشرى بإسحاق ظل يجادلنا في قوم لوط) [(١)].

وكذلك من الغيب الذي أطلعه الله عليه إبراهيم ـ عليه السلام ـ: هلاك قوم لوط قبل وقوعه بهم كما ذكر الله ذلك في الآية السابقة.

رابعا: لوط عليه السلام:

ولوط ـ عليه السلام ـ أخبرته الملائكة بأن هلاك قومه سيكون في الصباح على أيديهم، وأمروه بأن يخرج من القرية بأهله ولا يلتفت منهم أحد إلا امرأته لأنها كانت كافرة، وسيصيبها ما سيصيب قومه من العذاب. وكل هذا من علم الغيب الذي أطلعه الله عليه.

خامسا: يعقوب عليه السلام:

وكذلك يعقوب وابنه يوسف ـ عليهما السلام ـ علما أن الله سيجمع بينهما بعد ذلك الفراق الطويل. وذلك لأن يوسف ـ عليه السلام ـ رأى رؤيا ـ ورؤيا الأنبياء حق ـ أطلعه الله فيها على ما سيحصل ليوسف مجملا. وتحققت رؤيا يوسف ـ عليه السلام ـ بعد كيد إخوته له وتغربه عن أهله مدة طويلة حينما جمع الله بينه وبين إخوته في مصر. فأرسل معهم قميصه وقال لهم: ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً وأتوني بأهلكم أجمعين﴾ [(٢)].

---

(١) جامع البيان ١٥/٤٠٠.

(٢) يوسف (٩٣).

فلما فصلت العير قال يعقوب ــ عليه السلام ــ: ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾ [١] وكانت المسافة طويلة بينه وبين العير، ولكن الريح حملت ريح يوسف بعد أن استأذنت ربها في ذلك فأذن لها[٢].

فلما وصل البشير إلى يعقوب ــ عليه السلام ــ وألقى عليه القميص ارتد بصيراً وقال: ﴿ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾[٣].

قال ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ : (يقول عز وجل : قال يعقوب لمن بحضرته حينئذ من ولده ألم أقل لكم يا بَنِيَّ إني أعلم من الله أنه سيرد علي يوسف ويجمع بيني وبينه؟ وكنتم لا تعلمون أنتم من ذلك ما كنت أعلمه؛ لأن رؤيا يوسف كانت صادقة وكان الله قد قضى أن أخر أنا وأنتم له سجداً فكنت مؤمناً بقضائه) [٤].

سادساً: زكريا عليه السلام:

وكذلك زكريا ــ عليه السلام ــ حينما سأل الله أن يرزقه ذرية طيبة بشره الله ــ سبحانه وتعالى ــ : ﴿بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين﴾ [٥].

---

(١) يوسف (٩٤).

(٢) انظر جامع البيان ٢٤٩/١٦، والجامع لأحكام القرآن ٢٥٩/٩، وتفسير القرآن العظيم ٣٣٣/٤.

(٣) يوسف (٩٦).

(٤) جامع البيان ٢٦٠/١٦.

(٥) آل عمران (٣٩).

فكان هذا من علم الغيب الذي أطلعه الله عليه لا سيما وأنه قد بلغ به الكبر عتياً، مما جعل الطمع بالولد شبه ميئوس منه، فبشره الله بالولد مع كبره. كما أنه بشره بأن الولد سيكون نبياً من الصالحين. وهذا كله علم به زكريا وهو لم يقع؛ فكان من علم الغيب الذي أطلعه الله عليه قبل وقوعه.

قال ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ: (والبشارة بنبوة يحيى أعظم من البشارة بولادته، وهذه كقوله تعالى لأم موسى: ﴿إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ فلما تحقق زكريا ــ عليه السلام ــ من هذه البشارة أخذ يتعجب من وجود الولد منه بعد الكبر فقال: ﴿رب أنى يكون لي غلام لي وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء﴾ لا يعجزه شيء ويتعاظمه أمر)[1].

سابعاً: موسى عليه السلام:

أخبر الله جل وعلا موسى ــ عليه السلام ــ بما خلفه قومه به من عبادة العجل وترك عبادة الله ــ جل علا ــ وتركهم ما أمر به من التمسك بما هم عليه حتى يرجع إليهم، وإخلافهم الموعد الذي كان بينه وبينهم.

قال تعالى مخبراً عن ذلك: ﴿.. قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/٣١ بتصرف.

وأضلهم السامري * فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي. . . ﴾[١].

فموسى ـــ عليه السلام ـــ لم يكن يعلم بما خلفه قومه به من عبادة العجل حتى أعلمه الله به، فهذا غيب غاب عن موسى ـــ عليه السلام ـــ علمه؛ فجاءه خبر الله به ليكون معجزة من معجزاته التي أيده الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ بها تأكيداً له على صدقه ودلاله على نبوته كما تقدم بيانه آنفاً.

ثامنا: عيسى عليه السلام:

وعيسى ـــ عليه السلام ـــ قد أيده ـــ عز وجل ـــ بمعجزات كثيرة منها:

إخباره وإطلاعه على أمور غيبية لتقوم الحجة بها على قومه، ولتكون دليلا على صدق نبوته ورسالته. فقد كان ـــ عليه السلام ـــ يخبر قومه بما يدخرونه من طعام وما يأكلون أيضاً. وقد قص الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ علينا ذلك في كتابه فقال: ﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون

---

(١) طه (٨٥-٨٦).

وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤنين﴾ [١].

قال ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ في تأويل هذه الآية وأما قوله ﴿وأنبئكم بما تأكلون﴾ فإنه يعني: وأخبركم بما تأكلون مما لم أعاينه وأشاهده معكم في وقت أكلكموه. ﴿وما تدخرون﴾ يعني بذلك: وما ترفعونه فتخبئونه ولا تأكلونه. يعلمهم أنّ من حجته أيضاً على نبوته مع المعجزات التي أعلمهم أنه يأتي بها حجة على نبوته وصدقه في خبره أن الله أرسله إليهم من خلق الطير من الطين وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى بإذن الله التي لا يطيقها أحد من البشر إلا من أعطاه الله ذلك، علماً له على صدقه وآية على حقيقة قوله من أنبيائه ورسله ومن أحب من خلقه، إنباءه[٢] عن الغيب الذي لا سبيل لأحد من البشر الذين سبيلهم سبيله عليه) [٣].

وقال القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ : (أي أنبئكم بالذي تأكلونه وما تدخرون وذلك أنهم لما أحيا لهم الموتى طلبوا منه آية أخرى وقالوا: أخبرنا بما نأكل في بيوتنا وما ندخره للغد، فأخبرهم فقال: يا فلان أنت أكلت كذا وكذا، وأنت أكلت كذا وكذا فذلك قوله: ﴿وأنبئكم﴾

---

(١) آل عمران (٤٩).

(٢) قوله "إنباءه" اسم "أن" في قوله آنفا: (أن من حجته أيضاً.. إنباءه..).

(٣) جامع البيان ٤٣٢/٦.

الآية)[١].

وقال الألوسي ـــ رحمه الله تعالى ـــ : (وقيل المراد الإخبار بالمغيبات إلا أنه قد اقتصر على ذكر أمرين منها، ولعل وجه تخصيص الإخبار بأحوالهم لتيقنهم بها فلا يبقى لهم شبهة، والسر في ذكر هذين بخصوصهما أن غالب سعي الإنسان وصرف ذهنه لتحصيل الأكل الذي به قوامه والادِّخار الذي يطمئن به أكثر القلوب وتسكن منه غالب النفوس) [٢].

تاسعاً: محمد صلى الله عليه وسلم:

من ضمن المعجزات التي أوتيها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تأييداً له وتصديقاً، اطلاعه على أمور من الغيب كثيرة جداً، سواء منها الذي مضى وانقضى قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم، أو الذي وقع بعده، أو ما سيقع قبل يوم القيامة. وقد ورد في الكتاب والسنة من ذلك الشيء الكثير، وسأذكر هنا بعضاً منها:

أولا: ما ورد في القرآن الكريم:

قال الله تعالى مخبراً نبيه صلى الله عليه وسلم بهزيمة الفرس وظهور الروم عليهم: ﴿الم * غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤/٩٥.

(٢) روح المعاني ٢/١٧٠.

الله من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ [١].

فأخبر تعالى في هذه الآيات عن ظهور الروم على الفرس وغلبتهم لهم. وبشر المؤمنين بنصر الله الذي سيأتيهم فتحقق وعده وإخباره فغلبت الروم الفرس، وظهروا عليهم، ونصر الله المؤمنين في بدر على أعداء التوحيد نصراً مؤزراً ففرح المؤمنون بذلك، فكان هذا من أخبار الغيب التي جاءت تأييداً لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودلالة على صدق ما جاء به مما كان سبباً في دخول خلق كثير في الإسلام بعد هذه الحادثة[٢].

قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ في تأويل هذه الآيات: ﴿الم غلبت الروم﴾ أي: غلبت فارس الروم ﴿في أدنى الأرض﴾ من أرض الشام إلى أرض فارس ﴿وهم من بعد غلبهم﴾ يقول: والروم من بعد غلبة فارس إياهم سيغلبون فارس ﴿في بضع سنين لله الأمر من قبل﴾ غلبتهم فارس ﴿ومن

---

(١) الروم ١- ٥.

(٢) لما نزلت هذه الآيات نزل أبو بكر ـــ رضي الله عنه ـــ يصيح في نواحي مكة ﴿الم غلبت الروم. . .﴾ الخ الآيات فقال ناس من قريش ذاك بيننا وبينك يزعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس ألا نراهنك على ذلك؟ فراهنهم ـــ وكان ذلك قبل تحريم الرهان ـــ فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس رواه الترمذي (ح ٣١٩١) سورة الروم وقال هذا حديث حسن صحيح غريب إنما نعرفه من حديث سفيان الثوري عن حبيب عن أبي عمرة. ورواه أيضاً أحمد في المسند (ح ٢٧٦/١، ٣٠٤) وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند إسناده صحيح (ح ٢٤٩٥).

بعد﴾ غلبتهم إياهم يقضي في خلقه ما يشاء ويحكم ما يريد ويظهر من شاء منهم على من أحب إظهارهم عليه ﴿ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله﴾ يقول: ويوم يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون بالله ورسول بنصر الله إياهم على المشركين، ونصرة الروم على فارس. ﴿ينصر﴾ الله تعالى ذكره ﴿من يشاء﴾ من خلقه على من يشاء، وهو نصرة المؤمنين على المشركين ببدر ﴿وهو العزيز﴾ يقول: والله الشديد في انتقامه من أعدائه لا يمنعه من ذلك مانع ولا يحول بينه وبينه حائل ﴿الرحيم﴾ بمن تاب من خلقه وراجع طاعته أن يعذبه) [١].

وقال القرطبي ـــ رحمه الله تعالى ـــ : (كان هذا الإخبار دليل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأن الروم غلبتها فارس فأخبر الله ـــ عز وجل ـــ نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين، وأن المؤمنين يفرحون بذلك، لأن الروم أهل كتاب فكان هذا من علم الغيب الذي أخبر الله ـــ عز وجل ـــ به مما لم يكن علموه) [٢].

وقال تعالى مخبراً نبيه صلى الله عليه وسلم قريش وانتصار المسلمين عليهم: ﴿أم يقولون نحن جميع منتصر * سيهزم الجميع ويولون الدبر﴾ [٣].

---

(١) جامع البيان ٢١/١٦.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٤/٥.

(٣) القمر (٤٤- ٤٥).

فهذه الآيات نزلت في مكة تأييداً للنبي صلى الله عليه وسلم ورداً على الكفار الذين ادعوا أن لهم القوة والغلبة والنصرة على كل أحد قصدهم بسوء أو مكروه، أو أراد حربهم وتفريق جمعهم، فقال جل ثناؤه مخبراً نبيه بأنه سيهزمهم ويمزق شملهم، وأنهم سيولون الأدبار هاربين: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾. فكان ذلك وأظهرهم على الكافرين وأعلى دين الحق وهزم الباطل وأهله، فكان هذا من الغيب الذي أيد الله به نبيه صلى الله عليه وسلم وحيث أخبره به قبل وقوعه بسنوات.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ في تأويل هذه الآية: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ أي جمع كفار مكة وقد كان ذلك يوم بدر وغيره.. ثم قال: وهذا من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم لأنه أخبر عن غيب فكان كما أخبر) [١].

وفي الحديث عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة له يوم بدر في مناجاته لله «أنشدك عهدك ووعدك....» الحديث[٢].

ومثلها قوله تعالى: ﴿وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٧/١٤٥-١٤٦.

(٢) البخاري (ح ٤٨٧٧) ومثله (ح ٤٨٧٥).

* ليحق الحق ويبطل الباطل﴾ [١].

وكذلك قوله تعالى: ﴿إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون * يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾ [٢].

فكانت البطشة الكبرى يوم بدر وما بعدها؛ حيث أذلهم الله على يد رسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم.

قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (يقول الله تعالى ذكره: إنكم أيها المشركون إن كشفت عنكم العذاب النازل بكم.. ثم عدتم في كفركم ونقضكم عهدكم الذي عاهدتم ربكم انتقمت منكم يوم أبطش بكم البطشة الكبرى في عاجل الدنيا فأهلككم. فكشف الله عنهم فعادوا؛ فبطش الله بهم جل ثناؤه بطشته الكبرى في الدنيا فأهكلهم قتلا بالسيف)[٣].

وقال تعالى مؤيداً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بأمر من الغيب: ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً﴾ [٤].

بشر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بدخول مكة هو ومن معه من

---

(١) الأنفال (٧).

(٢) الدخان (١٥- ١٦).

(٣) جامع البيان ١١٦/٢٥.

(٤) الفتح (٢٧).

المؤمنين معتمرين آمنين محلقين ومقصرين لا يخافون أحداً إلا الله، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد رأى هذه الرؤيا في المدينة، ورؤيا الأنبياء من الوحي كما تقدم بيانه[1] فلما كان صلح الحديبية ورجع صلى الله عليه وسلم ولم يدخل مكة نـزلت هذه الآيات مبشرة بدخول مكة ومبشرة أيضاً بفتح قريب قبل فتح مكة يفتحه الله على المسلمين، فكان فتح خيبر حيث غنم المسلمون غنائم كثيرة.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا *﴾

في هذه السورة يبشر الله نبيه محمداً ـ عليه الصلاة والسلام ـ بفتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجاً. وجعل الله هذا الفتح علامة على قرب أجل النبي صلى الله عليه وسلم، فقد ورد في الأثر أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ سأل ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ عن هذه الآية: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح...﴾ قال: لما نـزلت نعيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه) [2].

ولما فتح الله على يده مكة ورأت العرب أنه ظهر على أهل مكة ودخلها قالت: أما إذا ظهر محمد بأهل الحرم وقد كان الله أجارهم من

---

(١) انظر مبحث الرؤيا وعلم الغيب ص ٢٠٢-٢٠٦.

(٢) رواه أحمد ١/٣٥٦، وأصله في البخاري (ح ٤٩٦٩- ٤٩٧٠).

أصحاب الفيل فليس لكم به يدان[١] فكانوا يسلمون أفواجاً أمة أمة[٢].

فهذا من الغيب الذي أطلع الله عليه نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه.

وكذلك من الأمور الغيبية التي أطلع الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم عليها أنباء القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع المندثرة وغيرها مما لم يكن يعرف كثيراً منه أحد.

وقد علمها النبي صلى الله عليه وسلم فأخبر بها على حقيقتها وتفاصيلها، وأخبر عن بعضها الآخر بالإجمال، فتلقاها الناس بالقبول والتصديق وخاصة أهل الكتاب فإنهم لم يعارضوه أو ينكروا ما أخبر به مع كونهم من أشد الناس عداءً للنبي صلى الله عليه وسلم وأكثرهم تَحيُّناً لفرض التشكيك في رسالته، وأيضاً مع كون النبي صلى الله عليه وسلم أمياً لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ولم يشتغل في تعلم مثل هذه الأمور بمدرسة أو غيرها مما جعل الناس يتيقنون بأنه لم يأت بذلك من عنده، بل أخبره بها رب العالمين عن طريق الوحي.

وقد كان أهل الكتاب يسألونه عن أمور غيبية كثيرة فينـــزل عليه من الوحي ما يكون جواباً شافياً لما سألوا عنه، بل كان كثيراً ما يوافق ما عندهم من أخبار صحيحة لم تحرف، فقد سألوه عن أصحاب الكهف

---

(١) يدان: أي يطاق ويحتمل.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٣٠.

ولم يكن أحد يعرف قصتهم سوى بعض أهل الكتاب فنـزل القرآن بها. وسألوه عن ذي القرنين وعن يوسف وإخوته، ولقمان وابنه، وعن بدء الخلق مما لم يقدروا على تكذيبه لوجوده في كتبهم ولتصديق علمائهم به مع شدة عداوتهم وكثرة سؤالهم.

وكثيراً ما يذكر الله ـ جل وعلا ـ بعد تلك القصص والأخبار أنها من أنباء الغيب التي أوحاها إليه صلى الله عليه وسلم.

فقد قال بعد ذكر قصة مريم: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ [(١)].

وقال في سورة هود بعد أن ذكر قصص الأنبياء: ﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا . . .﴾ الآية [(٢)].

وقال بعد ذكر قصة يوسف: ﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون﴾ [(٣)].

والآيات في هذا الباب كثيرة جداً يطول حصرها ولكني أردت التمثيل والاستدلال لا الحصر.

---

(١) آل عمران (٤٤).

(٢) هود (٤٩).

(٣) يوسف (١٠٢).

ثانياً: ما ورد من السنة:

وكما أنه ورد في القرآن تأييده صلى الله عليه وسلم بإطلاعه على أمور من الغيب، كذلك ورد في السنة من الأخبار ما يطول ذكره وجمعه لكثرته وتواتره، وسأذكر هنا بعضاً منه:

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بمصارع المشركين في موقعة بدر فكان يشير بيده ويضعها على الأرض ويقول (ههنا وههنا) فما ابتعد أحدهم عن الموضع الذي وضع الرسول صلى الله عليه وسلم يده الطاهرة عليه[1].

وأخبر أن أمية بن خلف سيقتله المسلمون فوقع كما أخبر بذلك حيث قتل مع من قتل في بدر[2].

---

(١) روى مسلم في الجهاد عن أنس رضي الله عنه وفيه: (.. فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا مصرع فلان» قال ويضع يده على الأرض ههنا وههنا قال فما ماط أحدهم عن موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم) (ح ١٧٧٩).

(٢) روى البخاري عن عبد الله بن مسعود ــ رضي الله عنه ــ في ذكر قصة سعد بن معاذ حينما قدم إلى مكة معتمراً فنـــزل على أمية بن خلف وكان صديقاً له، فذهب سعد مع أمية قريباً من منتصف النهار للطواف بالكعبة فحدث أن جاء أبو جهل فتخاصم مع سعد، فكان سعد يرفع صوته؛ فقال له أمية: (لا ترفع صوتك على أبي الحكم سيد أهل الوادي. فقال سعد: دعنا عنك يا أمية فوالله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إنهم قاتلوك قال: بمكة؟ قال لا أدري. ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً)

=

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم في مجلس له عن الأمور التي تحدث قبل قيام الساعة كما في حديث حذيفة رضي الله عنه قال: «قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً ما ترك شيئاً يكون في مكانه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه؛ قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه» (١).

وعند أبي داود قال حذيفة بن اليمان: «والله ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا؟ والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاثمائة فصاعداً إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته» (٢).

وعند مسلم عن أبي زيد عن عمرو بن أحطب قال: «صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر وصعد المنبر وخطبنا حتى حضرة الظهر فنـــزل فصلى ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا» (٣).

= وكان أن خرج أمية مع المشركين لقتال النبي صلى الله عليه وسلم فقتل في بدر فوقع كما أخبر الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى. (ح ٣٦٣٢-٣٩٥٠).

(١) البخاري (ح ٦٦٠٤) ومسلم (ح ٢٨٩١) وأبو داود (ح ٤٢٤٠) والترمذي (٢١٩١) عن أبي سعيد الخدري.

(٢) أبو داود (ح ٤٢٤٣).

(٣) مسلم (ح ٢٨٩٢).

وأخبر صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء غزوة الأحزاب بأن قريشاً ومن حالفها لن تغزوه أبداً وأنه هو الذي يغزوهم[١]. فوقع كما أخبر صلى الله عليه وسلم فقد كان صلح الحديبية بعدها بسنة ثم كان الفتح بعد أن نقضت قريش الهدنة.

وأخبر أيضاً بفتح مكة بعدما قفل راجعاً من الحديبية حينما نزلت عليه سورة الفتح[٢].

وأطلعه الله على كتاب حاطب بن أبي بلتعة ـــ رضي الله عنه ـــ حينما أرسل إلى قريش كتاباً يذكر فيه ما هم به رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزو قريش في عقر دارهم فأرسل علياً والزبير والمقداد وقال لهم: «ائتوا روضة خاخ[٣] فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها». فانطلقوا فجاؤوا بالكتاب[٤].

وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو قافل من غزوة تبوك بموت

---

(١) انظر البخاري (ح ٤١٠٩-٤١١٠)، عن أبي سليمان بن صرد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب «الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم».

(٢) انظر البخاري (ح ٣١٨٢) وفيه (فنـــزلت سورة الفتح فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر إلى آخرها فقال عمر يا رسول الله أو فتح هو؟ قال: نعم).

(٣) موضع بين الحرمين يقال له روضة خاخ بقرب حمراء الأسد من المدينة. معجم البلدان ٣٣٥/٢ مادة الخاء.

(٤) رواه البخاري (ح ٤٢٧٤)، ومسلم (ح ٢٤٩٤)، واللفظ الذي ذكرته لمسلم.

منافق في المدينة[١].

ولما قتل عبد لرسول الله صلى الله عليه وسلم حينما كان يحل رحله قال الصحابة هنيئا له الشهادة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلا والذي نفسي بيده إن الشملة لتلتهب عليه ناراً أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم» [٢].

فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بغلول هذا العبد من الفيء قبل أن يقسم.

ونعى النبي صلى الله عليه وسلم النجاشي في اليوم الذي مات فيه وخرج بهم إلى المصلى وصلى عليه صلاة الغائب[٣].

ونعى أصحاب مؤتة زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة وذلك قبل أن يأتي خبرهم[٤].

---

(١) انظر صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم من سفر فلما كان قرب المدينة هاجت ريح شديدة تكاد أن تدفن الراكب فزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بعثت هذه الريح لموت منافق» فلما قدم المدينة فإذا منافق عظيم من المنافقين قد مات) (ح ٢٧٨٢).

(٢) البخاري (ح ٤٢٣٤)، ومسلم (١١٥).

(٣) انظر البخاري (ح ١٣٣٣-١٣٣٤)، وابن ماجه (ح ١٥٣٤) عن أبي هريرة.

(٤) انظر البخاري (ح ٤٢٦٢) عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس. قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: (أخذ الراية زيد =

وأخبر بأن لبيد بن الأعصم سحره في مشط ومشاطة وضعها في بئر ذي أروان فأمر بها فأخرجت وذهبت ما يجده من ذلك السحر وعافاه الله[١].

وقال صلى الله عليه وسلم في الحسن بن علي - رضي الله عنهما -: «ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[٢].

فوقع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم حيث أصلح الله به بين المسلمين بعد توليه الخلافة بعد أبيه علي ـــ رضي الله عنهما ـــ فاجتمع المسلمون على إمام واحد هو معاوية ـــ رضي الله عنه ـــ وسمي ذلك العام بعام الجماعة.

وأخبر باستشهاد عمر[٣] وعثمان بن عفان ـــ رضي الله عنهما ـــ

= فأصيب ثم أخذ جعفر فأصيب ثم أخذ ابن رواحة فأصيب وعيناه تذرفان ـــ حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليه.

(١) البخاري (ح ٣٢٦٨)، (٣١٧٥)، ومسلم (ح ٢١٨٩) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) انظر البخاري (ح ٣٧٤٦، ٣٦٢٩).

(٣) انظر البخاري (ح ٣٥٨٦)، حديث حذيفة ـــ رضي الله عنه ـــ حينما سأل عمر الصحابة (أيكم يحفظ في الفتنة فقال حذيفة أنا أحفظ) إلى أن قال: (يا أمير المؤمنين لا بأس عليك منها إن بينك وبينها باباً مغلقاً قال يفتح الباب أم يكسر؟ قال لا؛ بل يكسر قال ذلك أحرى أن لا يغلق قلنا: علم الباب؟ قال نعم كما أن دون غد الليلة، إني حدثته حديثًا ليس بالأغاليط. فهبنا أن نسأله وأمرنا مسروقاً فسأله فقال: من الباب؟ قال عمر.

وأن عثمان سيقتل مظلوماً[١].

فاستشهد عمر وعثمان ــ رضي الله عنهما ــ في المدينة على أيدي اليهود والرافضة المجوس.

وذكر أيضاً فتنة عظيمة تقع بين المسلمين ينقسم فيها المسلمون إلى فئتين عظيمتين تقتتلان ودعواهما في ذلك واحدة[٢] فحدث ذلك بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه.

وأخبر عن أمور كثيرة أنها ستقع فوقعت كما أخبر صلى الله عليه وسلم وما علامات الساعة إلا أكبر دليل علي صدقه وأن ما جاء به من عند الله نور وهدى مبين لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد حيث وقع كثير منها طبقاً لما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم.

وأشراط الساعة التي وقعت والتي لم تقع لأكبر دليل على ذلك. ولولا خشية الإطالة لأسهبت في ذكر تلك الأشراط؛ لأن من أوضح الأمور الغيبية التي أطلع الله عليها محمداً صلى الله عليه وسلم.

---

(١) انظر البخاري (ح ٣٦٧٤، ٣٦٩٥) وفيه «أن ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه». ومسلم (ح ٢٤٠٣) عن أبي موسى الأشعري ــ رضي الله عنه ــ.

وروى البخاري ــ رحمه الله تعالى ــ عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال: «اثبت فإن عليك نبي وصديق وشهيدان» (ح ٣٦٧٥).

(٢) انظر البخاري (ح ٣٦٠٨، ٣٦٠٩) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:«لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان فيكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما فيها واحدة...» الحديث.

الباب الرابع: حكم المدعين للغيب

وفيه خمسة فصول

الفصل الأول: في الكهان والمنجمين ومن يلحق بهم

الفصل الثاني: علم الغيب عند الصوفية

الفصل الثالث: الكشف عند الصوفية

الفصل الرابع: علم الغيب عند الرافضة

الفصل الخامس: بعض الآثار المترتبة

الفصل الأول

في الكهان والمنجمين ومن يلحق بهم

الفصل الأول: في الكهان والمنجمين ومن يلحق بهم

التعريف بالكهان والكهانة:

الكهانة مصدر كَهَنَ كَمَنَعَ ونَصَرَ. أو كَهُنَ مثل كَرُمَ. تقول: كَهُنَ الرجلُ يكْهَنُ كِهَانَةً وتقول: ما كان فلان كاهِناً، ولقد كَهُنَ؛ وتقول كَهَنَ لهم إذا ما قال لهم قول الكهنة.

والكَاهِنُ في كلام العرب أيضاً الذي يقوم بأمر الرجل ويسعى في حاجته، والقيام بما استُنِدَ إليه من أسبابه.

ويقال لقريظة وبني النضير الكاهنان نسبة إلى جد لهم كان كاهناً[١].

فالكاهن هو الذي يدعي علم الغيب.

وللعلماء في تعريف الكاهن والكهانة عدة أقوال:

فعرفه الخطابي ــ رحمه الله تعالى ــ : بأنه الذي يدعي مطالعة علم الغيب ويخبر الناس عن الكوائن[٢].

ونقل عنه ابن حجر ــ رحمه الله تعالى ــ قوله: هؤلاء الكهان بما علم من شهادة الامتحان قوم لهم أذهان حادة، ونفوس شريرة، وطبائع نارية. فهم يفزعون إلى الجن في أمورهم ويستفتونهم في الحوادث فيلقون

---

(١) تهذيب اللغة ٢٤/٦، مادة كهن أبواب الهاء والكاف، والقاموس المحيط ٢٦٦/٤ مادة كهن.

(٢) معالم السنن مع مختصر المنذري ٢٧٣/٥.

إليهم الكلمات...) [١].

وعرفه ابن حجر ـــ رحمه الله تعالى ـــ بقوله: (الكهانةُ بفتح الكاف ويجوز كسرها ادعاء علم الغيب، كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب، والأصل فيه استراق الجني السمع من كلام الملائكة فيلقيه في أذن الكاهن) [٢].

وعرفه ملا علي القارئ بقوله: (الكاهن هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار في المكان...

وقيل الكاهن: الساحر والمنجم إذا ادعى العلم بالحوادث الآتية، فهو مثل الكاهن وفي معناه الرمال) [٣].

وقال ابن حجر الهيتمي في تعريف الكاهن: (الكاهن هو الذي يخبر عن بعض المضمرات فيصيب ويخطئ أكثرها ويزعم أن الجن تخبره بذلك.

وفسر بعضهم الكهانة بما يرجع لذلك فقال هي تعاطي الأخبار بالمغيبات في مستقبل الزمان، وادعاء الغيب، وزعم أن الجن تخبره بذلك) [٤].

---

(١) فتح الباري ٢١٧/١٠.

(٢) فتح الباري ٢١٦/١٠.

(٣) شرح الفقه الأكبر ص ٢٢١.

(٤) الزواجر ٢٩/١.

ويمكن أن نخرج من هذه التعريفات بأن الكاهن هو كل من يدعي العلم بالغيب سواءً كان ممن يتلقاه من مسترقي السمع؛ أو من غيرهم من الذين يخبرون الكاهن بما يقع في الأرض، أو قد يكون الكاهن يتلقى ذلك عن طريق الشعوذة كالخط في الأرض ونحوه، أو عن طريق النظر في النجوم وادعاء علم الغيب من خلال ذلك.

فكل من ادعى علم الغيب فهو من الكهان؛ سواء كان ممن يأخذ ذلك عن مسترقي السمع أو كان من المنجمين، أو الرماليين، أو ممن يدعي معرفة الغيب عن طريق قراءة الفنجان أو الكف ونحوها.

ونقل صاحب الدين الخالص عن عبد الله بن عباس ــ رضي الله عنه ــ قوله (المنجم كاهن والكاهن ساحر والساحر كافر) [١].

وقال الإمام النووي ــ رحمه الله تعالى ــ في بيان الكهان وذكر أصنافهم: (فمنهم من يأخذ عن مسترقي السمع ومنهم من يكون له شياطين يخبرونه بما يقع في أقطار الأرض، ومنهم المنجمون والعرافون ومن يزجر الطير ويطرق الحصى. وهؤلاء كلهم كهان قد أكذبهم الشرع ونهى عن تصديقهم) [٢].

وقال الأصفهاني ــ رحمه الله تعالى ــ : (الطرق بالحصى والخط في

---

(١) الدين الخالص ٢/٢٤٢.

(٢) انظر شرح النووي على مسلم ١٤/٢٢٣ بتصرف.

التراب ونحو ذلك .. ضرب من التكهن...)[١].

وقال ابن الأثير ـ رحمه الله تعالى ـ : (الكاهن يشمل الذي يتعاطى الخبر من الكائنات في مستقبل الزمان. والعراف والمنجم)[٢].

وقال ابن عابدين ـ رحمه الله تعالى ـ : (الكاهن هو من يدعي معرفة الغيب بأسباب مختلفة فلذا انقسم إلى أنواع متعددة، كالعراف والرمال والمنجم.. والذي يضرب بالحصى، والذي يدعي أنه له صاحب من الجن يخبره عما سيكون. والكل مذموم شرعاً محكوم عليهم وعلى مصدقيهم بالكفر)[٣].

وقال الشيخ حافظ الحكمي ـ رحمه الله تعالى ـ : (اعلم أن الكاهن يطلق في الأصل على من يأتيه الرئى من الشياطين المسترقة للسمع، ولكنه عام في كل من ادعى معرفة المغيبات ولو بغيره كالرمال الذي يخط في الأرض أو غيرها، وكالمنجم والطارق بالحصى وغيرهم ممن يتكلم في معرفة الأمور الغائبة كالدلالة على المسروق ومكان الضالة ونحوها. أو المستقبلة كمجيء المطر، أو رجوع الغائب، أو هبوب الرياح ونحو ذلك مما استأثر الله عز وجل بعلمه مما لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل.. فمن ذا الذي يدعي علم ما استأثر الله بعلمه)[٤]

---

(١) المفردات ٣٠٣.

(٢) انظر النهاية في غريب الحديث ٤/٢١٤-٢١٥ بتصرف.

(٣) حاشية ابن عابدين ٢/٢٤٢.

(٤) انظر معارج القبول ١/٥٣١، ٥٣٦.

الكهانة في العرب قبل الإسلام :

كان الكهان منتشرون في العرب قبل الإسلام، وكانت لهم مكانة عندهم يلجئون إليهم للتعرف على الأمور المعضلة التي تعتريهم، ويسألوهم عن أمور الغيب والأحداث التي تقع في مستقبل الزمان. ويتحاكمون إليهم في خصوماتهم ومنازعاتهم .

قال ابن حجر ــ رحمه الله تعالى ــ : (كانت الكهانة في الجاهلية فاشية خصوصاً في العرب؛ لانقطاع النبوة فيهم) [١].

وروى البخاري ــ رحمه الله تعالى ــ في صحيحه تعليقاً عن جابر بن عبد الله قال: كانت الطواغيت التي يتحاكمون إليها، في جهينة واحد وفي أسلم واحد وفي كل حي كهان ينزل عليهم الشياطين) [٢].

وقد كان العرب يعتقدون أن الكهان يعلمون الغيب، فكانوا يسألوهم عَمَّا سيقع في مستقبل الزمان، كما وقع ذلك لملك اليمن ربيعة بن نصر حينما رأى رؤيا هالته ففزع إلى الكهان واستدعى أشهر كاهنين في ذلك الوقت وهما: شق بن صعب بن أنمار ، وسطيح بن ربيع بن ربيعة، والقصة مشهورة [٣].

---

(١) فتح الباري ٢١٦/١٠ .

(٢) وقال الحافظ: (وصله ابن حاتم من طريق وهب بن منبه قال: سألت جابر عن الطواغيت فذكر مثله وزاد "وفي هلال واحد" فتح الباري ٢٥١/٨ .

(٣) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١٤٢/١ .

وأيضاً ما وقع لأهل اليمن من رحيلهم عن ديارهم حينما أخبرت طريفة الكاهنة ــ امرأة عمرو بن عامر ــ ببلاء سيصيب اليمن، فباع زوجها ما يملك وباع الناس أملاكهم ورحلوا عن تلك الديار[١].

وأيضاً حينما ذهب عبد المطلب إلى كاهنة الحجاز لتحكم فيما وقع فيه عبد المطلب حينما نذر أن يذبح أحد أبنائه فحالت قريش دونه، وعرضوا عليه التحاكم إلى تلك الكاهنة والواقعة أشهر من أن تذكر[٢].

ولم يكن عمل الكهان مقصوراً على هذا بل كانوا يداوون الناس من الأمراض والأسقام، وفي هذا يقول أحد شعرائهم[٣]:

فقلت لعراف اليمامة داوني فإنك إن داويتني لطبيب[٤].

وقال الآخر:

جعلت لعراف اليمامة حكمة وعراف نجد إن هما شفياني[٥].

فقالا شفاك الله والله ما لنـا بما حملت منك الضلوع يدان

وعراف اليمامة هو رباح بن عجلة، وعراف نجد هو الأبلق الأسدي[٦].

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ١/١٤٢.

(٢) المصدر السابق ١/١٥٤.

(٣) هذا البيت والبيتين التاليين بعد لعروة بن حزام بن مهاجر العزري.

(٤) ديوان عروة بن حزام ص ٢٤.

(٥) ديوان عروة بن حزام ص ٢٩.

(٦) مقدمة ابن خلدون ١/١٨٩، ١٩٠، ومروج الذهب ٢/١٧٤.

وقد كان الكهان منتشرين في العرب وغير العرب.

ومن أشهرهم في الجاهلية عند العرب: شق بن أنمار وسطيح بن مازن وخنافر بن التؤم الحميري، وطريفة الخير امرأة عمر بن عامر القحطاني التي أنذرت زوجها بخراب سد مأرب كما سبق ذكره. وكاهنة بني الأسهم، وكاهنة خثعم فاطمة بنت مر وغيرهم كثير[١].

ومن الملاحظ أن الكهانة في العرب لم تقتصر على الرجال بل شاركهم بذلك النساء، وأن الكهان كانوا ينتسبون إلى بلدانهم وقبائلهم.

وبهذا يتبين أن الكهانة كانت منتشرة بين الناس في الجاهلية «لانقطاع النبوة فيهم» [٢]، فلما جاء الإسلام أبطلها وحاربها.

أنواع الكهانة:

للكهانة ثلاثة أنواع:

الأول: ما يتلقاه الكهان عن الجن من أمور الغيب المستقبلية.

الثاني: ما يتلقاه الكهان عن الجن مما يطرأ أو يقع في الأرض مما قرب أو بعد مما لا يطلع عليه الإنسان البعيد عنه غالباً.

الثالث: المنجمون وما يستندون فيه إلى الظن والتخمين والحدس.

وقد يستندون فيه إلى التجربة والعادة، فيستدلون على الحادث بما وقع قبله[٣].

---

(١) انظر مروج الذهب ٢/١٨٦.

(٢) انظر فتح الباري ١٠/٢١٧.

(٣) انظر شرح النووي على مسلم ١٤/٢٢٣، وفتح الباري ١٠/٢١٧.

فالقسم الأول: هو ما يتلقاه الكهان عن شياطين الجن، وذلك أن الجن يصعدون إلى السماء يركب بعضهم بعضاً إلى أن يدنو الأعلى منهم من السماء؛ بحيث يسمع كلام الملائكة فيسترقه ثم يلقيه إلى الذي تحته إلى أن يتلقاه الأخير فيلقيه على الكاهن، فيزيد الكاهن فيه مائة كذبة كما أخبر بذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم في حديث عروة بن الزبير عن أبيه عن عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ أنها قالت: «سأل ناس النبي صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال: «إنهم ليسوا بشيء فقالوا يا رسول الله: إنهم يحدثوننا أحياناً بشيء فيكون حقاً؟ قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرقرها في أذن وليه كقرقرة الدجاجة فيخلطون فيه أكثر من مائة كذبة» [(١)].

وعند مسلم: «قال: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقذفها في أذن وليه ويزيد فيها مائة كذبة» [(٢)].

وفي رواية للبخاري: «قال: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة» [(٣)].

ولما جاء الإسلام ونـــزل القرآن حرست السماء من الشياطين وأرسلت عليهم الشهب، فلم يبق من استراقهم السمع إلا ما يخطفه

---

(١) رواه البخاري (ح ٧٥٦١).

(٢) مسلم (ح ٢٢٢٨).

(٣) البخاري (ح ٥٧٦٢).

الأعلى فيلقيه على الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب، وإلى ذلك أشار الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿إلا من خطف خطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾ (١)

قال ابن كثير ـــ رحمه الله تعالى ـــ في تفسيره لهذه الآية: (أي إلا من اختطف من الشياطين الخطفة وهي الكلمة يسمعها فيلقيها إلى الذي تحته ويلقيها الآخر إلى الذي تحته، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها بقدرة الله قبل أن يأتيه الشهاب فيحرقه فيذهب بها الآخر إلى الكاهن) (٢).

وقوله تعالى: ﴿وإنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً * وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكوكب * وحفظاً من كل شيطان مارد * لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير﴾ (٥).

---

(١) الصافات (١٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم ٤/٧.

(٣) الجن (٨-٩).

(٤) الصافات (٧-٨).

(٥) الملك (٥).

وقد ورد في السنة ما يدل أيضاً على ذلك، كما في حديث أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترقُ السمع هكذا بعضه فوق بعض ــ ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه ــ فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن؛ فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعها من السماء» (١).

قال الخطابي ــ رحمه الله تعالى ــ : (بين صلى الله عليه وسلم أن إصابة الكاهن أحياناً إنما هي لأن الجني يلقي إليه الكلمة يسمعها استراقاً من الملائكة، فيزيد عليه أكاذيب فيقيسها على ما سمع فربما أصاب نادراً وخطأه الغالب) (٢).

وهذا في غير الوحي، وأما الوحي فلا يمكن للشياطين أن تسمع منه شيئاً لقوله تعالى: ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾ (٣).

(١) رواه البخاري (ح ٤٨٠٠).

(٢) الفتح ١٠/٢٢٠.

(٣) الشعراء (٢١٢).

وإذا استمع الشياطين إلى غير الوحي فإنهم يقذفونه إلى الكهنة في أسرع من طرفة عين ثم تتبعهم الشهب فتقتلهم أو تخبلهم. ذكره الحسن وابن عباس[(١)].

وقد أنكر ابن خلدون ـــ رحمه الله تعالى ـــ على من قال إن الكهانة انقطعت بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وبطلت لكون الشياطين منعوا من استراق السمع فقال: (إن الآيات إنما دلت على منع الشياطين من نوع واحد من أخبار السماء وهو ما يتعلق بالبعثة ولم يمنعوا مما سوى ذلك، وأيضاً إنما كان ذلك الانقطاع بين يدي النبوة فقط ولعلها عادت إلى ما كانت عليه، وهذا هو الظاهر؛ لأن هذه المدارك تخمد في زمن النبوة كما تخمد الكوكب والسرج عند وجود الشمس؛ لأن النبوة هي النور الأعظم الذي يخفى معه كل نور ويذهب) [(٢)].

والذي يظهر من الآيات والأحاديث أن السماء قد حرست من الشياطين منذ بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى الأبد، وهو الذي تدل عليه النصوص، فالنصوص عامة لم يأت ما يخصصها بزمن النبوة، فتبقى على عمومها ما لم يرد مخصص، ولا مخصص.

وما ذكره ابن خلدون ـــ رحمه الله تعالى ـــ ما هو إلا أدلة عقلية، والأدلة العقلية لا تخصص الأدلة النقلية. بل لا تقوم مع وجود الأدلة

---

(١) القرطبي ١٠/١٠.

(٢) مقدمة ابن خلدون ١/١٧٦، ١٧٧.

النقلية؛ فضلا عن أن النصوص دلت ـــ كما ذكرت سابقاً ـــ على أن من الشياطين من يسترق السمع وربما لا يدركه الشهاب ـــ وهو القليل النادر ـــ فيخبر به الكهان كما دلت عليه النصوص السابقة.

قال ابن حجر ـــ رحمه الله تعالى ـــ : (وكانت إصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جداً كما جاء في أخبار شق وسطيح ونحوهما، وأما في الإسلام فقد ندر ذلك جداً حتى كاد يضمحل ولله الحمد) [١].

القسم الثاني: هو ما يتلقاه الكاهن عن الجن من أخبار ما يطرأ أو يكون في أقطار الأرض وما خفي عنه مما بعد أو قرب.

وقد يستندون إلى مقدمات يستدلون بها على الحوادث.

وهذا في الأمور التي مضت وانقضت أو التي لا زالت قائمة في الأماكن البعيدة.

ومعرفة مثل هذه الأمور أمر ممكن ومقدور عليه، وليس من الغيب في شيء؛ لأن هؤلاء يكون لهم أعوان ومخبرون من الجن أو من غيرهم يخالطون الناس ويأتونهم بأخبارهم، ثم يكاشفون الناس بها، فيظن من لا علم عنده أنهم يعرفون الغيب.

ويدخل في هذا القسم العرافون؛ لأن العرافين هم الذين يدعون معرفة الأمور بمقدمات يستدلون بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك[٢].

---

(١) فتح الباري ٢١٧/١٠.

(٢) انظر شرح السنة للإمام الغبوي ١٨٣/١٢.

قال القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ: (العراف هو الحازر والمنجم الذي يدعي علم الغيب، وهي من العرافة وصاحبها عراف، وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب ومقدمات يدعي معرفتها، وقد يعتضد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة في ذلك، وهذا الفن هو العيافة، وكلها يطلق عليها اسم الكهانة؛ قاله القاضي عياض) [١].

وقال ابن قاسم[٢] ــ رحمه الله تعالى ــ معلقاً على هذا التعريف: (وظاهر كلامه أن العراف هو الذي يخبر عن الواقع كالسرقة وسارقها، والضالة ومكانها، وغير ذلك بأسباب ومقدمات، بأقيسة فاسدة يدعي معرفتها بها؛ وخيالات شيطانية، وربما تنــزلت عليه الشياطين ومازجت أنفاسه الخبيثة أنفاس إخوانه من الشياطين فإنها تنــزل على الكاهن والمنجم والرمال والساحر ونحوهم، وكل من ادعى شيئاً من هذه الأمور

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٣/٧.

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عثمان بن قاسم من آل عاصم إحدى بطون قحطان الصغرى التي هي من قحطان الكبرى. ولد في (البير) قرية من قرى المحمل عام ١٣١٩هــ انصرف إلى طلب العلم فدرس على كبار مشايخ زمانه، ولما تمت له أداته وصلبت قناته انصرف :إلى التأليف والبحث والتحقيق فجمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية؛ وفتاوى ورسائل علماء نجد؛ وألف عدة كتب. توفي ــ رحمه الله تعالى ــ في عام ١٣٩٢هــ علماء نجد خلال ستة قرون ٢/٤١٤.

لقوله تعالى ﴿تنزل على كل أفاك أثيم﴾ (١) (٢).

فالعراف يعتبر من أدعياء الغيب الذين يموهون على عقول بعض السذج من الناس. وهذا يعد نوعاً من أنواع الكهانة كما سبق بيانه.

وأما القائف ــ الذي يعرف الرجل من المرأة بالنظر إلى الأثر، ويعرف الأنساب بالنظر إلى الأشخاص، ومعرفة الجاني من غيره ونحو ذلك مما يعرفه القافة غالباً ــ فلا يعتبر من أدعياء الغيب؛ لأنه يستدل على ذلك بعلامات وأمارات تدل على ما يخبر به، ففعله هذا من جنس قولهم: البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير. وليس من معرفة الغيب؛ لأن الله سبحانه وتعالى أعطاهم القدرة على معرفة تلك الأمور عن طريق الحواس التي جعلها الله فيهم، كما أن لبعض الحيوانات كالكلاب مثلا القدرة على التعرف على الجناة ومعرفة ما معهم عن طريق الحواس التي أودعها الله فيها.

القسم الثالث : المنجمون

المنجمون صنف من أصناف الكهان كما ذكر ذلك النووي وغيره من العلماء الذين سبق ذكرهم وفيما يلي تعريف بالتنجيم وأقسامه وعلاقته بالكهانة.

---

(١) الشعراء (٢٢٢).

(٢) حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد (٢٠٦).

تعريف التنجيم :

(النجم : الكوكب والجمع أنجم ونجوم وهو أحد الأجرام السماوية المضيئة والنجم علم على الثريا خاصة، والمنجم والمتنجم الذي ينظر في النجوم يحسب مواقيتها وسيرها يستطلع من ذلك أحوال الكون) [١].

وعرفه الخطابي بقوله: هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع أو ستقع في مستقبل الزمان، كإخبارهم بأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر، وظهور الحر والبرد، وتغير الأسعار، وما كان في معناها من أمور يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها وباجتماعها وافتراقها ويدعون أن لها تأثيراً في الشكليات وأنها تتصرف على أحكامها وتجري على قضايا موجباتها) [٢].

وعرفه ابن خلدون بقوله: (المنجمون القائلون بالدلالات النجومية ومقتضى أوضاعها في الفلك، وآثارها في العناصر، وما يحصل من الإمتزاج بين طبائعها بالتناظر ويتأدى من ذلك المزاج إلى الهواء) [٣].

أقسام علم النجوم :

ينقسم علم النجوم إلى ثلاثة أقسام :

---

(١) انظر اللسان ٥٦٩/١٢ مادة نجم، والمعجم الوسيط ٩١٢/٢ مادة نجم، ومختار الصحاح ٢٠٣٨/٥ مادة نجم .

(٢) معالم السنن مع مختصر المنذري (٣٧١/٥) .

(٣) مقدمة ابن خلدون ١٩٥/١ .

الأول : عملي وهو : الذي يقولون عنه إنه تأثير القوى السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية كالطلاسم ونحوها .

الثاني : علمي وهو : الاستدلال بحركات النجوم على الحوادث .

الثالث : تعلم منازل النجوم للاستدلال على القبلة، وأوقات الصلوات والفصول، وأوقات الزروع ونضج الثمار؛ والحر والبرد وغير ذلك [(١)].

أما القسم الأول : فهو ما يعتقده عُبَّاد النجوم من أن لها تأثيراً فَعَّالا مستقلا بالحوادث الأرضية، فما يحدث في الأرض يزعمون أنه بسبب الكواكب الروحانية فالكواكب فاعلة مختارة .

وهذا قول الصابئة المنجمين الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل ــ عليه السلام ــ ولهذا كانوا يعظمون الشمس والقمر والكواكب، ويسجدون ويتذللون لها، ويدعونها من دون الله، ويبنون لكل كوكب هيكلا لعبادته؛ ويصورون فيه ذلك الكوكب، ويزعمون أن روحانية ذلك الكوكب تنزل فتخاطبهم وتقضي حوائجهم. وتلك الروحانيات ما هي إلا شياطينٌ تَنَزَّلت عليهم وخاطبتهم وقضت حوائجهم [(٢)].

قال الله تعالى: ﴿هل أنبئكم على من تَنَزَّلُ الشياطين * تنزل على كل أفاك

---

(١) انظر معالم السنن ٣٧١/٥ وشرح السنة للبغوي ١٨٣/١٢ .

(٢) انظر معالم السنن مع مختصر المنذري (٣٧١/٥)، الفتاوى لابن تيمية (١٧١/٣٥، ١٨١) وتيسير العزيز الحميد (٣٨٧)، وحاشية ابن قاسم (٢٢٣) .

أثيم* يلقون السمع وأكثرهم كاذبون﴾ [(١)].

وأما القسم الثاني فهو: الاستدلال بمسير الكواكب في مجاريها وباجتماعها وافتراقها على الحوادث الأرضية، من جنس الاستسقاء بالأزلام، فيخبرون بأحداث لم تقع ويدعون أنها ستقع في مستقبل الزمان، كإخبارهم بأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر وتغير الأسعار، وما كان في معانيها.

ويدَّعون أن من ولد في برج كذا فهو سعيد، ومن ولد ببرج كذا فهو شقي وسيحصل له كذا وكذا، وأنه في برج كذا سيحدث لفلان كذا وكذا أو تنقضي الدنيا وتقوم القيامة بيوم كذا كما زعم يعقوب بن إسحاق الكندي[(٢)] الذي يسمونه: (فيلسوف الإسلام) أن هذه الملة ستنقضي عام ثلاث وتسعون وستمائة؛ ووافقه على ذلك من زعم أنه استخرج بقاء هذه الملة من حساب الجمل للحروف التي في أوائل السور،

---

(١) الشعراء (٢٢١ـ ٢٢٣).

(٢) اسمه يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي الأشعثي، أبو يوسف من ولد الأشعث ابن قيس، كان يقال له فيلسوف العرب، نشأ في البصرة وانتقل إلى بغداد. قرَّبه المأمون ثم المعتصم من بعده ونال عندهما منـــزلة كبيرة. كان متهماً في دينه، له مصنفات كثيرة في المنطق والنجوم والفلسفة والموسيقي والهندسة والطب والفلك. ذكر ابن حجر في اللسان عن ابن النجار أن أصحاباً له قالوا له: اعمل لنا مثل القرآن فقال: نعم فغاب عنهم طويلا ثم خرج فقال: والله لا يقدر على ذلك أحد. انظر لسان الميزان ٣٠٥/٦. وانظر السير ٣٣٧/١٢. والأعلام ١٩٥/٨.

وهي مع حذف التكرار أربعة عشر حرفاً وحسابها في الجملة ستمائة وثلاث وتسعون.

ومن هذا أيضاً ما روي من أن الله لما أنزل: ﴿أَلَمٓ﴾ قالوا إن بقاء هذه الملة إحدى وثلاثون، فلما أنزل بعد ذلك: ﴿أَلَرٰ﴾ و ﴿أَلَمٓ﴾ قالوا: خلط علينا[1] [2].

وأما القسم الثالث: فهو علم التسيير الذي يدرك بالمشاهدة من معرفة النجوم للاستدلال بها على الزروع والحر والقر، وحساب منازل القمر وحساب الأيام والشهور والسنوات. ومعرفة الكسوف والخسوف؛ وذلك بمعرفة الأفلاك والكواكب وصفاتها ومقاديرها وحركاتها وما يتبع ذلك[3].

التنجيم في العصر الحديث:

كان التنجيم والمنجمون منتشرين قبل الإسلام انتشاراً كبيراً، وكان الناس يسألونهم عن أمور الغيب فيصدقُون مرة ويكذبون مائة، واشتهرت بعض بلدان المسلمين بالمنجمين حتى صار التنجيم علماً يُدَرَّس.

---

(١) رواه ابن إسحاق في المغازي، وضعف إسناده الحافظ ابن كثير. انظر تفسير القرآن العظيم ١/٥٩.

(٢) انظر في هذا التقسيم الفتاوى ٣٥/١٨٩، ومعالم السنن مع مختصر المنذري ٥/٣٧٢، وتيسير العزيز الحميد ٣٨٧، وشرح السنة للبغوي ١٢/١٨٣.

(٣) الفتاوى لابن تيمية ٣٥/١٨١، ومعالم السنن على مختصر المنذري ٥/٣٧٣، وتيسير العزيز الحميد ٣٩٢-٣٩٣ وشرح السنة للبغوي ١٢/١٨٣.

ولما جاء الإسلام حارب المنجمين وحذر منهم ونهى عن الإتيان إليهم، فقل المنجمون في بلاد المسلمين ولكنهم لم ينقرضوا، بل كانوا يظهرون بين الفيئة والأخرى. فلما ضعف الإسلام في نفوس المسلمين انتشر مثل هذا وكثر المنجمون والمدعون للغيب، وذلك لكثرة من يصدقونهم ويأتون إليهم.

وقد ظهر في كل عصر ومصر كذب هؤلاء المنجمين ومن هو على شاكلتهم، فمن المفتريات التي بقيت وصمة عار في جبين المنجمين: كذبهم في دعواهم أن المعتصم لا يمكنه فتح عمورية قبل نضج التين والعنب؛ ونصحوا المعتصم بعدم الخروج للحرب ولكنه توكل على الله وخرج، فنصره الله سبحانه وتعالى ــ وسجل ذلك الحديث أبو تمام في قصيدة له[1] قال فيها:

السيف أصدق أنباءً من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

والعلم في شهب الأرماح لامعة ... بين الخمسين لا في السبعة الشهب

أين الرواية بل أين النجوم وما ... صاغوه من زخرف فيها ومن كذب

تخرصاً وأحاديثاً ملفقة ... ليست بنبع إذا عدت ولا غرب.

وفي هذا العصر كثر المنجمون وتعددت وسائلهم وطرقهم، وتفننوا في نشر التنجيم بين الناس حتى عمت بلواهم بين كثير من المجتمعات، إلى درجة أننا نراهم يأتون لنا مع بداية كل عام بتنبآت وتوقعات وتخرصات بما سيحدث

(١) شرح ديوان أبي تمام لمحمد محي الدين عبد الحميد ص ١٥.

خلال عام قادم، فيدعون أن حرباً ستنشب بين بلد كذا وكذا، وأن المنطقة الفلانية ستشهد قلاقل واضطرابات ونحو ذلك. ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

أُعْلِنَ في أوربا عن استعانة الرئيس الأمريكي السابق «ريجان» وزوجته «نانسي» بالمنجمة «جوان كو بجلي» في تحديد جدول الأعمال واتخاذ بعض القرارات مما كان له الأثر الكبير في ازدياد شعبية المنجمين بوجه عام، كيف لا ورئيس أكبر دولة في العالم المتحضر؟!! [١] يلجأ إلى الاستعانة بالمنجمين.

ولقد استغل الكثيرون ذلك فعلقوا صورة ذلك الرئيس وزوجته العرافة على واجهات محلاتهم.

ولم يكن «ريجان» وحده الذي كان يلجأ إلى المنجمين، بل غيره كثير فراجيف غاندي فعل ذلك عندما يئس من موجة الجفاف التي حلَّت ببلاده بلاد الهند.

كما استشار السياسيون في تايوان المنجمين لتحديد أفضل الأيام لدفن الرئيس الهالك «سيانج سنج كو».

وكذلك كان «سوهارتوا» رئيس اندنوسيا السابق كان يجتمع بانتظام بالروحانيين والمشعوذين، بل إن أحدهم كان يقيم إقامة شبه مستمرة في قصره.

ومثله «انديراغاندي» كانت تستشير المنجمين، وأيضاً

(١) المتحضر صناعياً المتخلف فكرياً وخلقياً واجتماعياً فضلا عن تخلفهم عقائدياً ودينياً.

((جيسكاردستان)) الرئيس الأسبق لفرنسا استشار المنجمين في انتخابـــات الرئاسية عام (١٤٠١هـــ).

وهذا الأمر ليس مقتصراً على العالم الغربي فحسب بل إن العالم الإسلامي ليعج بمثل هؤلاء، ففي المغرب ما لا يقل عن ستة عشر ألف قارئة كف.

وبيوت السحرة والمشعوذين في كل قرية، وكذلك الحال بالنسبة لمصر وغيرها من البلدان الإسلامية فضلا عن الكافرة لأنه لا ذنب بعد الكفر[1].

ولم يقف الأمر عند هذا الحال؛ بل تطور إلى حد أهم صمموا آلة الكترونية تحدد الزواج السعيد من غيره، والزوجة المناسبة من غيرها، وتحديد أيام التكامل العصبي والاستقرار الذهني... الخ والكلام في هذا يطول.

ما يلحق بالكهانة:

ومن الأشياء التي يمكن أن تلحق بالكهانة ما يدعيه بعض الناس من استخدامهم لأمور يزعمون أهم يعلمون الغيب من خلالها، ومن هذه الأمور ما يلي:

الخط في الأرض:

الخط على الرمل والطرق بالحصى والنوى ونحوها، وزجر الطير

---

(١) انظر صحيفة المسلمون عدد (٢٠٥) جمادى الأولى (١٤٠٩) وانظر عالم السحر والشعوذة (ص ٢٧٨).

وقراءة الكف والفنجان وقلوب الحيوان وأكبادها وعظامها، والنظر في المرآة والمنديل وغير ذلك من أنواع الشعوذة والدجل الذي يأكلون بها أموال الناس بالباطل.

أما الخط فهو ما يفعله الذي يحرز الأشياء ويدعي معرفتها؛ وذلك بأن يأمر غلاماً له بخط عدة خطوط في الأرض بسرعة؛ ثم يأمره أن يمسح منها اثنين اثنين فإذا بقي واحد فهو علامة الخيبة والخسران وإن بقي اثنان فهو علامة النجاح والفلاح.

قال الخطابي ــ رحمه الله تعالى ــ: (صورة الخط ما قاله ابن الأعرابي، ذكره أبو عمر عن ابن العباس أحمد بن يحيى عنه قال: يقعد الحازي[١] ويأمر غلاماً له بين يديه، فيخط خطوطاً على رمل أو تراب ويكون ذلك في خفة وعجلة كيلا يدركها العد والإحصاء؛ ثم يأمره فيمحوها خطين خطين وهو يقول: ابني عيان أسرعا البيان. فإن كان آخر ما يبقى منها خطين فهو آية النجاح، وإن بقي خط واحد فهو الخيبة والحرمان) [٢].

وقد جاء في السنة أن نبياً من الأنبياء كان يخط. فعن معاوية بن الحكم السلمي ــ رضي الله عنه ــ قال: (قلت يا رسول الله ومنا رجال

---

(١) الحازي هو الذي ينظر في الأشياء ويقدرها بظنه وتخرصه. وهو نوع من أنواع الكهانة. انظر اللسان مادة حزا ١٤/١٧٥.

(٢) معالم السنن مع مختصر المنذري ٥/٣٧٥.

يخطون؟ قال كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك)[١].

فدل الحديث على تحريم الخط لأنه لا يباح إلا إذا تيقن صاحبه أن هذا الخط موافق لخط ذلك النبي ـــ عليه السلام ـــ ولا طريق لنا إلى العلم بالموافقة فلا يجوز حينئذ الخط. ولم يقل النبي صلى الله عليه وسلم إن الخط حرام لئلا يتوهم متوهم أن هذا النهي يدخل فيه النبي الذي كان يخط[٢].

الزجر والعيافة:

وأما الزجر فهو: ما يعرف بالعيافة وما يفعله بعض الناس من التشاؤم أو التفاؤل بالحيوان والطير وأسمائها وأصواتها وممرها، وكان هذا مشهوراً عند العرب فإذا أراد شخص أن يخرج لحاجته زجر الطير فإن ذهبت يميناً تفائل، وإن ذهبت شمالاً تشاءم ورجع وتنبأ بأن هذا وذاك خير له أو شر.

وزعم ابن خلدون ـــ رحمه الله تعالى ـــ أن الزجر هو ما يحدث من بعض الناس من التكلم بالغيب عند سنوح طائر أو حيوان، والفكر فيه بعد مغيبه، وهي قوة نفسية تبعث على الحرص والفكر فيما زجر فيه من مرئي أو مسموع، وتكون قوته المُخيَّلة قوية في البحث، مستعيناً بما رآه أو

---

(١) راه مسلم (ح ٥٣٧) وأبو داود (ح ٣٧٥٧).

(٢) انظر الخطابي مع مختصر المنذري ١/٥٣٥، ٣٧٤، والنووي في شرح مسلم ٥/٢٤، ومقدمة ابن خلدون ١/١٩٦.

سمعه، فيؤدي ذلك إلى إدراك ما... الخ[١].

فهذا ليس على إطلاقه بل إن ما يتكلّمون به من الغيب فهو ادعاء مبني على التكهن والرجم بالغيب، وقد يكون لهم من شياطين الجن من يوحي إليهم بذلك.

قراءة الكف والفنجان ونحوهما:

أما قراءة الكف فهي تعتمد على الخطوط الموجودة في كف كل إنسان يدعي المشعوذ أنه يعرف مستقبل السائل وما سيحدث له من خير أو شر من خلال قراءته لخطوط كفه وتحليلها تحليلات يموه بها على عقول سخفاء الناس.

ومثله قراءة الفنجان، حيث يأتي المشعوذ أو المشعوذة فيأخذ فنجان القهوة من السائل بعد أن يشربه ويكفأه على حافته بعد أن يديره عدة مرات، ثم يرفع الفنجان برفق وينطلق في معرفة مستقبل ذلك الشخص السائل إلى ما ترسمه خطوط القهوة على جدران وقاع الفنجان.

ومثلها قراءة قلوب الحيوان وأكبادها وما يرتسم عليها من الدم، ومثلها أحشاء الماعز وغيرها من الطرق التي كانت منتشرة بين العرب وغيرهم قديماً وجاءتنا اليوم بأسماء جديدة حتى تنطلي على كل أهل عصر؛ وتأتي لهم بما يناسبهم وينطلي عليهم.

وقد تنوعت طرق التنبؤ بالغيب في العصر الحديث حتى أنها لا تكاد

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ١/١٨٧.

تحصى من كثرتها بل وصل بهم الأمر إلى استخدام آلات من صنع الإنسان يدعون معرفة الغيب بواسطتها، فقد نشرت صحيفة [الأخبار] خبراً جاء فيه: انتشرت في الأسواق لعبة تحضير الأرواح، اللعبة بالتحرك على كرتون أملس عليه أحرف وأرقام لاتينية، بعد جمع الأحرف التي تقف عليها اللعبة يمكن تجميع الإجابة، وقد أدت هذه اللعبة إلى انصراف كثير من الطلبة عن المذاكرة !! [(١)].

وكل هذه الأمور مبنية على التكهن والرجم بالغيب، و لم ينتشر مثل هذا بين المسلمين إلا بسبب ضعف إيمانهم بالله ـــ عز وجل ـــ وبالقدر خيره وشره، وجهلهم بدينهم. وهذه الأمور واضحة البطلان لكل ذي لب، فلا تجد عاقلا يصدق بأن فنجان القهوة أو أحشاء الماعز وأكباد الحيوان وعظامها والنجوم والحصى والرمل وما يخترعه الإنسان من جمادات لا عقل لها، تعطي صورة عن المستقبل. ومن اعتقد ذلك فلا شك في كفره لأن هذه الأمور من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ.

قال الله تعالى: ﴿ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما يعملون﴾ [(٢)].

---

(١) صحيفة الأخبار في عددها الصادر في يوم ٢٩ مارس عام ١٩٨٤م، نقلا عن كتاب قراءة النجوم والخط والطالع بين الحقيقة والخيال ص ٤١.

(٢) هود (١٢٣).

وما هذه الوسائل إلا حبائل شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ليصطادوا بها أموال الناس.

حكم المدعين للغيب:

قد أجمع العلماء على أن مدعي الغيب كافر خارج من الملة، لأن علم الغيب من صفات الله التي اختص بها، فمن ادعى علم الغيب فقد نازعه في صفة من صفات ربوبيته.

وقد تقدم أن الغيب من خصائص الله تعالى لا يعلمه أحده سواه[١]. كما تقدم ذكر شيء من الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة. وسأشير هنا إلى بعض الأدلة:

قال الله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾[٢]

وقال تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو...﴾ الآية[٣].

فالغيب من خصائص الله لا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل.

قال تعالى عن الملائكة: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين * قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾[٤].

وأخبر أن الرسل لا يعلمون من الغيب إلا ما خصهم الله به.

---

(١) انظر إلى الباب الثاني.

(٢) سورة النمل (٦٥).

(٣) الأنعام (٥٩).

(٤) البقرة (٣٢).

قال الله تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً . .﴾ (١).

وكذلك الجن الذين هم مصدر التلقي عند الكهان لا يعلمون من الغيب إلا ما استرقوه من السمع.

قال تعالى: ﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾ (٢).

فقد قبض الله روح سليمان ــ عليه السلام ــ وظل واقفا متكأ على عصاه والجن يقومون بالأعمال الشاقة ظانين أنه لا يزال حياً، فلما أكلت الأرضة عصاه وسقط تبينت الجن موته، وظهر للناس أن الجن لا يعلمون الغيب.

فتبين من هذا أنه لا أحد يعلم الغيب إلا الله، فمن نازعه إياه وادعى معرفة الغيب، فقد نسب إلى نفسه صفة من صفات الله ــ سبحانه وتعالى ــ وادعى لنفسه من العلم ما اختص به الله ــ سبحانه وتعالى ــ.

قال القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ: (قال علماؤنا: أضاف ــ سبحانه وتعالى ــ علم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتابه إلا من اصطفى من عباده، فمن قال إنه ينــزل الغيث غداً وجزم فهو كافر،

---

(١) الجن (٢٧).

(٢) سبأ (١٤).

أخبر عنه بأمارة ادعاها أم لا. وكذلك من قال إنه يعلم ما في الرحم فهو كافر.. ومن ادعى الكسب في مستقبل العمر فهو كافر، أو أخبر عن الكوائن المجملة أو المفصلة في أن تكون قبل أن تكون فلا ريبة في كفره أيضاً...) [١].

حكم الكهانة وما يتعلق بها:

لقد ذم الشرع الكهان وسماهم بالجبت والطاغوت، وحرم الكهانة وعظم جرم من يأتي إلى الكهان، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة:

أولا: من الكتاب ما يلي:

قال تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً﴾ [٢].

فهذا الآية نزلت فيمن تحاكم إلى كاهن جهينة ولم يرض بالتحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣].

ويدخل في الكهان كما قلت سابقاً العرافون، والمنجمون الذين يعبدون الكواكب أو الذين يعتقدون أن لها تأثيراً في الحوادث، وكذلك الذين يضربون على الحصى أو الرمل وغيرهم من الذين يدعون أنهم

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢/٧.

(٢) النساء (٦٠).

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن ٢٦٣/٥.

يعلمون المغيبات. فكل هؤلاء يعتبرون من أدعياء الغيب، ومن ادعى معرفة الغيب فهو كافر.

قال ابن عابدين ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (دعوى علم الغيب معارضة لنص القرآن فيكفر بها إلا إذا أسند إلى ذلك صريحاً أو دلالة إلى سبب من الله تعالى كوحي.. أو أسنده إلى أمارة عادية بجعل الله تعالى) (١).

وقال أيضاً: (الكاهن من يدعي معرفة الغيب بأسباب وهي مختلفة فلذا انقسم إلى أنواع متعددة كالعراف والرمال والمنجم .. والكل مذموم شرعاً محكوم عليهم وعلى مصدقهم بالكفر. وفي البزارية يكفر بادعاء علم الغيب بإتيان الكاهن وتصديقه.

وفي التتارخانية يكفر بقوله أنا أعلم المسروقات أو أنا أخبر عن إخبار الجن إياي) (٢).

وقد حكم الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ في كتابه على الكهان بالكفر في آيات كثيرة منها ما يأتي:

قال تعالى: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم. . .﴾ (٣).

فالكاهن ولي للشيطان لأن الشيطان لا يوحي إليه إلا بعد أن يتخذه ولياً من دون الله. ثم إن الشيطان لا يتولى إلا الكفّار كما قال تعالى:

---

(١) حاشية ابن عابدين ٣/٢٤٣.

(٢) حاشية ابن عابدين ٤/٢٦٣.

(٣) الأنعام (١٢١).

﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾ [(١)].

فالشياطين يخرجون أولياءهم من نور الهدى إلى ظلمات الكفر والضلالة، وقد حكم الله تعالى على أولياء الشيطان بالخسران ودخول النيران. قال الله تعالى: ﴿ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً * يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً * أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصاً﴾ [(٢)] فحكم ــ سبحانه وتعالى ــ على اتباع الشيطان بالكفر والضلال[(٣)].

هذا فضلا عن الآيات التي تقدم ذكرها والتي تدل على أن الغيب من خصائص الله سبحانه وتعالى وأنه صفة من صفاته وأن من نازعه إياها فقد كفر.

ثانياً: الأدلة من السنة:

أما الأدلة من السنة فهي كثيرة أيضاً منها ما يلي:

ما رواه مسلم عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عنه أنه قال: «من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» [(٤)].

وعن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ عن النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) البقرة (٢٥٧).

(٢) النساء (١١٩-١٢١).

(٣) انظر معارج القبول ١/٥٣٤.

(٤) رواه مسلم (ح ٢٢٣٠)، وأحمد ٤/٦٨، ٥/٣٨٠ بزيادة فصدقه.

قال: «من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً، فقد كفر بما أنزل على محمد» (١).

وعن أبي هريرة والحسن ـ رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم» (٢).

قال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ له شاهد عند البزار عن جابر بن عبد الله وعمران بن حصين بسندين جيدين ولفظهما: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» (٣).

---

(١) رواه أبو داود وسكت عنه (ح ٣٩٠٥) والترمذي (ح ١٣٥) وقال: لا نعرف هذا الحديث إلا من حديث حكيم بن الأثرم عن أبي تيمية الهُجَيمي عن أبي هريرة، وراه أيضا ابن ماجه (ح ٦٣٩) وأحمد ٤٠٨/٢، ٤٧٦، وقال أحمد شاكر له متابعات جيدة يؤيد أنه حديث صحيح انظر سنن الترمذي ٢٤٤/١.

(٢) رواه الإمام أحمد ٤٢٩/٢، والبيهقي ١٣٥/٨، والحاكم وصححه ٨/١، وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: هذا إسناد صحيح على شرط البخاري.. قال العراقي في أماليه حديث صحيح، وقال الذهبي إسناده قوي. انظر تيسير العزيز الحميد ٤٠٩.

(٣) الفتح ٢١٧/١٠. وانظر كشف الأستار (ح ٣٠٤٤ و ٣٠٤٥) وقال البزار بعد سياقه لحديث جابر لا نعلمه يروى عن جابر إلا من هذا الوجه. وأخرجه أيضاً البيهقي في السنن الكبرى ١٣٥/٨. وقال المنذري بعد سياقه لحديث جابر: رواه البزار بسند جيد قوي. وقال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح خلا عقبة بن سنان وهو ضعيف ١٢٠/٥ .

وعن عمران بن حصين ــ رضي الله عنه ــ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له .. ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) (١).

فدلت هذه الأحاديث على كفر من أتى الكهان وصدقهم بما قالوا واعتقد أنهم يعلمون الغيب. وإذا كان هذا حكم من أتى إليهم فكيف بهم؟ فإنهم يدخلون في الكفر من باب أولى، وقد جاء الحكم عليهم صريحا في حديث أبي سعيد الخدري ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة صاحب خمس مدمن خمر ولا مؤمن بسحر ولا قاطع رحم ولا كاهن ومنَّان» (٢).

وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال: «ليسوا بشيء». فعن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت: سأل أناس رسول الله

---

(١) رواه البزار انظر كشف الأستار (ح ٣٠٤٤) وقال قد روي بعضه من غير وجه، فأما بتمامه ولفظه فلا نعلمه إلا عن عمران بهذا الطريق. وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنده جيد ورواه الطبراني بإسناد حسن عن ابن عباس دون قوله ومن أتى الخ. انظر تيسير العزيز الحميد ٤٠٩. وقال المنذري اسناد الطبراني حسن وإسناد البزار جيد ٣٣/٤. وقال ابن حجر الهيثمي رجال الصحيح خلا اسحاق بن الربيع وهو ثقة . انظر مجمع الزوائد ١٢٠/٥.

(٢) رواه أحمد ١٤/٣ – ٨٣ وقال الألباني رجاله رجال البخاري غير عطية العوفي وهو ضعيف. لكن الأحاديث المتقدمة والتي سيأتي ذكرها تشهد له.

صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليسوا بشيء. قالوا يا رسول الله فإنهم يحدثوننا أحياناً بالشيء يكون حقاً؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قر الدجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائة كذبة» [١].

وورد النهي عن إتيان الكهان وتحريم سؤالهم وتصديقهم، فقد روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أتى عرَّافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» [٢].

(وأخرجه أبو يعلى من حديث ابن مسعود لكن لم يصرح برفعه، ومثله لا يقال بالرأي) [٣] ولفظه: «من أتى عرافاً أو ساحراً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم» [٤].

وعن معاوية بن الحكم قال قلت يا رسول الله إني حديث عهد بجاهلية وقد جاء الله بالإسلام وإن منا رجالا يأتون الكهان قال: «فلا

---

(١) تقدم تخريجه انظر (ص ٣٧٩).

(٢) رواه مسلم (ح ٢٢٣٠) وقد تقدم انظر ص (٣٧٩).

(٣) فتح الباري ٢١٧/١٠.

(٤) مسند أبو يعلى (ح ٥٤٠٨) وقال ابن حجر سنده جيد. الفتح ١١٧/١٠، وقال ابن حجر الهيثمي رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، خلا هبيرة بن مريم وهو ثقة. مجمع الزوائد ١٢١/٥.

تأتيهم» [(١)].

قال النووي ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (قال العلماء إنما نهى عن إتيان الكهان لأنهم لا يتكلمون في المغيبات وقد يصادف بعضها الإصابة فيخاف الفتنة على الإنسان بسبب ذلك، لأنهم يلبسون على الناس كثيراً من أمر الشرائع، وقد تظافرت الأحاديث الصحيحة بالنهي عن إتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون) [(٢)].

وروى الإمام أحمد وغيره عن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) [(٣)]

وعن ابن عمر ـــ رضي الله عنه ـــ قال: قال رسول الله صلى الله

---

(١) رواه مسلم ٥/٢٣.

(٢) شرح النووي على مسلم ٥/٢٢.

(٣) رواه أحمد والحاكم واللفظ لأحمد، انظر المسند ٢/٣٢٩، وانظر المستدرك ١/٧-٨ وقال الحاكم هذا حديث صحيح على شرطهما جميعاً من حديث ابن سرين و لم يخرجاه ووافقه الذهبي.

وقال المناوي: .. قال الحافظ العراقي في أماليه حديث صحيح.. وقال الذهبي إسناده قوي. انظر فيض القدير ٦/٢٣ (ح ٨٨٨٥).

وصححه ابن كثير في التفسير ١/١٤٣. وصححه الألباني أيضاً المشكاة (ح ٤٥٩٩).

عليه وسلم: «من أتى عرافاً لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» [١].

فمن أتى الكهان وسألهم عن شيء من المغيبات وصدقهم بما يقولون فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم. أما من أتاهم وسألهم ولكن لم يعتقد أنهم صادقون فيما زعموه من معرفة الغيب فهذا لا تقبل له صلاة أربعين ليلة كما دلت عليه الأحاديث السابقة ويدل على ذلك صريحاً حديث واثلة بن الأسقع ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أتى كاهناً فسأله عن شيء حجبت عنه التوبة أربعين ليلة فإن صدقه بما قال كفر» [٢]. قال المنذري ضعيف[٣].

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد برئ مما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ومن أتاه غير مصدق له لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» [٤].

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رجاله ثقات مجمع الزوائد ١٢١/٥ وتقدم ما يشهد له عند مسلم انظر ص ٣٧٨.

(٢) رواه الطبراني في الكبير ٦٩/٢١ والهيثمي في مجمع الزوائد وقال: فيه سليمان بن أحمد الواسطي وهو متروك ١٢١/٥.

(٣) ذكره سليمان بن عبد الوهاب في تيسير العزيز الحميد ص ٤٠٩ وانظر الترغيب ٣٥/٤ حيث قال ورُوي بصيغة التضعيف.

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى ١٣٥/٨، ١٣٦. وقال الحافظ في الفتح رواه =

(فلو ثبت هذا الحديث لكان نصاً في المسألة؛ لكن ما تقدم من الأحاديث يشهد له، فإن الحديث الذي فيه الوعيد بعدم قبول الصلاة أربعين ليلة ليس فيه ذكر تصديقه، والأحاديث التي فيها إطلاق الكفر مقيدة بتصدقه) [1] والله تعالى أعلم.

وفصل ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ في حكم سؤال الكهان والعرافين ومن نحا نحوهم فقال: (إن كان السائل يسأل الكهان على وجه التصديق لهم في كل ما يخبرون والتعظيم للمسؤول فهو حرام؛ كما ثبت ذلك في حديث معاوية بن الحكم[2] وحديث من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً) [3].

وأما إن كان يسأل المسؤول ليمتحن حاله ويختبر باطن أمره وعنده ما يميز به صدقه من كذبه فهذا جائز؛ كما ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل ابن صياد فقال: (ما يأتيك؟ فقال: يأتيني صادق وكاذب وقال ما ترى؟ قال: أرى عرشاً على الماء قال: فإني قد خبئت لك خبيئاً، قال الدخ الدخ. قال إخسأ فلن تعدوا قدرك فإنما أنت من

= الطبراني بسند لين.

وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه رشدين بن سعد وفيه توثيق أحاديث الرقاق، وبقية رجاله ثقات، مجمع الزوائد ١٢١/٥.

(١) تيسير العزيز الحميد (٤٠٩).

(٢) تقدم ذكره انظر ص ٣٨٢.

(٣) تقدم تخريجه انظر ص ٣٨٠.

إخوان الكهان)[١].

وكذلك إذا كان يسمع ما يقولونه ويخبرون به عن الجن، كما يسمع المسلمون ما يقوله الكفار والفجار ليعرفوا ما عندهم فيعتبروا به، وكما يسمع خبر الفاسق ويَتَبَيَّن وَيَتَثَبَّت فلا يجرم بصدقه ولا بكذبه إلا ببينة كما قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ وكما يجوز للمسلمين سماع ما يقوله أهل الكتاب عن كتبهم فلا يصدقونهم ولا يكذبونهم) [٢] فهذا كله جائز.

وقال المناوي: (إن سأله معتقداً صدقه كفر، ولو فعله استهزاءً معتقداً كذبه فلا يلحقه الوعيد.. فمصدق الكاهن إن اعتقد أنه يعلم الغيب كفر، وإن اعتقد أن الجن تلقي إليه ما سمعته من الملائكة فصدقه من هذه الجهة لا يكفر[٣].

وقد سئل الشيخ محمد بن إبراهيم[٤] ـ رحمه الله تعالى ـ عن

---

(١) رواه البخاري (ح ١٣٥٥) ومسلم (ح ٢٩٣٠)، وأبو داود (ح ٤٣٢٩)، والترمذي (ح ٢٢٤٦)، وأحمد ٣٨٠/١، ٤٨/٢، ٢٦٨/٣، وقوله: (قال أرى عرشاً على الماء) ليست عند أحمد في الموضع الثالث فقط.

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٦٢/١٩، ٦٣.

(٣) فيض القدير ٢٣/٦.

(٤) هو الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الإمام محمد بن عبد الوهاب، ولد رحمه الله في الرياض محرم ١٣١١هـ مفتي الديار السعودية في عصره نشأ في الرياض في بيت علم وفضل، وتلقى العلم عن أكابر =

حديث (من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) هل هذا هو الكفر الناقل من الملة؟.

فأجاب بقوله: اختلف أهل العلم فيه فقيل: إنه لا يخرجه من الإسلام بل هو من العصاة من أهل الإسلام المتغلظة معاصيهم وإلا لو كان كافراً لما قيد بأربعين.

وقيل: إن هذا من أحاديث الوعيد فَيُمَرُّ كما جاء ولا يتعرض له بتأويل. وهذا هو قول أحمد وعامة السلف، ولأن ذلك أبلغ في الردع عن الجرائم.

فالأول: ليس هو من التأويل وهو تأدب في المعنى مع اللفظ.

الثاني: تأدب مع اللفظ، وكل مصيب.

ولكن الأولى أن يقال لمن يظن أنه يرى مذهب الخوارج: لا ينقل فإنه بيان لحكمه، فإن الخوارج زعموا أنه وأشباهه دليل على تكفير العصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم. وإن كان الحال مأمون من أن

= علماء نجد. تولى الرئاسة العلمية من التدريس والإفتاء، والقضاء بعد وفاة عمه عبد الله بن عبد اللطيف. كان له جهود كبيرة في المساهمة في القضاء والتعليم والإفتاء وغيرها. توفي ـــ رحمه الله تعالى ـــ في شهر رمضان ١٣٨٩هـــ وشيعت جنازته في اليوم الرابع والعشرين من بعد صلاة العصر وكان على رأس المشيعين الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود – رحمه الله – ودفن في مقبرة العود. وبفقده فقدت البلاد السعودية شخصية كبيرة في علمها ومركزها ومقامها وفضلها.

انظر: علماء نجد خلال ستة قرون ٨٨ وما بعدها.

ينـــزع به أحد إلى تكفير العصاة قيل كما في النص، أطلق كما أطلق النص) [١].

مسألة: هل يقتل الكاهن والعراف؟

للإمام أحمد ــ رحمه الله تعالى ــ في ذلك روايتان:

الأولى: أنه كالساحر يكفر بكهانته وعرافته ويقتل بها.

الثانية: لا يقتل ولكن يعزر ويحبس لأن حكمه أخف من حكم الساحر.

اختار هذه الرواية بن عقيل ورجحها ابن قدامة في المغني وهي الصحيح من المذهب[٢].

والتحقيق أن في المسألة تفصيلا:

فإن كان الكاهن ممن تنـــزل عليهم الشياطين ويدعون بذلك معرفة الغيب ويعتقدون إباحة ذلك فهم كفار مرتدون تنطبق عليهم أحكام الردة، فيستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا.

قال تعالى: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين * تنزل على كل أفاك أثيم * يلقون السمع وأكثرهم كاذبون﴾ [٣].

---

(١) فتاوى الشيخ ابن إبراهيم ١/١٦٤.

(٢) انظر المغني ٨/١٥٧، الفروع ٦/١٧٧، كشاف القناع ٦/١٨٥.

(٣) الشعراء (٢٢١-٢٢٣).

وقال تعالى: ﴿ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسرانا مبيناً﴾ [(١)].

وقد تقدمت الأدلة الدالة على كفره فيما سبق.

وإن كان من الذين يزجرون الطير ويضربون بالحصى ويقرأون الكف والفنجان ونحوهم؛ ممن ذكرتهم آنفاً من الذين يُدجلون على الناس ويقولون بالخرص والتخمين؛ زاعمين أن لديهم القدرة على معرفة الغيب بذلك، و لم يعتقدوا أنهم يعرفون الأمور الغيبية حقيقة، فهم ضالون يؤدبون ويعزرون لأن فعلهم هذا معصية: (وللإمام قتل من فعل ذلك لسعيه بالفساد في الأرض) [(٢)].

أما إن كانوا يعتقدون أن فعلهم ذلك مباح وأنهم يعلمون من خلاله الأمور الغيبية فيحكم عليهم بالكفر؛ ويستتاب من فعل ذلك فإن تاب وإلا قتل[(٣)].

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم: (المنجم والضارب بالحصى والودع لا يُكَفَّر الواحد منهما ما لم يعتقد إباحته، فإن اعتقد إباحته فهو مرتد؛ لأن برهان ذلك ظاهر بالشرع، لأنه معلق على الاستخذاء للشياطين واستمتاع الشياطين بهم. وكذلك ما لم يدع أنه يعلم الغيب؛ أو يدع

(١) النساء (١١٩).

(٢) الفروع لابن مفلح ١٧٨/٦.

(٣) انظر شرح منتهى الإرادات ٣٩٥/٣.

التصرف في الوجود في بعض الأشياء، وكثير منهم بل أكثرهم لا ينفكون عن ادعاء المغيبات، فيعزر أصحاب هذه الأمور تعزيراً يردعهم وأمثالهم ثم يكف عنهم. والتعزير يرجع إلى الإمام الناظر الشرعي، فإن اقتضى القتل لا سيما من كان له شهرة في ذلك فإنه يقتل) [(١)].

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في بيان حكمهم ما نصه:

(الكاهن من يزعم أنه يعلم بعض المغيبات وأكثر ما يكون ذلك ممن ينظرون في النجوم لمعرفة الحوادث، أو يستخدمون من يسترقون السمع من شياطين الجن كما ورد في الحديث الذي روته عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس عن الكهان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة» [(٢)].

ومثل هؤلاء من يخط في الرمل أو ينظر في الفنجان أو في الكف ونحو ذلك وكذا من يفتح الكتاب، زعماً منهم أنهم يعرفون بذلك علم الغيب، وهم كفار بهذا الاعتقاد لأنهم بهذا الزعم يدعون مشاركة الله في صفة من صفاته الخاصة وهي علم الغيب، ولتكذيبهم بقوله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ [(٣)]. وقوله: ﴿وعنده مفاتح الغيب

---

(١) فتاوى ورسائل الشيخ ابن إبرهيم ١/١٦٤٤-١٦٤٥.

(٢) تقدم تخريجه انظر (ص ٣٥٤).

(٣) النمل (٦٥).

لا يعلمها إلا هو﴾ [١]

وقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾ [٢].

ومن أتاهم فصدقهم بما يقولون من علم الغيب فهو كافر).

ثم ساق الأدلة من السنة على ذلك فاستدل بحديثي أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ وحديث مسلم عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وحديث عمران بن حصين، وقد تقدمت كلها قريباً[٣].

ثم قال: (وبما ذكرناه من الأحاديث يتبين لطالب الحق أن علم النجوم وما يسمى بالطالع وقراءة الكف وقراءة الفنجان ومعرفة الخط وما أشبه ذلك مما يدعيه الكهنة والعرافون والسحرة كلها من علوم الجاهلية التي حرمها الله ورسوله؛ ومن أعمالهم التي جاء الإسلام بإبطالها والتحذير من فعلها وإتيان من يتعاطاها وسؤاله عن شيء منها أو تصديقه فيما يخبر به من ذلك؛ لأنه من علم الغيب الذي استأثر الله به) [٤].

حكم التنجيم:

تقدم أن علم النجوم ينقسم إلى ثلاثة أقسام[٥] وسأذكر هنا حكم

---

(١) الأنعام (٥٩)

(٢) الأنعام (٥٠).

(٣) انظر (ص ٣٧٨-٣٧٩).

(٤) مجلة البحوث الإسلامية العدد (٢٠ ص ٩- ١١ السنة ١٤٠٧-١٤٠٨هـ).

(٥) انظر ص ٢٥٣.

كل قسم منها على حدة:

القسم الأول: عملي وهو الذي يدعي فيه المنجمون أن للكواكب تأثيراً على الأرض. وأن الكواكب فاعلة مختارة. فمن يعتقد هذا فهو كافر؛ لأنه قد جعل مع الله إلهاً آخر يخلق ويدبر في الكون فهذا لا يشك مسلم في كفره، والكفر في معتقده واضح بين[١].

قال ابن رشد ــ رحمه الله تعالى ــ (إذا كان المنجم يزعم أن النجوم واختلافها في الطلوع والغروب هي الفاعلة لذلك كله وكان مستتراً [٢] بذلك فحضرته البينة قتل بلا استتابة؛ لأنه كافر زنديق، وإن كان معلناً غير مستتر به يظهره ويحاج عليه استتيب فإن تاب وإلا قتل كالمرتد سواءً) [٣].

القسم الثاني: العلمي وهو الاستدلال بحركات النجوم على الحوادث التي تقع في الأرض ومعرفة الغيوب من خلال ذلك فهذا أيضاً كفر صريح[٤] لأنه من زعم أنه يعرف ما سيقع في مستقبل الزمان من الحوادث وهبوب الرياح ومجيء المطر وتغير الأسعار، وما سيحل بالبلدان أو الشعوب أو القبائل أو الأفراد من النعم أو النقم وغير ذلك وادعى أنه

---

(١) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٣٨٧، والمقدمات والممهدات ٤١٨/٣.

(٢) لأن المستتر يكون ــ غالبا ــ يعلم أن علمه باطل مخالف للشرع وإلا لأظهره للناس وأعلنه إن كان لا يرى به بأس والله تعالى أعلم.

(٣) المقدمات والممهدات ٤١٨/٣.

(٤) انظر المقدمات والممهدات ٣١٨/٣.

يعرف ذلك عن طريق النظر في النجوم والاستدلال بها فهو كافر واضح الكفر، لأنه لا يعلم الغيب إلا الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ فمن نازع الله في صفة من صفاته وزعم أنه يعرف الغيب فهو كافر[١].

قال القرطبي ـــ رحمه الله تعالى ـــ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول. . .﴾ الآية[٢] قال: (قال العلماء: وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب ويزجر الطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما شاء من غيبه، بل هو كافر بالله تعالى مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه.

قال بعض العلماء: وليت شعري ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها ألف إنسان على اختلاف أحوالهم وتباين رتبهم؛ فيهم الملك والصغير والسوقة، والعالم والجاهل، والغني والفقير، والكبير والصغير، مع اختلاف طوالعهم وتباين مواليدهم، ودرجات نجومهم فعمهم الغرق في ساعة واحدة؟ فإن قال المنجم ـــ قبحه الله ـــ إنما أغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه فيكون على مقتضى ذلك أن هذا الطالع أبطل أحكام الطوالع الأخرى على اختلافها عند ولادة كل واحد منهم، وما يقتضيه طالعه المخصوص به، فلا فائدة أبداً من عمل المواليد ولا دلالة فيه على شقي ولا سعيد، ولم يبق إلا معاندة القرآن العظيم، وفيه استحلال دمه على هذا التنجيم.

---

(١) انظر معالم السنن مع مختصر المنذري ٣٧١/٥.

(٢) الجن ٢٥- ٢٦.

ولقد أحسن الشاعر حيث قال:

حكم المنجم أن طالع مولـــدي … يقضي علي بميتة الغـــرق

قل للمنجم صحبة الطوفان هل … ولد الجميع بكوكب الغرق

انتهى كلامه رحمه الله تعالى[١].

وقال ابن رشد ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (وأما شيء من المغيبات فلا يمكن أن يدركها أحد من ناحية النظر في النجوم وإن ادعى المنجم أنه يعلم بتنجيمه متى يقدم فلان أو متى ينـــزل المطر أو ما في الأرحام أو ما يستتر الناس به من الأخبار، وما يحدث من الفتن والأهوال، وما أشبه ذلك من المغيبات، فهذا كفر يجب به القتل واختلف في استتابته فقيل لا تجب لقوله تعالى: ﴿ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾[٢].

ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: «قال الله عز وجل: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب» [٣].

وقيل إنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل....) [٤].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٩/٢٨.

(٢) الفرقان ٥٠.

(٣) متفق عليه، البخاري (ح ١٠٣٨) مسلم (ح ٧١).

(٤) المقدمات والممهدات ٣/٤١٧- ٤١٨.

ولا يصح أن يجتمع في قلب مسلم تصديق المنجم مع قوله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾.

وقوله: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . . .﴾ الآية.

وقوله: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث. . .﴾ الآية[١].

وقد جاءت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم والآثار عن السلف بإبطال التنجيم وذم أهله والتحذير منه. ومن هذه الأحاديث ما يلي:

حديث زيد بن خالد الجهني ــ رضي الله عنه ــ في الحديبية وقد تقدم[٢].

وحديث أبي مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت...» الحديث[٣].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أخاف على أمتي خصلتين: تكذيباً بالقدر وصدقاً بالنجوم».

وجاء من طريق آخر: «أخاف على أمتي بعدي تكذيباً بالقدر

---

(١) انظر المقدمات الممهدات ٣/٣١٨ والآية في سورة لقمان ٣٤.

(٢) انظر ص ٦٨- ٣٩٢.

(٣) رواه مسلم (ح ٩٣٤) والبخاري (ح ٣٨٥٠) عن ابن عباس موقوفاً.

وصدقاً بالنجوم»[١].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»[٢].

فالمنجم كاهن والكاهن ساحر والساحر كافر[٣].

وعن ابن محجن مرفوعاً «أخاف على أمتي ثلاثاً: حيف الأئمة وإيماناً بالنجوم وتكذيباً بالقدر»[٤].

وعن علي ــ رضي الله عنه ــ قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا علي أسبغ الوضوء وإن شق عليك، ولا تأكل الصدقة، ولا تنــزا الحمير على الخيل، ولا تجالس أصحاب النجوم»[٥].

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (ح ٤١٣٥) والخطيب في حكم الاشتغال بالنجوم (ص ٦/أ) مخطوط وصححه الألباني، الصحيحة (ح ١١٢٧).

(٢) أخرجه أبو داود (ح ٣٧٥٤) وابن ماجه (٣٧٢٦) وأحمد ٢٢٧/١، والطبراني في الكبير ١٣٥/١، وقال ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ : إسناده صحيح . الفتاوى ١٩٣/٣٥.

(٣) انظر الدين الخالص ١٣٧/٢، ذكره عن ابن عباس ــ رضي الله عنه ــ.

(٤) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ٢٩/٢، وقال الهيثمي: «فيه ليث بن سليم وهو لين وبقية رجاله وثقوا». وقال الألباني: «ضعيف، ولكن له شواهد كثيرة يرتقي بها إلى درجة الصحة في نظري وهو من حديث أبي محجن وأبي الدرداء وأنس. انظر السلسلة الصحيحة» ١١٩/٣، (ح ١١٢٧).

(٥) رواه الإمام أحمد ٧٨/١، وقال الهيثمي رواه عبد الله بن أحمد وفيه هارون بن =

وعن العباس بن عبد المطلب ـــ رضي الله عنه ـــ قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي حتى خرجنا من المدينة، فلما خرجنا نظر إليها وقال: «هذه جزيرة قد برأت من الشرك ما لم تضلهم النجوم، قال قلت يا رسول الله وكيف تضلهم النجوم قال يقولون إن أصابهم الغيث مطرنا بنجم كذا وكذا» [(١)].

قال قتادة: (خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها بغير ذلك فقد أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما علم له به) [(٢)].

وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾ [(٣)].

= مسلم صاحب الحناء لينه أبو حاتم ووثقه الحاكم وبقية رجاله ثقات. وقال أحمد شاكر الحديث ضعيف لانقطاع بين زين العابدين وعلي بن أبي طالب إذ أن زين العابدين لم يدركه فكانت الرواية عنه مرسلة انظر تحقيق أحمد شاكر للمسند ٥٨٢/٢.

(١) رواه أبو يعلى في مسنده ٧٠/١٢، ٧٧ وابن عبد البر في جامع بيان العلم ٣٩/٢. والخطيب في حكم الاشتغال بالنجوم (ص ق/٦/ب) وقال الهيثمي فيه قيس بن الربيع وثقه شعبة والنووي وضعفه الناس وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد ١١٦/٥، وقال في موضع آخر إسناد بن أبي يعلى حسن. (١١٤/٨).
وقال الأعظمي في المطالب العالية أخرجه أبو يعلى بإسنادين يشد كل منهما الآخر. انظر المطالب العالية ١٨٤/١.

(٢) البخاري كتاب بدء الخلق باب ٣ في النجوم انظر الفتح ٢٩٥/٦.

(٣) النمل (١٦).

وقال: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين واعتدنا لهم عذاب السعير﴾ (١).

وقال: ﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظاً من كل شيطان مارد﴾ (٢).

وأخرجه الخطيب عنه مطولاً، ولفظه:

قال: (إن الله تعالى إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال جعلها زينة للسماء ويهتدى بها وجعلها رجوماً للشياطين فمن تعاطى منها غير ذلك فقد أخطأ حظه وقال رأيه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به. إن ناساً جهلة بأمر الله تعالى قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة؛ من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ولعمري ما من نجم إلا يولد فيه الطويل والقصير والأحمر والأبيض والحسن والذميم. قال: ما عَلِمَ هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشيء من الغيب، وقضى الله تعالى أنه لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله؛ وما يشعرون أيان يبعثون، ولعمري لو أن أحداً علم الغيب لعلمه آدم الذي خلقه الله تعالى بيده وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء؛ وأسكنه الجنة فأكل منها رغداً حيث شاء ونهاه عن شجرة واحدة؛ فما زال البلاء حتى وقع بما نهي عنه. ولو كان أحد يعلم الغيب لعلمه الجن

---

(١) الملك (٥).

(٢) الصافات (٦-٧).

حين مات نبي الله سليمان ــ عليه السلام ــ فلبث الجن يعملون له حولا في أشد العذاب وأشد الهوان وهم لا يشعرون بموته، وما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن .. لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين. قال: قد كانت تقول قبل ذلك إنا نعلم فابتلاهم الله تعالى وجعل موت سليمان للجن والإنس عبرة) [١].

فتأمل رحمك الله تعالى ما أنكره الإمام مما حدث من هذه المنكرات في عصره فكيف بالعصور التي جاءت بعده، فإنه ما زال يزداد في كل عصر بعدهم إلى يومنا هذا وسيدوم في هذه الأمة ــ إلا أن يشاء الله ــ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها كما أخبر بذلك المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية وذكر منها الاستسقاء بالنجوم» [٢].

وقد ارتفعت الشكوى على ألسنة كثير من العلماء في قرون سلفت عَمَّ فيها ذلك الضلال، قال القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ: (قال علماؤنا: وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان بإتيان المنجمين والكهان لا سيما بالديار المصرية فقد شاع في رؤسائهم وأتباعهم وأمرائهم اتخاذ المنجمين، بل لقد انخدع كثير من المنتسبين للفقه والدين فجاؤوا إلى هؤلاء الكهنة والعرافين فبهرجوا عليهم بالمحال واستخرجوا منهم الأموال، فحصلوا من

---

(١) حكم الاشتغال بالنجوم (ق/٦/ب) (مخطوط) وانظر معارج القبول ٢/٥٢٦.

(٢) مسلم عن أبي مالك الأشعري ــ رضي الله عنه ــ (ح ٩٣٤)، وقد تقدم في ص ٣٩٣.

أقوالهم على السراب والآل) [1] ومن أديانهم على الفساد والضلال. وكل ذلك من الكبائر لقوله صلى الله عليه وسلم: «لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» [2] فكيف بمن اتخذهم وأنفق عليهم معتمداً على أقوالهم. أهـ[3].

فإذا كان هذا الانتشار الواسع في زمن القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ فما بالك بزماننا الذي بلغ ذروته وتعددت وسائله وانجرف العامة والخاصة وراءه، وصارت وسائل الإعلام تبثه ليل نهار وخصصت له أوقات في بعض الإذاعات يذاع فيها برامج معروفة؛ وصارت بعض الصحف والمجلات تجعل له الصفحات الطوال، بل لقد صدرت بعض المجلات المتخصصة بهذا المجال، فضلا عن الذين ينشرونه بين الناس من المنجمين والكهنة فهم كثير. وهذا مع قلة من ينكر ذلك، بل منهم من ينصر هذا الاعتقاد الفاسد بنوع من التأويل الكاسد والتبرير البارد فعظمت المصيبة في الدين فإنا لله وإنا إليه راجعون.

القسم الثالث:

وهو الاستدلال بالنجوم ومسيرها على الحساب ومعرفة القبلة والجهات وأوقات الصلوات، ومعرفة الفصول ووقت الزرع والحصاد،

---

(١) السراب الذي يكون في منتصف النهار لاطئا بالأرض ملتصقا بها كأنه ماء جار. والآل الذي يكون في الضحى كالماء بين السماء والأرض يرفع الشخوص ويزهاها، لسان العرب مادة سرب ٤٦٥/١.

(٢) تقدم تخريجه انظر ص ٣٧٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣/٧.

والحر والقر، ومعرفة الكسوف والخسوف، ومعرفة أقدار الأفلاك والكواكب وصفاتها وأماكنها ومقاديرها وحركاتها؛ وما يتبع ذلك من الاستدلال بها على حساب الأيام والشهور والسنوات. والفصول والجهات والأماكن (فهذا في الأصل علم صحيح لا ريب فيه كمعرفة الأرض وصفتها ونحو ذلك) [١].

ومما يدل على جواز هذا القسم ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾ [٢].

قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (يقول تعالى ذكره: والله الذي جعل لكم أيها الناس النجوم أدلة في البر والبحر إذا ضللتم الطريق أو تحيرتم فلم تهتدوا فيها ليلا تستدلون بها على المحجة فتهتدون بها إلى الطريق والمحجة فتسلكونه وتنجون بها من ظلمات ذلك، كما قال جل ثناؤه ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾ أي من ضلال في الطريق في البر والبحر....) [٣].

وقال القرطبي ـــ رحمه الله تعالى ـــ بين سبحانه وتعالى كمال قدرته.

---

(١) انظر الفتاوى ١٨١/٣٥.

(٢) الأنعام (٩٧).

(٣) جامع البيان ٢٨٦/٧.

وفي النجوم منافع جمَّة ذكر في هذه الآية بعض منافعها، وهي التي ندب الشرع إلى معرفتها...) [(١)].

وقوله تعالى: ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾ [(٢)].

قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ بعد أن رجَّح شمول العلامات لكل علامة يستدل بها. قال: (وجعل لكم أيها الناس علامات تستدلون بها نهاراً على طرقكم في أسفاركم ونجوماً تهتدون بها ليلاً في سبلكم) [(٣)].

وقوله تعالى: ﴿وهو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾ [(٤)].

وقال ابن كثير ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (فبالشمس تعرف الأيام وبسير القمر تعرف الشهور والأعوام) [(٥)].

جعل الله الليل والنهار والشمس والقمر ليعلم الخلق عدد السنين والحساب وليستدلوا بها على الأيام والسنين.

قال تعالى: ﴿فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤٦/٧.

(٢) النحل (١٦).

(٣) جامع البيان ٩٢/١٤.

(٤) يونس (٥).

(٥) تفسير القرآن العظيم ١٨٥/٤.

ذلك تقدير العزيز العليم﴾ [١].

وقال تعالى: ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً﴾ [٢].

فهذه الآيات وغيرها تدل على جواز هذا القسم وأنه لا محظور فيه إذا لم يتعدى ذلك. وفي هذه النصوص من الدلالة الصريحة على جوازه ما يغني عن غيرها من الأدلة.

وقد وردت آثار تدل على جواز تعلمه فمن هذه الآثار ما يلي:

ورد عن أبي هريرة مرفوعا بسند فيه ضعف (تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم انتهوا وتعلموا من العربية ما تعرفون به كتاب الله ثم انتهوا، وتعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا) [٣].

ومثل الأثر المروي عن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ: «تعلموا من النجوم ما تهتدون به في بركم وبحركم ثم أمسكوا...» [٤].

---

(١) الأنعام (٩٦).

(٢) الإسراء (١٢).

(٣) رواه حميد بن زنجويه وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (ح ١٧٢٣) وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف.

(٤) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ٣٨/٢، وذكره السيوطي في الدر المنثور =

وقد أجازه كثير من العلماء وأجازوا تعلمه ومن ذلك ما يلي:

روى ابن المنذر عن مجاهد أنه كان لا يرى بأساً بأن يتعلم الرجل منازل القمر [(١)].

قال ابن رجب ــ رحمه الله تعالى ــ: (وكان النخعي لا يرى بأساً أن يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به، ورخص أحمد وإسحاق في تعلم منازل القمر ومن النجوم ما يُهْتَدَى به) [(٢)].

وقال البغوي ــ رحمه الله تعالى ــ مبيناً جواز هذا القسم وأنه لا محظور فيه: (فأما ما يدرك بطريق المشاهدة من علم النجوم الذي يعرف به الزوال وجهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهي عنه. قال تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾ [(٣)].

وقال جل ذكره: ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾ [(٤)].

= ٣٤/٣، والسمعاني في الأنساب ١١/١، وضعفه الألباني. انظر ضعيف الجامع (ح ٢٤٥٦).

(١) أخرجه الخطيب في حكم الاشتغال بالنجوم، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٢٩/٣.

(٢) فضل علم السلف على علم الخلف (٥٨- ٥٩)، وأخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم ٤٩/٢.

(٣) الأنعام (٩٦).

(٤) النحل (١٦).

فأخبر ـــ سبحانه وتعالى ـــ أن النجوم طرق لمعرفة الأوقات والمسالك ولولاها لم يهتد النائي عن الكعبة إلى استقبالها.

وروى عن عمر ـــ رضي الله عنه ـــ أنه قال: «تعلموا من النجوم ما تعرفون به القبلة والطريق ثم أمسكوا» [(١)] [(٢)].

قال الخطابي ـــ رحمه الله تعالى ـــ : (فأما علم النجوم الذي يدرك عن طريق المشاهدة والحس كالذي يعرف به الزوال ويعلم به جهة القبلة؛ فإنه غير داخل فيما نهى عنه.

وذلك: أن معرفة رصد الظل ليس شيئاً بأكثر من أن الظل ما دام متناقصاً؛ فالشمس بعد صاعدة نحو وسط السماء من الأفق الشرقي. وإذا أخذ في الزيادة فالشمس هابطة من وسط السماء نحو الأفق الغربي.

وهذا علم صحيح يصح دركه من جهة المشاهدة؛ إلا أن أهل هذه الصناعة قد دبروه بما اتخذوا له من الآلة التي يستغني الناظر فيها عن مراعاة مدته ومراصده.

وأما ما يستدل به من جهة النجوم على القبلة: فإنما هي كواكب أرصدها أهل الخبرة بها من الأئمة الذين لا نشك في عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها، وصدقهم فيما أخبروا عنها؛ مثل أن يشاهدوها بحضرة الكعبة، ويشاهدوها في حالة الغيبة عنها، فكان إدراكهم: الدلالة عنها

---

(١) تقدم تخريجه انظر ص ٤٠١.

(٢) شرح السنة للبغوي ١٨٣/١٢.

بالمعاينة. وإدراكنا لذلك بقبولنا لخبرهم إذا كانوا غير متهمين في دينهم؛ ولا مقصرين في معرفتهم) [١].

وقال ابن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ: (والمأذون في تعلمه على التيسير لا علم التأثير فإنه محرم باطل والعمل به كالتقرب إلى النجوم وتقرب القرابين لها فهذا كفر.

أما علم التسيير فإذا تعلم منه ما يحتاج إليه للاهتداء إلى معرفة القبلة والطرق كان جائزاً عند الجمهور، وما زاد عليه فلا حاجة إليه، وهو يشغل عمَّا هو أهم منه. وربما أدى التدقيق فيه إلى إساءة الظن بمحاريب المسلمين في أمصارهم، كما وقع ذلك كثيراً من أهل هذا العلم قديماً وحديثاً، وذلك يفضي إلى اعتقاد خطأ الصحابة والتابعين في صلاتهم في كثير من الأمصار وهو باطل) [٢].

وقال الشيخ سليمان بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ وهو الصحيح إن شاء الله ويدل على ذلك الآيات والأحاديث المتقدمة [٣].

الكسوف والخسوف:

وأما علم الكسوف والخسوف فأمر ممكن؛ لأن لهما أوقات مقدرة، فالشمس لا تنكسف إلا في وقت الاستسرار والقمر لا ينخسف إلا في

---

(١) معالم السنن مع مختصر سنن أبي داود ٣٧٢/٥.

(٢) فضل علم السلف على علم الخلف ٦٤-٦٦.

(٣) تيسير العزيز الحميد ٣٩٤.

وقت الإبدار، ووقت إبداره هي الليالي البيض، ووقت استسراره عند غياب القمر ليلة تسع وعشرين وثلاثين، والشمس لا تكسف إلا وقت استسرار القمر، وللشمس والقمر ليالي معتادة من عرفها عرف الكسوف والخسوف. كما أن من عَلِمَ كم مضى من الشهر يَعْلَمُ أن الهلال يطلع في الليلة الفلانية أو التي قبلها. لكن العلم بالعادة في الهلال علم عام يشترك فيه جميع الناس. أما العلم بالعادة في الكسوف والخسوف فإنما يعرفه من يعرف حساب جزئياتها، وليس خبر الحاسب بذلك من باب علم الغيب؛ بل هو من طريق معرفة الحساب فقط لا غير[1].

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ رحمه الله تعالى ـــ عن حكم تصديق من يخبر بالكسوف والخسوف فقال: (هو من قبل خبر بني إسرائيل لا يجوز تصديقه إلا أن يعلم صدقه، ولا يكذب إلا أن يعلم كذبه، كما قال صلى الله عليه وسلم: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم، فإما أن يحدثونكم بحق فتكذبوهم وإما أن يحدثونكم بباطل فتصدقوهم» [2].

لكن إذا تواطأ خبر أهل الحساب على ذلك فلا يكادون يخطئون

---

(١) انظر الفتاوى لابن تيمية ٢٤/٢٥٥-٢٥٦.

(٢) رواه أحمد عن أبي نملة الأنصاري ولفظه: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وملائكته ورسله فإن كان حقاً لم تكذبوهم وإن كان باطلا لم تصدقوهم» ٤/١٣٦، ولفظ أبي داود قريب منه (ح ٣٤٩٧) وأصله في البخاري عن أبي هريرة (ح ٧٥٤٢).

ومع هذا فلا يترتب على خبرهم علم شرعي، فإن صلاة الكسوف والخسوف لا تصلى إلا إذا شاهدنا ذلك...) [(١)].

وسئل الشيخ محمد بن إبراهيم ــ رحمه الله تعالى ــ عن الذين يعلنون بكسوف الشمس وخسوف القمر فقال: (هم مخطئون في إعلانهم وجزمهم بذلك في الوقت الذي عينوه، وإن كان ذلك يدرك بالحساب. لأن له أسباباً معلومة عند علماء الهيئة؛ إلا أن الحَسَّاب يخطيء ويصيب، وفرق بين من يُعلِنُ ذلك ويجزم به وبين من يخبر عن أهل الحساب أنهم يقولون ذلك، ولا سيما إذا لم يُخْبِر به العوام وإنما يخبر به الخواص. وقد أنكر المشايخ من أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب على من جزم بالكسوف أو الخسوف وتوضأ وركب دابته إلى المسجد لجزمه بذلك وإفشائه للكسوف والخسوف بين الناس) [(٢)].

وليس خبر المنجم على الكسوف والخسوف كخبره عن الحوادث الأخرى، كما يظن بعض العامة، فإذا رأى المنجم قد أصاب في خبره عن الكسوف المستقبل ظن أن خبره عن الحوادث الأخرى من قبيل هذا النوع، فإن هذا جهل. لأن خبره الأول بمنـــزلة إخباره بأن الشمس تغرب آخر النهار، وأن الهلال يطلع إما ليلة الثلاثين أو إحدى وثلاثين،

---

(١) الفتاوى ٢٥٨/٢٤.

(٢) فتاوى ورسائل الشيخ ابن إبراهيم رحمه الله تعالى ١٦٩/١-١٧٠.

فمن عرف منـــزلة الشمس والقمر ومجاريها عرف ذلك[١].

قال الخطيب البغدادي ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (وهذا علم لا ينفع الله به بوجه من الوجوه ولا يتسدل به على أمر من الأمور؛ وإنما الكسوف في شيء قدره الله تعالى بمسير الشمس والقمر؛ فيكون باجتماعهما أو تقابلهما، وليس على من لم يعلم الكسوف شيء يكون من عيب ولا نقص...) [٢].

فتبين من هذا أن العلم بالكسوف والخسوف أمر ممكن لكل من عرف الحساب ومنازل الشمس والقمر وليس من عرف ذلك يكون قد عرف شيئاً من الغيب والله تعالى أعلم.

(وللكسوف سبع فوائد:

الأولى: ظهور التصرف في الشمس والقمر وهما خلقان عظيمان.

الثانية: تغير شأن ما بعدهما بتغيرهما.

الثالثة: إزعاج القلوب الساكنة بالغفلة وإيقاظها .. وبهذه الحكمة صرح صلى الله عليه وسلم في قوله: «يخوِّف الله بهما عباده» [٣].

الرابعة: رؤية الناس أنموذجاً مما يقع في القيامة، قال الله تعالى:

---

(١) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٧٥/٣٥.

(٢) حكم الاشتغال بالنجوم ص ٧ مخطوط.

(٣) أخرجه البخاري (ح ١٠٤٨) ولفظه: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولكن الله يخوف بهما عباده».

﴿وخسف القمر * وجمع الشمس والقمر﴾ [(١)].

الخامسة: التنبيه من خوف المكر ورجاء العفو فإنهما يكسفان في حال كمالهما ثم يلطف بهما بعودهما إلى حالهما.

السادسة: الإعلام بأنه قد يؤخذ بالذنب من لا ذنب له ليحذر المذنب.

السابعة: الإقبال على الله بالصلاة وفعلها بانزعاج وخوف[(٢)] والله تعالى أعلم.

---

(١) القيامة ٧-٨.

(٢) انظر العدة شرح العمدة ١٧٩/٢.

الفصل الثاني

علم الغيب عند الصوفية

الفصل الثاني: علم الغيب عند الصوفية

انتشرت طوائف الصوفية[١] في العالم بأسماء مختلفة ورايات متعددة، ولكل منها طريقة ومنهجاً لا يقل عن الباقي انحرافاً وفساداً، سواء في السلوك أو الاعتقاد.

والذي يعنينا في هذا الفصل هو عرض موقفهم من علم الغيب ومدى ادعائهم له أو تبرئهم منه.

وبالنظر إلى كتبهم نجد أنهم ينصون فيها على أن أولياءهم يعلمون الغيب، وأنه لا يخفى عليهم شيء من أحوال العالم أجمع. بل إنهم جعلوا علم الغيب شرطاً في الولاية، فمن لم ينله شيء من ذلك فلا يعد من العارفين، بل إنهم يعتبرون ذلك نقصاً في ولايته وقدحاً في مرتبته.

وهذا أصل من أصول غالب الصوفية إن لم نقل أجمعها، فلا تكاد تخلوا طريقة من الطرق الصوفية من هذا المعتقد على كثرتها وانتشارها. بل إنه لا يكاد يخلو كتاب من كتب طبقاتهم وكراماتهم عن ذكر شيء من ذلك. وإنك لتجد في بعض كتبهم الشيء العجيب من ذلك، فقد تجاوزوا

---

(١) أعني بالصوفية هنا الصوفية المتأخرة التي انحرفت عن منهج الصالحين منهم ـــ كابن عربي والحلاج وغيرهما من الذين ظهرت لهم شطحات كفرية كالقول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود. ومعلوم أن غالب طرق الصوفية المتأخرة كالشاذلية والتيجانية والنقشبندية وغيرها ممن يقولون بقولهما أو ببعضه، قد ابتدعوا في الدين ما لم ينـــزل به الله من سلطان.

الحد حتى إنهم نازعوا الله في صفات الربوبية فزعموا أن باستطاعة الولي أن يثبت ويمحو ما يشاء فيجعل الشقي سعيداً والسعيد شقياً، والغني فقيراً والعكس.

كما أنهم زعموا أيضاً أن أولياءهم يعلمون بما في الصدور كما سيأتي بمشيئة الله تعالى ذكره.

كيف تتم معرفة الغيب عند الصوفية:

لا يكاد يخلو كتاب من كتب الصوفية من ذكر الكشف وعلم الغيب وما جرى للأولياء من ذلك.

وفيما يلي نماذج من أقوالهم:

قال الحلاج: إذا تخلص العبد إلى مقام المعرفة أوحى الله إليه بخواطره، وحرس سره أن يسبح فيه غير خاطر الحق) [١].

وكان يقول: (من أسكرته أنوار التوحيد حجبته عن عبارة التجريد، بل من أسكرته أنوار التجريد نطق عن حقائق التوحيد؛ لأن السكران هو الذي ينطق بكل مكنون) [٢].

ومما ينسب إلى الرفاعي[٣]: قوله:

---

(١) الطبقات الكبرى ١/١٠٨.

(٢) الطبقات الكبرى ١/٤٣، الفجر المنير ٢٠، قلادة الجواهر ١٤٧.

(٣) هو الإمام العابد الزاهد أبو العباس أحمد بن أبي الحسين علي بن يحيى الرفاعي المغربي ثم البطائحي، قدم أبوه من المغرب وسكن في البطائح ــ قرية بين واسط والبصرة في العراق ــ تزوج بأخت منصور الزاهد ورزق منها بأحمد وإخوته. كان =

(إذا أراد الله أن يتخذ ولياً أنعم عليه بأربع:

الكفاية، والحماية، والرعاية، والهداية. فإذا تحققت هذه الأربع أكرمه الله بأربع أيضاً:

يقرأ ما على الجباه ويصافح الملائكة ويصافحونه، ويكلم الموتى ويكلمونه، ويدخل القبور فيعرف المنعم من المعذب) [١].

وينسب عنه أيضاً قوله: (لا تستقر نطفة في رحم أنثى إلا ينظر الولي إليها ويعلم بها، فاعترض عليه خادمه يعقوب بقوله يا سيدي هذه صفات الرب جل وعلا. فقال الشيخ: يا يعقوب استغفر الله تعالى فإن الله إذا أحب عبداً صرفه في جميع مملكته وأطلعه على ما شاء من علم الغيب وإذا كان الحق تعالى مع عبده كما يريد صار كأنه صفة من صفاته) [٢].

وينسب إليه أيضاً قوله: (.... والولي إذا أصلح سره مع الله تعالى كلفه ما بين السماء والأرض ثم لا يزال يرتقي من سماء إلى سماء حتى

= زاهدا ورعاً معرضاً عن الدنيا وزينتها كثير الاستغفار. انظر السير ٧٧/٢١، (ولد رحمه الله سنة ٥٠٠هـ وتفقه قليلا على مذهب الشافعي كان إليه المنتهى في التواضع والقناعة والانكسار والإزراء على نفسه، وسلامة الباطن، ولكن أصحابه فيهم الجيد والرديء وقد كثر الزغل فيهم وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التتار العراق من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحياة، وهذا لا يعرفه الشيخ ولا صلحاء أصحابه فنعوذ بالله من الشيطان) العبر ٢٣٣/٤.

(١) قلادة الجواهر ٧٦١، الفجر المنير ٥١.

(٢) قلادة الجواهر ٦٨، لطائف المنن والأخلاق ٤٧٠، ٤٧١.

يصل إلى محل الغوث، ثم ترتفع صفته إلى أن يصير صفة من صفات الحق فيطلعه الله تعالى بكلام لا تسعه عقول الخلائق)[١].

سبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً، أي شيء يبقى لله بعد هذا؟

ويقول الصيادي ـــ الرفاعي طريقة ـــ عن نفسه: (أقامني الله تعالى في هذه المنـــزلة إماماً واختارني لرتبة هذه الخصوصية ختاماً، وكشف لي مخبآت الغيب باطلاع من كرمه...)[٢].

ويصف أبو حامد الغزالي[٣] كيفية تلقي القلب علم ما في اللوح المحفوظ فيقول: (وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لأن تتجلى فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها، وإنما حيل بينه وبينها بالأسباب الخمسة التي سبق ذكرها[٤] فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح

---

(١) الطبقات الكبرى ١/١٠٨.

(٢) الدرة البيضاء ضمن المجموعة النادرة ٣٧.

(٣) الجدير بالذكر أن الغزالي ـــ رحمه الله تعالى ـــ رجع عن التصوف في آخر عمره كما ذكر ذلك في رسالة التي سماها المنقذ من الضلال. كما أنه رجع قبل ذلك عن علم الكلام وذمه وذم تعلمه في رسالته إلجام العوام عن علم الكلام. والله تعالى أعلم.

(٤) الأسباب الخمسة التي أشار إليها ذكرها قبل هذا الكلام وهي ١- نقصان في ذات القلب كقلب الصبي. ٢- تكدر القلب بالمعاصي والشهوات. ٣- انصراف القلب عن التأمل في حضرة الربوبية. ٤- وجود عقائد تكون سبباً فيحجب القلب عن =

المحفوظ، الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به إلى يوم القيامة، وتجلى حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب، يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآة تقابلها، والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه، وكذلك تهب رياح الألطاف وتنكشف الحجب عن أعين القلوب فيتجلى فيها بعض ما هو مستور في اللوح المحفوظ، ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل. وتمام ارتفاع الحجاب بالموت، فيه ينكشف الغطاء، وينكشف أيضا في اليقظة؛ حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى؛ فيلمع في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم؛ تارة كالبرق الخاطف وأخرى على التوالي إلى حد ما، ودوامه في غاية الندور...) [١].

ويضيف معللا عزوف الصوفية من دراسة العلوم وتحصيل ما صنفه العلماء بقولهم: إن (الطريق هو تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلائق كلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، ومتى حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم، وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة، وأشرق النور في القلب وانشرح الصدر، وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب العزة بلطف الرحمة، وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية، فليس على العبد إلا

= التعلق بالله. ٥- الجهل بالجهة التي يحصل بها المطلوب. انظر الإحياء ٣/١٢، ١٣.

(١) الإحياء ٣/١٨.

الاستعداد بالتصفية المجردة وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة. فالأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب؛ بل بالزهد في الدنيا والتبري من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها...) [(١)].

فنرى في هذه المقولة كيف يقرر الغزالي ــ رحمه الله تعالى ــ أن الأولياء بمقدورهم الاطلاع على الغيب. فما على الإنسان إلا تصفية قلبه من الذنوب وشواغل الدنيا؛ وبعد ذلك يتشرف بالنظر في اللوح المحفوظ أو بالتلقي عن الله تعالى مباشرة.

ثم أخذ يدلل بعد ذلك على إمكان اطلاع القلب على ما في اللوح المحفوظ ويضرب لذلك مثالا يقول فيه: (القلب قد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته تارة بالحواس وتارة من اللوح المحفوظ، كما أن العين يتصور أن يحصل فيها صورة الشمس تارة من النظر إليها؛ وتارة من النظر إلى الماء الذي يقابل الشمس ويحكي صورتها «فمتى» [(٢)] ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ رأى الأشياء فيه وتفجر إليه العلم منه؛ فاستغنى عن الاقتباس من داخل الحواس فيكون ذلك كتفجر الماء من عمق الأرض [ومتى] أقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات، كان ذلك

---

(١) نفس المصدر ٣/١٨.

(٢) في الأصل: فمهما ولعل الصحيح: فمتى.

حجاباً له عن مطالعة اللوح المحفوظ، كما أن الماء إذا اجتمع في الأنهار منع من ذلك التفجر في الأرض، وكما أن من نظر إلى الماء الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظراً إلى نفس الشمس) [١].

هذا إذا كان اعتقادهم في الأولياء فكيف بالأنبياء. إنهم يعتقدون أن الأنبياء يعلمون الغيب بل ويشاهدون كل ما كان وما يكون.

يقول البريلوي أحمد رضا:

(إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يعلمون بل ويشاهدون جميع ما كان وما يكون من أول يوم إلى آخره) [٢].

ويقول الآخر: (إن الأنبياء يعلمون الغيب منذ ولادهم) [٣].

هذا بالنسبة للأنبياء عموماً، أما بالنسبة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيعتقدون أنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، بل إنهم رفعوه فوق منـــزلته حتى وصفوه بصفات رب العالمين.

يقول البوصيري[٤] مخاطباً النبي صلى الله عليه وسلم:

فإن من جودك الدنيا وضرهما ومن علومك علم اللوح والقلم.

ويقول أحمد رضا البريلوي:

---

(١) الإحياء ٣/٢٠.

(٢) الدولة المكية بالمادة الغيبية ٥٨ نقلا عن البريلوية عقائد وتاريخ ٧٦.

(٣) مواعظ نعيمية ١٩٢، نقلا عن البريلوية عقائد وتاريخ ٨٧.

(٤) انظر البردة ضمن مجموعة المتون ص ١٠.

(إن علم اللوح وعلم ما كان وما يكون جزء واحد من علوم النبي صلى الله عليه وسلم) [١] وأنه (عليم بجميع الأشياء من سنوات الإلهية، وأحكام صفات الحق والأسماء والأفعال والآثار وأحاط بجميع العلوم الظاهرة والباطنة والأولى والآخرة) [٢].

وقال آخر:

(لم يحجب عن روح النبي صلى الله عليه وسلم شيء من العالم، فهو مطلع على عرشه وعلوه وسفله ودنياه وآخرته، وناره وجنته؛ لأن جميع ذلك خلق لأجله صلى الله عليه وسلم) [٣].

وزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم كل شيء بما في ذلك الأمور الخمسة التي اختص الله ـ سبحانه وتعالى ـ بها وحده دون من سواه، مخالفين بذلك النصوص الصريحة من الكتاب والسنة والتي قد ذكرت بعضاً منها فيما سبق[٤].

وقال أحمد رضا:

(لم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بعد أن أعلمه الله تعالى بهذه الغيوب الخمس). فقد أوتيها في آخر الأمر ولكنه أمر فيها

---

(١) الدولة المكية ٣٨، نقلا عن البريلوية ٨٧.

(٢) المصدر السابق ٢١٠، نقلا عن البريلوية عقائد وتاريخ ٨٧.

(٣) الكلمة العليا لأعلام علم المصطفى ١٤ نقلا عن البريلوية.

(٤) تقدم في الفصل الأول من الباب الأول.

بالكتمان)[١].

ولم يكتفوا بذلك بل زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم يعطي علم تلك الغيوب لمن يشاء من خدمه.

قال البريلوي:

(إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم هذه الغيوب فحسب؛ بل كان يعطي العلوم من يشاء من خدمه) [٢].

فالأقطاب يعلمون الأمور الخمسة هذا فضلا عن الغوث.

قال البريلوي:

(إن النبي صلى الله عليه وسلم لا يخفى عليه شيء من الخمس المذكورة في الآية الشريفة وكيف يخفى عليه ذلك والأقطاب السبعة من أمته الشريفة يعلمونها وهم دون الغوث؟ فكيف بسيد المرسلين والآخرين والذي هو سبب كل شيء) [٣].

وأقوال الصوفية واعتقاداتهم في ذلك أكثر من أن تذكر وما هذا إلا فيض من غيض نسأل الله العافية والسلامة.

ومما يؤكد أن علم الأولياء بالغيب أصل من أصول الصوفية ما قرره الغزالي ــ رحمه الله تعالى ــ من أن حصول الكشف ــ الذي هو أعم

(١) الدولة المكية بالمادة الغيبية ٥٦، ١٤٤ نقلا عن البريلوية ٩٠.

(٢) خالص الاعتقاد ١٤.

(٣) المصدر السابق ٥٣، ٥٤.

من الغيب ـ للأولياء أمر لا جدال فيه حيث يقول: (اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفاً بصحة الطريق ومن لم يدرك نفسه قط فينبغي أن يؤمن به فإن درجة المعرفة عزيزة جداً، ويشهد لذلك الشرع والتجارب والحكايات) [١]؟!.

ثم أخذ يذكر بعض الآيات والأحاديث التي لا تصح له دليلا، فمن هذه الآيات ما يلي[٢]:

قوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ [٣].

قال الغزالي: فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام.

وقوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا﴾ قال الغزالي: أي: من الإشكالات والشبه ـ ﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [٤]. قال: يعلمه علماً من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة.

أما الأحاديث التي استدل بها فمنها ما يلي:

١ ـ (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) [٥].

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/٢٢.

(٢) وسيأتي الرد على هذه الاستدلالات قريبا، انظر ص ٤٤٠.

(٣) العنكبوت (٦٩).

(٤) الطلاق (٣).

(٥) تقدم تخريجه انظر الفراسة ص ١٥٣.

٢ـ (إن من أمتي محدثين ومعلمين ومكلمين وإن عمر منهم) (١).

وقرأ ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث﴾ (٢). يعني الصديقين، والمحدث هو الملهم، والملهم هو الذي انكشف له في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة.

والقرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف وذلك علم من غير تعلم) (٣).

ثم قال: أما التجارب: فقول أبي بكر لعائشة ـ رضي الله عنهما ـ عند موته (إنما هما أخواك وأختاك وكانت زوجته حاملا فولدت بنتاً فكان قد عرف قبل الولادة أنها بنت) (٤).

وقول عمر ـ رضي الله عنه ـ: (يا سارية الجبل الجبل، إذ انكشف له أن العدو قد أشرف عليه فحذره لمعرفة ذلك ثم بلوغ صوته

---

(١) تقدم تخريجه انظر ص ١٩٥.

(٢) والجواب عنه انظر ص ٤٥٤.

(٣) ليس هناك علم بغير تعلم البتة إلا عن طريق الوحي للأنبياء، وقد انقطع بموت المصطفى صلى الله عليه وسلم؛ إلا اللهم الوحي الذي من الشياطين، وهذا باق إلى ما شاء الله. أما الكتاب الكريم فلا يمكن معرفة ما فيه من العلوم إلا عن طريق التعلم الحسي لا الادعاء الباطني.

(٤) رواه الإمام مالك في الموطأ برواية محمد بن الحسن الشيباني ص ٢٨٥، في باب النحلة، وسنده صحيح.

إليه...) [١].

وقصة أنس مع عثمان ـــ رضي الله عنهما ـــ وقد تقدمت[٢].

واستطرد في ذكر حكايات عن بعض المشايخ إلى أن قال:

(وما حكي من تفرس المشايخ وإخبارهم عن اعتقادات الناس وضمائرهم يخرج عن الحصر، بل ما حكي عنهم من مشاهدة الخضر ـــ عليه السلام ـــ والسؤال منه ومن سماع صوت الهاتف، ومن فنون الكرامات خارج عن الحصر، والحكاية لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه، ومن أنكر الأصل أنكر التفصيل.

والدليل القاطع الذي لا يقدر أحد على جحده أمران:

١ـــ عجائب الرؤيا الصادقة فإنه ينكشف بها الغيب، فإذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل في اليقظة...!

٢ـــ إخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيب وأمور المستقبل كما اشتمل عليه القرآن وإذا جاز ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم جاز لغيره، إذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الأمور وشغل بإصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشتغل بإصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبياً بل ولياً) [٣] [٤].

---

(١) انظر ص ٤٥٨.

(٢) انظر ص ١٦٦ وصـــ ٤٦٢.

(٣) الإحياء ٢٢/٣، ٢٣، ٢٤.

(٤) هذا القياس فاسد وسيأتي الرد على هذه الشبه بعد قليل إن شاء الله تعالى.

فالغزالي يرى أن ما جاز للأنبياء جاز للأولياء، وهذا تقرير خطير قد يهلك صاحبه؛ إذ الأنبياء قد خصهم الله عز وجل بأمور لا يصل إليها أحد من البشر لأنها لا تحصل بالاجتهاد كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وقد ورثت الفرق الصوفية هذه العقيدة جيلا عن جيل حتى أصبحت تعتقد في زعمائها أنهم يعلمون الغيب.

قال محمد الأمين الكردي في ترجمة الشيخ الراميتني ما نصه:

(... وهو علم ما أرفعه ومنهل فضل ما أنفعه، فتح من كنوز القلوب أقفالها وأوضح من سنن الغيوب أغفالها، كم جبر بكسر شهوات النفوس أحوالها ومحا عنها بما أوحي لها أوحالها...) [1].

وقال في ترجمة الشيخ محمد السماسي: (...عالم الأولياء وولي العلماء تفرد في علمي الظاهر والباطن، وعمت بركته كل المواطن، طالما أثار بهمته من المعارف كل كامن، كيف لا؟ وهو خلاصة خاصة القرن الثامن وفي الإسراء بأسرار الغيوب إلى الحرم الأقصى من القلوب آية لا ينتهي إلى أحد عن هداها) [2].

وقال عن الشيخ سيد أمير بحلال: (.. وسدرة منتهى ما يشتهى من المقامات.. وصاحب أذيال الفيوضات والأمداد، كفيء مخدرات الأسرار

---

(١) المواهب السرمدية ٩٦.

(٢) المصدر السابق ٩٦.

الغيبية، والمربي بأنفاسه الزكية أوابد النفوس الأبية..) [١].

وقال عن يعقوب الجرخي (.. وسلك في طريق القوم أقوم طريقة وورث علوم الغيوب كما ورث النبوة يعقوب..) [٢].

ونجد أن الصوفية قد تمادوا في الغلو في الأولياء إلى درجة أنهم جعلوا لأوليائهم علم ما في الكون أجمع، فيعلمون ما في السماوات وما في الأرض وما يدور فيهما.

ويقول محمد الأمين الكردي في ترجمة عثمان الكردي الراقي ما نصه: (.. وأخذت يد العناية الإلهية بيمين الهمة الخالدية تحرق له حجب الظلمات، وتكشف له عن ملكوت الأرض والسماوات، حتى لقد سمعت عن بعض الثقات الذين تشرفوا بصحبته، وكان من السابقين لخدمة سدته قال: سمعت الشيخ يقول: كنت وأنا مشتغل بالنفي والإثبات؛ ينكشف لي مما تحت الثرى إلى ما فوق العرش الأعلى عند النطق بكلمة لا، فأنظر إليه بنظر الفناء، وأجعله داخلا تحت النفي، ولا تسأل عمَّا يتجلى عند الإثبات. ولم يثنني شيء عن طلبه عز وجل) [٣]!!.

ويقول الدهلوي في شرحه لأصول الطريقة النقشبندية: (.. وللنقشبندية تصرفات عجيبة من جمع الهمة على مراد؛ فيكون وفق

---

(١) المواهب السرمدية ١٠٥.

(٢) المواهب السرمدية ١٥١.

(٣) المصدر السابق ٢٨٣.

الهمة... والتصرف في قلوب الناس والإشراف على خواطر الناس «وما يختلج في الصدور» وكشف الوقائع المستقبلية..) [١].

هذه بعض أقوال الصوفية في نسبتهم علم الغيب إلى علمائهم ولا يكاد يحصر كلامهم في ذلك[٢].

ولا غرابة فيما زعموه ونسبوه لأنفسهم إذا عرفنا أن من أصولهم أن الكشف يطغى على النبوة فيكون أقوى منها اتصالا بالملأ الأعلى؛ لأنه حين ذاك يكون بلا واسطة بخلاف الأنبياء فهم يأخذون علمهم بواسطة[٣].

موقف الصوفية من نصوص الغيب:

ولما كان ادعاء علم الغيب يتعارض مع النصوص الشرعية فإن أتباع الفرق الصوفية يحاولون تأويل الأدلة بما يدفع التعارض كما ورد عن ابن عطاء الله السكندري في ذلك حيث يقول:

(اعلم أن اطلاع أولياء الله على بعض الغيوب لا يحيله العقل وقد ورد به النقل). ثم استدل بقصة أبي بكر مع عائشة ـــ رضي الله

---

(١) شفاء العليل ترجمة القول الجميل ١٠٤.

(٢) إذا أردت الاستزادة فراجع كتاب: شفاء العليل والمواهب السرمدية، والأنوار القدسية، وجامع كرامات الأولياء، ففيها ما تقشعر من ذكره الأبدان ويضحك منه الصبيان.

(٣) انظر الإحياء ١٧/٣.

عنهما ــ[1] وقصة عمر مع سارية ــ رضي الله عنهما ــ [2] وقصة عثمان مع أنس بن مالك ــ رضي الله عنهما ــ[3] وقول علي ــ رضي الله عنه ــ حينما بلغه قول القائل «المرجف» مات معاوية ــ رضي الله عنه ــ قال: «والله ما مات ولن يموت حتى يملك ما تحت قدمي هاتين وإنما أراد ابن هند أن يستثير علمي فيه» قال السكندري: فمن يومئذ كاتب أهل الكوفة معاوية وعلموا أن الأمر صائر إليه).

ثم قال: (وحكايات الأولياء في كل عصر ومصر تتضمن ثبوت ذلك بما بلغ حد التواتر فلا يمكن جحده..

واعلم أن اطلاع العبد المخصوص على غيب من غيوب الله ليس بجثمانيته ولا وجود صورته، وإنما بنور الحق فيه. دليل ذلك:

قوله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا فراسة المؤمن» [4].

فكيف يستغرب أن يطلع مؤمن على غيب من غيوب الله بعد أن شهد الرسول صلى الله عليه وسلم أنه إنما ينظر بنور ربه لا بوجود نفسه؟

وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: «..فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به فبي يسمع ..» الحديث[5].

---

(١) تقدمت انظر ص ٤٢١.

(٢) انظر ص ٤٥٨.

(٣) سيأتي تخريجه والرد على الاستدلال به.

(٤) تقدم تخريجه انظر ص ١٥٣.

(٥) تقدم في الإلهام انظر ص ١٦٣.

فمن كان الحق بصره فليس الاطلاع على الغيب بمستغرب فيه، ففي بعض طرق هذا الحديث: «كنت له سمعاً وبصراً وقلباً وعقلاً ويداً ومؤيداً».

ثم أورد قوله تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾ الآية[١] وأجاب عن استثناء الرسول فقط دون الولي بقوله: (اعلم أني سمعت شيخنا أبا العباس.. يقول وفي معناه صديق أو ولي، فإن قلت هذا زيادة على ما تضمنه الكتاب العزيز، فاعلم أنه إذا قيل إن السلطان لم يأذن اليوم إلا للوزير وحده ربما دخل مماليك الوزير وكان الإذن لمتبوعهم إذن لهم، كذلك الولي إذا أطلعه الله بصدق المتابعة فما رأى ذلك بنفسه وإنما رآه بنور متبوعه.

(وأيضاً أن سبب اطلاع الله لغيب من غيوبه لرسله؛ لكونه رضي عنهم. واكتفى بذكر الرسول ولم يذكر النبي ولا الصديق ولا الولي وإن كان كل منهم ممن ارتضى؛ لأن الرسول أولى بذلك مما سواه، ثم إن قُدْرة الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ هي التي أظهرت هذه الكرامات في الولي)[٢].

ثم قال: (اعلم أن الذي أعطاه الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ لأوليائه من الإيمان واليقين مما أنت مصدق به ومثبت له أعظم مما استغربته وأنكرته من اطلاع على غيب أو طير في الهواء أو مشي على الماء، فمثلك مثل من

(١) الجن ٢٧-٢٨.

(٢) هذا المقطع بتصرف.

أعطاه الملك سفطاً مملوءاً ياقوتاً كل ياقوتة تساوي ألف دينار، ثم أعطاه مائة دينار فاستغربت أنت ذلك؛ فهل يستصوب استغرابك هذا ذو فهم ولب؟.

فالإيمان وما يتبعه ويتظمنه أعظم من اطلاع على الغيب، بل إن الاطلاع على الغيب ناتج من نتائج الإيمان وأثره من آثاره)[١].

فهذه بعض التأويلات والتعليلات الغريبة والمتهافتة التي أوردها ابن عطاء الله السكندري والتي سأخصص للرد عليها بمشيئة الله تعالى مبحثاً خاصاً بها في نهاية هذل الفصل[٢].

صور من ادعاء الصوفية للغيب:

بعد أن ذكرت أقوال الصوفية التي يزعمون فيها أن أولياءهم وشيوخهم يعلمون الغيب أورد هنا نماذج من تلك الادعاءات مما ادعاها المشايخ أو نسبت إليهم في مجالات متعددة:

١ـ ولي يصعد إلى السماء كل يوم فيمحو ويثبت ما يشاء:

ذكر الصيادي عن الرفاعي قوله: (أيها الفقراء: الشيخ عثمان السالم أبادي ـ قدس الله سره ـ يصعد كل يوم عند غروب الشمس إلى ديوان الربوبية وينظر ديوان ذريته فما يجد من سيئة يمحها ويكتب «عوضها» بلا معاوضة، ثم التفت إلى ابن أخته ـ إبراهيم الأعزب ـ وقال: يا إبراهيم

(١) لطائف المنن ١٢٤، ١٣٠.

(٢) انظر ص ٤٦٨.

لا يكون الرجل ممكناً من سائر أحواله حتى يعرض عليه عند غروب الشمس جميع أعمال أصحابه وأتباعه وتلاميذه فيمحو منها ما يشاء ويثبت منها ما يشاء) [١].

وكان يقول: (كل شيخ لا يغير صفات تلميذه ويكتب الشقي سعيداً فما هو عندي برجل) [٢].

٢ــ ولي يعلم الغيوب المستقبلية والماضية:

قال أبو العباس المرسي: (.. والله وبالله الذي لا إله إلا هو ما من ولي كائن أو هو كائن إلا قد أطلعني الله على اسمه ونسبه وكم حظه من الله) [٣].

وقال في شاب: (لن يموت هذا الشاب حتى يكون داعياً يدعو إلى الله فكان كذلك) [٤].

وقال النبهاني في ترجمة إبراهيم الخواص: (جاءته امرأة فشكت تغيراً وحدة في قلبها وحالها، فقال: عليك بالتفقد. فقالت: تفقدت فما رأيت شيئاً، قال أتذكرين ليلة المشعل؟ فهذا التغير منه، فبكت وقالت نعم كنت أغزل فمر مشعل السلطان فغزلت فيه خيطاً ونسجت من الغزل قميصاً

---

(١) قلادة الجواهر ١٩٣.

(٢) قلادة الجواهر ٩٤.

(٣) لطائف المنن ١٦٨.

(٤) لطائف المنن ١٩٢.

فلبسته. ثم إنها نزعته فتصدقت به فعاد صفاء قلبها)[١].

ترى من أين علم ذلك؟ أهو عن طريق الوحي؟ فلا وحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. أم هو إلهام؟ فإذا كان كذلك فهل هو من الرحمن أم الشيطان؟!

وقال البريلوي: (إن أبا المجد يقول: كنت عند الشيخ مكارم ــ رضي الله تعالى عنه ــ بداره على نهر الخالص فخطر في نفسي لو رأيت شيئاً من كراماته فالتفت إلي مبتسماً وقال: سيدخل علينا خمسة أنفار، أحدهم عجمي أبيض اللون أحمر، بخده الأيمن شامة، بقي من عمره تسعة أشهر، ثم يفترسه أسد في البطائح ومن ثم يبعثه الله تعالى.

والآخر عراقي أبيض اللون أشقر بعينه، برجله عرج يمرض عندنا شهراً ثم يموت.

والآخر مصري أسمر، في كفه الأيسر ست أصابع وبفخذه الأيسر طعنة رمح أصيب بها منذ ثلاثين سنة ويموت بأرض الهند تاجراً بعد عشرين سنة.

والآخر شامي آدمي اللون، شثن الأصابع، يموت بأرض الحريم على باب دارك بعد سبع سنين وثلاثة أشهر وسبعة أيام.

والآخر من أرض اليمن، أبيض اللون، وهو نصراني وتحت ثيابه زنار، خرج من بلاده منذ ثلاث سنين و لم يعلم به أحد ليمتحن المسلمين

---

(١) جامع كرامات الأولياء ١/١٩٢.

من يكشف منهم حاله). ثم أخذ يذكر ما ذا اشتهى كل واحد منهم من الطعام. ثم قال: (ستأتينا أرزاقهم وشهواقم رغداً من كل مكان والحمد لله رب العالمين.

قال أبو الحمد ـــ رحمه الله تعالى ـــ فوالله لم نلبث إلا يسيراً حتى دخلوا خمسة كما وصف الشيخ ـــ رضي الله عنه ـــ لم يخل من أوصافهم بشيء.. ثم جاء رجل ومعه تلك الأصناف التي اشتهوها فوضعها بين يدي الشيخ ـــ رضي الله عنه ـــ، فأمره فوضع بين يدي كل واحد منهم شهوته وقال لهم: كلوا ما اشتهيتم، فأغمي عليهم، فلما أفاقوا قال: اليمني للشيخ: ما وصف المطلع على أسرار الخلق؟ قال: أن يعلم أنك نصراني وتحت ثيابك زنار، فصرخ الرجل وقام إلى الشيخ وأسلم. فقال له: يا بني كل من رآك من المشايخ فقد عرف حالك ولكن عرفوا عن إسلامك على يدي فأمسكوا عن كلامك.

قال ولقد جرت الحال في وفاقم كما أخبر الشيخ ـــ رضي الله عنه ـــ في الوقت الذي ذكره والمكان الذي عيَّنه من غير تقديم ولا تأخير ومات العراقي عند الشيخ في الزاوية بعد أن مرض شهراً، وكنت ممن صلى عليه، ومات الشامي عندنا بالحريم على باب طريح ونودي له فخرجت فإذا هو صاحبنا الشامي، وبين موته وبين الوقت الذي اجتمعت به عند الشيخ ـــ رضي الله عنه ـــ سبع سنين وثلاثة وسبعة أيام رحمه الله تعالى، فانظر إلى هذا الذي هو خادم من خدم خدام رسول الله قد أخبر في نفس واحدة باثنين وسبعين غيباً فيها ما في الصدور وأمكنة الموت

وأزمنة الموت وأسباب الموت وما يكسب غداً إلى غير ذلك) [١].

سبحانك هذا بهتان عظيم. ما أجرأهم على الله سبحانه وتعالى.

٣ــ ولي يعلم بوقت وكيفية موته ومصيره بعد موته.

لقد خاض المتصوفة في جميع أنواع الغيب وتفننوا في تلفيق الحكايات والقصص وادعو أنها كرامات ليضللوا السذج من الناس حتى يجعلوا للولي هيبة بين أتباعه فلا يفعلون فعلا إلا بعد أن يأذن لهم الولي لأنه يعلم السر وأخفى ــ حسب زعمهم ــ .

دخل إبراهيم بن فاتك على الحلاج يوما في بيت له فدار بينهما حديث ومنه قول إبراهيم: (ثم قال لي: وكيف أنت يا إبراهيم حين تراني وقد صلبت وقتلت وأحرقت وذلك أسعد يوم من أيام عمري جميعه..) [٢].

قال محقق الكتاب تعليقاً على هذه المقولة: (هذا من كرامات الحلاج حيث عرف مصيره قبل حصوله) [٣].

قلت: هذا قول رجل معاصر مما يؤكد أن الأتباع يرثون عقائد متبوعيهم بدون تحقق ولا تثبت، بل يأخذونها على علاتها تعصباً وجهلا، لا سيما وقد قال الحلاج بعد صفحات من هذه المقولة مخاطباً العزيز

---

(١) الدولة المكية ١٦٢ وما بعدها، نقلا عن البريلوية ٩٤.

(٢) أخبار الحلاج ١٣.

(٣) نفس المصدر.

الجبار: (فلا فرق بيني وبينك إلا في الإلهية والربوبية..) [(١)] فإذا كان هذا حال الكتاب والمتعلمين فما بالك بالأتباع العوام.

وفي حكاية أخرى أن أبا الحسن المرسي قال لولد الشيخ أبي العباس يوماً وهو يلعب: (اطلع لا أطلعك الله، فسمعه الشيخ أبو العباس فنــزل وقال: يا أبا الحسن حَسِّن خُلُقَكَ مع الناس، بقي لك عام وتموت فمات إلى تمام العام) [(٢)].

أين هذا من قوله تبارك وتعالى: ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ [(٣)].

وأقوالهم في هذا لا تنتهي[(٤)].

٤ــ ولي يعلم بما في الصدور:

عن أبي سعيد الخزاز قال: (دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيراً عليه خرقتان فقلت في نفسي: هذا وأشباهه كَلٌّ على الناس، فناداني وقال: ﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروا﴾ [(٥)]فاستغفرت الله في سري، فناداني وقال: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ [(٦)] ثم غاب عني و لم أره) [(٧)].

---

(١) أخبار الحلاج ١٨.

(٢) لطائف المنن ١٨٧.

(٣) لقمان (٣٤).

(٤) انظر لطائف المنن ١٨٨، ١٨٩، الطبقات الكبرى ٢٠٣/١، قلادة الجواهر ٦٨ المواهب السرمدية ١٠٧.

(٥) البقرة ٢٣٥.

(٦) الشورى ٢٥.

(٧) الإحياء ٢٤/٣، وجامع كرامات الأولياء.

وقال زكريا بن داود: (دخل أبو العباس بن مسروق على أبي الفضل الهاشمي وهو عليل وكان ذا عيال ولم يعرف له سبب يعيش به، قال: فلما قمت قلت في نفسي: من أين يأكل هذا الرجل؟ فصاح بي أبو العباس رد هذه الهمة الدنية فإن لله ألطافاً خفية) (١).

ويروى عن إبراهيم بن سمعان أنه قال: رأيت الحلاج في جامع المنصور وكان في تكتي ديناران شددتهما لغير طاعة الله وسئل سائل. فقال الحسين: يا إبراهيم تصدق عليه بما شددت في تكتك فتحيرت فقال: لا تتحير التصدق بها خير مما نويت، فقلت يا شيخ هذه من أين فقال: كل قلب تخلي عن غير الله يرى في الغيب مكنونه وفي السر مضمومة..) (٢).

وذكر السكندري عن عبد العزيز المديولي قال: أتيت الشيخ فوجدته يأكل لحماً بِخَلٍّ فقلت في نفسي: ليت الشيخ يطعمني لقمة من يديه فما استتمت الخاطر إلا وقد دفع في فمي لقمة في يده) (٣).

رأى أحدهم حال الشيخ الرفاعي من الجوع والفقر فقال في نفسه؛ أولاد المشايخ يركبون الخيل ويلبسون الناعم والسيد أحمد لا يركب الخيل المليح ولا يشبع من الطعام، فعلم الشيخ فيما خطر في نفسه وقال له: يا ولي استغفر الله فيما خطر لك، فلو لم يجع سيدك ما شبع أحد من

---

(١) الإحياء ٣/٢٤، وذكر حكايات غيرها.

(٢) أخبار الحلاج ٤٠.

(٣) لطائف المنن ١٨٩.

المسلمين ولا ركب فرساً ولا حماراً)[١].

وذكر الشعراني عن أحمد الخزاز أنه قال في قوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآيات للمتوسمين﴾[٢]: (المتوسم وهو الذي يعرف الوسم وهو العارف بما في سويداء القلوب.. فَيُمَيِّز أولياء الله تعالى من أعدائه...)[٣].

والحكايات في هذا كثيرة متعددة أكثر من أن تذكر[٤].

وكثيراً ما يدعي الصوفية أنهم يعلمون بما في صدور المريدين؛ لكي يتمكنوا من إذلالهم وغرس عبوديتهم وخضوعهم لهم، بحيث لا يخرجون عما يريدون.

ولم يقتصر ادعائهم على معرفة ما في صدور مريدهم فقط بل تعداهم إلى غيرهم من الناس فضاهئوا الله بمعرفة ما في صدور العالمين، قال تعالى: ﴿قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿فإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى﴾[٦].

---

(١) روضة الناظرين ٥٩.

(٢) الحجر (٧٥).

(٣) الطبقات الكبرى ١/٩٢.

(٤) للاستزادة راجع كتب التراجم والكرامات لأهل التصوف، فهي تعج بمثل هذه الأشياء؛ فلا تكاد تخلو صفحاتها من تسويدها بمثل هذه الخرافات المحبوكة المفتراة.

(٥) آل عمران (٢٩).

(٦) طه (٧).

وقوله: ﴿وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون﴾ [(١)].

وقال تعالى: ﴿يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور﴾ [(٢)] والآيات في هذا كثيرة.

فهؤلاء ادعوا أنهم شاركوا الله في صفات التي تفرد بها. مع العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو أفضل منهم لم يكن يعلم بما في صدور أصحابه، حتى أنه لم يكن يعرف المنافقين الذين كانوا في صفوف أصحابه إلا بعد أن أطلعه الله عليهم كما سبق ذكره[(٣)] بل إن الخصمين كانا يأتيان إليه فيخبرهما إنه إنما يحكم بما يظهر له من الأدلة ولا يعلم عما في صدريهما. ثم إن الشريعة الغراء إنما جاءت في الحكم على الناس في الظاهر دون البحث عن معرفة الباطن لأن ذلك غير ممكن، ولو كانت معرفة الباطن ممكنة لما قبل النبي صلى الله عليه وسلم من المنافقين تظاهرهم بالإسلام. والأدلة والشواهد أكثر من أن تذكر في أنه لا يعلم بما في صدور العالمين سوى الله سبحانه وتعالى، ولم يخالف في ذلك إلا المبتدعة من المتصوفة ومن شاكلهم.

٥ ــ ولي يعلم بما يقع بعيداً عنه:

قال السكندري: وأخبرني سيدي جمال الدين ولد الشيخ ــ رضي

---

(١) النمل (٧٤).

(٢) هود (٥).

(٣) انظر الفصل الثالث من الباب الثالث في الأدلة على إطلاع الرسل على بعض المغيبات

الله عنهما ـــ قال: ورد رسول الأفرنج إلى الأسكندرية فذهبت لأنظره ولم أعلم الشيخ فلما جئت قال أين كنت؟ قلت هاهنا. قال: بل ذهبت تنظر رسول الأفرنج، أتظن أن شيئاً من أحوالك تخفى علي؟ كان الرسول لابساً كذا وكذا، راكباً على كذا، عن يمينه فلان وعن يساره فلان، فوصف الحال على ما كنت عليه[1].

وذكر الشعراني أن إبراهيم الجعبري كان له مريدة تسمع وعظة وهو بمصر وهي بأرض أسوان من أقصى الصعيد، فبينما هو يعظ الناس وهم يبكون أنشد:

قاعدة في الطاقـــة والكلب يأكل العجين

يا كلب كل وتمنى مـــا للعجين أصحاب

فالتفتت المريدة فإذا الكلب يأكل في عجينها. وأرخو الحكاية فجاء الخبر بذلك... [2].

وأراد أحدهم أن يرسل جرتي عسل من تونس إلى مصر، فذهب إلى بحر تونس فدلاهما فيه، وفي نفس الوقت كان الآخر الذي في مصر في استقبالهما بعدما علم أن صاحبه عزم على إرسالهما[3].

وأنواع ادعائهم للغيب كثيرة جداً يصعب حصرها، فتارة يدعون

---

(١) لطائف المنن ١٨٨.

(٢) الطبقات الكبرى ٢٠٣/١.

(٣) انظر إلى القصة في لطائف المنن ١٧٣.

أن المغيبات تكشف لهم[١].

وتارة يدعون أنهم يعرج بهم إلى السماء ويطلعون على الغيب! [٢].

ومنهم من يدعي أن الله أطلعه على قبور الأنبياء في الهند[٣] وآخر يتصرف في بواطن المريدين[٤] وإذا رأى أحدهم إنساناً فإنه يعلم ما في نفسه وما هو عليه وما هو مرتكبه من الفواحش[٥] وآخر لا تحجزه الخواطر عن معرفة ما في باطنها[٦].

والحكايات كثيرة متعددة تتنافس فيها الطوائف لتدلل على أن شيخها هو المفضل وهو الأولى بالاتباع.

الجواب على استدلالات الغزالي:

تقدم في الباب الثاني ذكر الأدلة من الكتاب والسنة في بيان أن علم الغيب من خصائص الله ــ سبحانه وتعالى ــ وأنه لا يطلع عليه أحد سواه، ومن ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ [٧].

---

(١) انظر المواهب السرمدية ٢١٣.

(٢) انظر المواهب السرمدية ٢٠٩.

(٣) المواهب السرمدية ١٨٥.

(٤) انظر المواهب السرمدية ٤٩٢.

(٥) الطبقات الكبرى ٢/٨٦.

(٦) الطبقات الكبرى ٢/١٨٤.

(٧) النمل (٦٥).

وقوله تعالى: ﴿ولله غيب السموات والأرض. . .﴾ الآية [١].

وقوله تعالى: ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ [٢].

وقوله تعالى: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر﴾ [٣].

وقال تعالى: ﴿فقل إنما الغيب لله. . .﴾ [٤].

وقال تعالى عل لسان أول رسله نوح ـ عليه السلام ـ: ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب. . .﴾ [٥].

وقال على لسان آخر رسله محمد صلى الله عليه وسلم :﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب. . . .﴾ [٦].

وقال على لسان ملائكته ـ عليهم السلام ـ : ﴿قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ [٧].

فإذا كان أفضل خلق الله وهم الرسل والملائكة قد تبرؤوا من معرفة

---

(١) هود ١٢٣ والنحل ٧٧.

(٢) آل عمران ١٧٩.

(٣) الأنعام (٥٩).

(٤) يونس (٢٠).

(٥) هود (٣١).

(٦) الأنعام (٥٠).

(٧) البقرة (٣٢).

الغيب فكيف بمن دونهم، قال تعالى عن الجن: ﴿فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾ (١).

فلا الرسل ولا الملائكة ولا الجن يعلمون الغيب فهل يعقل أن يعلمه هؤلاء المنحرفون.

هذه بعض الآيات القرآنية في هذا الموضوع.

وأما أدلة الغزالي ـــ رحمه الله تعالى ـــ فيتبين عدم صحتها إن شاء الله تعالى فيما يلي:

الجواب على الاستدلال الأول:

استدل بقوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ (٢)

استدل بهذه الآية على أن من واظب على العبادة فإن الحكمة تظهر على قلبه بطريق الكشف والإلهام فيطلع على أمور غيبية. والجواب على ذلك كما يلي:

هذه الآية اشتملت على عدة قضايا منها:

١ـــ معنى الجهاد.

٢ـــ مقصد المجاهد.

٣ـــ ثمرة الجهاد، ((وهي الهداية)).

فالجهاد في هذه الآية يشتمل على جميع أنواع الجهاد من قتال

---

(١) سبأ (١٤)

(٢) العنكبوت (٦٩).

الكفار ونصر الدين بجميع أشكاله من الرد على المبطلين، وقمع الظالمين، وعظمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومجاهدة النفس[١] وترويضها على عبادة الله ــ سبحانه وتعالى ــ على وفق ما شرعه المصطفى صلى الله عليه وسلم لا على ما شرعه هؤلاء القوم.

هذا هو معنى الآية و لم يرد عن أحد من المفسرين خلاف ذلك.

قال ابن جرير الطبري ــ رحمه الله تعالى ــ يقول الله تعالى ذكره: والذين قاتلوا هؤلاء المفترين على الله كذباً من كفار قريش المكذبين بالحق لما جاءهم، مبتغين بقتالهم علو كلمتنا ونصرة ديننا ﴿لنهدينهم سبلنا﴾ يقول لنوفقهم لإصابة الطرق المستقيمة وذلك إصابة دين الله الذي هو الإسلام الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم) [٢].

وقال القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ: (أي الذين جاهدوا الكفار في طلب مرضاتنا) [٣].

وقال ابن كثير نحو قولهما[٤].

فهذا هو المراد من الآية لا تلك العبادات التي تعتمد على الخلوة والسهر والجوع.

فهؤلاء قد شابهوا أهل الكتاب الذين ذمهم الله ــ سبحانه وتعالى ــ

---

(١) قاله سليمان الداراني انظر تفسير القرطبي ٣٦٤/١٣.

(٢) جامع البيان ١٥/٢١.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٣٦٤/١٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣٠٣/٦.

في كتابه حيث قال جل من قائل عليماً: ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها﴾ [(١)].

قال الحافظ ابن كثير ـــ رحمه الله تعالى ـــ في معناها: (أي ما شرعناها لهم وإنما التزموها من قبل أنفسهم.

وقوله: ﴿إلا ابتغاء رضوان الله﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنهم قصدوا بذلك رضوان الله. قاله سعيد بن جبير وقتادة.

والآخر: ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم رضوان الله.

وقوله: ﴿فما رعوها حق رعايتها﴾ أي فما قاموا بما التزموه حق القيام وهذا ذم لهم من وجهين:

أحدهما: في الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله.

والثاني: في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموه أنه قربة يقربهم إلى الله ـــ عز وجل ـــ [(٢)].

فهم بهذه الرهبانية قد حملوا أنفسهم على المشقات بالامتناع عن المطعم المشرب والنكاح والتعلق بالكهوف والصوامع، وذلك أن ملوكهم غيروا وبدلوا وبقي قليل فترهبنوا وتبتلوا) [(٣)].

وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «إن الرهبانية لم تكتب

---

(١) الحديد (٤٧).

(٢) تفسير القرآن العظيم ٥٤/٨، وانظر الجامع لأحكام القرآن ٢٣٨/٢٧.

(٣) انظر الجامع القرآن ٢٦٣/١٧.

علينا»[1].

وهؤلاء المتصوفة شابهوهم حينما ابتدعوا تلك العبادات القائمة على الرهبنة من الخلوات وغيرها.

وفي الحقيقة أن الذي يظهر بهذه العبادة من اهتلاس، وهو ما يزعمون أنه حكمه، ليس من الغيب في شيء، بل هو من إيحاءات الشياطين الذين يوحون إلى أوليائهم كما قال تعالى: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾[2].

الجواب على استدلاله الثاني:

وهو قوله: (كل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والإلهام).

واستدل بقوله تعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ قال: يعلمه من غير تعلم ويفطنه من غير تجربة).

فالجواب على هذا من وجهين:

أحدهما: أن المعنى الصحيح لهذه الآية كما فسرها علماء السلف وأوجزه ابن جرير بقوله: (إن من يخف الله فيعمل بما أمره به ويجتنب ما نهى عنه، ﴿يجعل له من أمره مخرجاً﴾ بأن يعرفه بأن ما قضى الله فلا بد أن

---

(١) مسند الإمام أحمد ــ رحمه الله ــ ٦/٢٢٦.

(٢) الأنعام ١٢١.

يكون.... ﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ يقول: ويسبب له أسباب الرزق من حيث لا يعلم...)[١].

قال سهل بن عبد الله في معناها: ﴿ومن يتق الله﴾ في اتباع السنة ﴿يجعل له مخرجاً﴾ من عقوبة أهل البدع ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب)[٢].

وقال الشوكاني ــ رحمه الله تعالى ــ في معناها: (أي ومن يتق عذاب الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه والوقوف على حدوده التي حدها لعباده وعدم مجاوزتها، يجعل له مخرجاً مما وقع فيه من الشدائد والمحن ﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ أي من وجه لا يخطر بباله ولا يكون في حسبانه) .. ثم ذكر نحو هذا عن أئمة السلف[٣].

الثاني: أن هذا الكلام يحتمل ثلاثة معان:

١ــ إما أنه يريد أن القلب يحصل فيه علوم شرعية من القرآن أو السنة بدون تعلم وإنما ذلك بسبب المجاهدة.

٢ــ وإما أنه يريد أن القلب يحصل فيه علوم جديدة تعلمها من اللوح المحفوظ مما ليس في الكتاب والسنة.

٣ــ وإما أنه يريد أن القلب يحصل فيه فهم الشيء من القرآن

---

(١) جامع البيان ١٣٧/٢٨، وانظر تفسير القرآن العظيم ١٧/٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٦٠/١٨.

(٣) فتح القدير ٢٤٢/٥.

والسنة التي تعلمها العبد كما يتعلمها غيره.

فإذا أراد المعنى الأول واعتقد أنه يحصل من مجرد الخلوة والسهر والجوع والذكر والرياضة ونحوها له تعلم من غير أن يطلب العلم؛ فهذا ولا شك غير صحيح فإن ذلك لم يحدث لخيرة الصحابة ـــ رضي الله عنهم ـــ، بل كان أحدهم يتعلم ما جاء فيهما من النبي صلى الله عليه وسلم أو من إخوانه من الصحابة حيث كانوا يتناوبون على حضور مجالس النبي صلى الله عليه وسلم كما كان يفعل ذلك عمر بن الخطاب وغيره.

وقد كان أحدهم يسأل عما لا يعرفه عندما يَجِدُّ له أمر من الأمور، وسيرهم مملوءة بذلك.

وقد بلغ الحد بالمتصوفة أنهم زعموا أن من اختلى بنفسه في زاوية وانقطع عن الدنيا وأشغل نفسه بالفرائض والرواتب فقط، وجلس فارغ القلب مجموع الهم لا يفرق فكره بقراءة قرآن ولا بالتأمل بتفسير ولا حديث ولا يخطر بباله غير الله مردداً بلسانه الله الله فقط إلى أن ينتهي إلى حالة يترك فيها لسانه ويرى كأن الكلمة جارية على لسانه، ثم يصير عليه حتى يمحى أثره عن اللسان ويصادف قلبه مواظباً على الذكر؛ إلى أن يمحى عن القلب صورة الذكر وحروفه ويبقى معنى الكلمة مجرداً في قلبه؛ حاضراً فيه، لازماً له لا يفارقه؛ إلى أن ينتهي باستدامة هذه الحالة إلى دفع الوسواس، فعند ذلك يكون متعرضاً لنفحات الله فتظهر الحكم والعلوم

والمعارف الغيبية بدون تعلم) [(١)].

فهل هذا هو طريق حصول العلم؟ ولو كان كذلك لكان هؤلاء هم أعلم الناس؛ والمعروف أنهم من أجهل الناس بالشر، ولما احتاج الناس إلى الأنبياء ولاكتفوا بالتلقي عن الله بهذه الطرق.

٢ــ وإن أراد أن القلب يحصل فيه علوم جديدة من اللوح المحفوظ فهذا أشد من الأول، إذ يلزم من قوله هذا أن المجاهدة تؤدي إلى درجة أعلى من درجات الأنبياء الذين كانوا يتلقون علومهم من الوحي عن طريق الملائكة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يقول: أخبرني به جبريل آنفاً أو نحو ذلك؛ كما جاء في حديث أنس ــ رضي الله عنه ــ أنه قال: (بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينـــزع الولد إلى أخواله؟. فأجاب على ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: «خبرني بهن آنفاً جبريل» [(٢)].

وكذلك حديث جبريل المشهور وفيه: «هذا جبريل أتاكم يعلم الناس أمر دينهم» [(٣)].

---

(١) انظر الإحياء ١٨/٣.

(٢) البخاري (ح ٣٣٢٩)، ومسلم (ح ٣١٥).

(٣) البخاري (٥٠).

وفي رواية لمسلم: «.. فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» وغير ذلك كثير.

٣ــ وإن أراد المعنى الثالث فهو حق.

قال ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ: (لا ريب أن الله يفتح على قلوب أوليائه المتقين وعباده الصالحين بسبب طهارة قلوبهم مما يكرهه واتباعهم ما يحبه، ما لا يفتح به على غيرهم..) [(١)].

فالله يجعل في قلب المؤمن قوة إيمانية ونوراً يُبَصِّرُهُ بالمراد من كلام الله عز وجل وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد دل على هذا القرآن الكريم في آيات عديدة منها:

قوله تعالى: ﴿ففهمناها سليمان. . .﴾ [(٢)].

قال ابن جرير ــ رحمه الله تعالى ــ: ﴿ففهمنا﴾ يقول: فهمنا القضية في ذلك سليمان دون داود ﴿وكلاآتينا حكماً وعلماً﴾ [(٣)].

وقال القرطبي ــ رحمه الله تعالى ــ بنحو ما قال[(٤)].

ودل على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً * وإذاً لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً * ولهديناهم

(١) الفتاوى ٢٣/٢٤٥.

(٢) الأنبياء (٧٩).

(٣) جامع البيان ١٧/٥١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ١١/٣٠٧.

صراطا مستقيما﴾ (١).

فمن تمسك بهدي الله دله الله على الصراط المستقيم وأنجاه من عذابه، ومن سلك غير طريقه يلتمس به القرب منه لم يزدد من الله إلا بعداً؛ كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم﴾ (٢).

قال ابن كثير ـــ رحمه الله تعالى ـــ في معناها: (أي فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به أزاغ الله عن قلوبهم الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان كما قال تعالى: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾ (٤) ولهذا قال الله تعالى في هذه الآية: ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾. أ. هـ (٥).

ومن الآيات الدالة أيضاً على ما ذكرته قوله تعالى: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم﴾ (٦).

---

(١) النساء ٦٦-٦٨.

(٢) الصف (٥).

(٣) الأنعام (١١٠).

(٤) النساء (١١٥).

(٥) تفسير القرآن العظيم ١٣٥/٨.

(٦) محمد صلى الله عليه وسلم (١٧).

وقوله تعالى: ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ [١] وقوله تعالى: ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين﴾ [٢] وغيرهما كثير.

وينبغي أن يعرف أن هذا التقى والصلاح سبب من الأسباب التي يفتح الله بها على قلوب بعض أوليائه المتقين، وليس هو وحده كافياً في حصول العلم بل لا بد من العلم والفهم للقضايا والأحكام[٣] وهذا أمر معلوم قد حصل لكثير من علماء السلف، ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم: «نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه» [٤].

الجواب على استدلاله الثالث:

أما استدلاله بقوله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» [٥].

---

(١) الكهف (١٧).

(٢) البقرة (٢).

(٣) انظر مجموع الفتاوى ١٢/٢٤٦، ٢٤٧.

(٤) أخرجه الترمذي (ح ٥٦٢٦) وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجه في المقدمة (ح ٢٣١، ٢٣٢) وأحمد في المسند ٤/٨٠، وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند إسناده صحيح، انظر (ح ٤١٥٧) وأخرجه غيرهم.

والحديث صحيح وقد استوفاه دراسة الشيخ عبد المحسن العباد في كتاب عنون له بالحديث.

(٥) تقدم تخريجه انظر الفراسة (١٥٣).

فالجواب عليه من وجهين:

الوجه الأول: أنه إن أراد للمؤمن فراسة ناتجة من معرفة الله تعالى والإخلاص له في القول والعمل وباتباع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والائتمار بأمره والانتهاء عن نهيه، فبسبب ذلك يقذف الله في قلب العبد المؤمن نوراً يفرق به بين الحق والباطل والصادق والكاذب[١] فيقع في قلبه من جراء ذلك النور تصورات ظنية، كما قد يحدث فتقع الأمور حسب ما ظنه وتصوره وتخيل وقوعه، فهذا ليس من الغيب الذي أخبر الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ أنه اختص بعلمه؛ لأن هذا ظن وليس بعلم والظن لا يغني من الحق شيئاً.

والوجه الثاني: أما إذا أراد أن يستدل به على أن الفراسة تحصل من ممارسة الرياضة والخلوة والذكر ونحو ذلك، وبواسطتها يمكن للمرء أن يعرف أموراً من الغيب فهذا غير مسلم وغير صحيح لعدة أمور:

١ـــ أن هذا ليس المراد من الحديث؛ لأن النور المذكور في الحديث هو النور الناتج عن اتباع شرع الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ بامتثال أوامره واجتناب نواهيه[٢] وقد تقدم ذكر كلام العلماء على هذا الحديث[٣].

٢ـــ أن هذه الكيفية من العبادة مبتدعة و لم يرد بها الشرع، وكل ما

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٢٥٦/٢١، ٢٥٨ ذكر ذلك عن الكرماني.

(٢) انظر تحفة الأحوذي ٥٥٥/٨ (ح ٣٣٣٣).

(٣) انظر الفراسة ص ١٦٢.

خالف الشرع فهو باطل وكل ما نتج عن الباطل فهو باطل، ولا يكون الحديث دليلا على الباطل. فما يظهر من الخلوة والسهر والرياضة ونحوها من ادعاء الكشف ومعرفة الغيب فهو من وسوسة الشيطان وإيحائه، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم﴾[١].

وكل من خالف شرع الله فهو ولي للشيطان عدو للرحمن.

والشياطين تظهر لهم بعض الأمور الغائبة عنهم تضليلا لهم[٢].

٣ــ ما قاله ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ: (بأن النفس إذا تجردت عن العوائق صار لها من الفراسة والكشف بحسب تجردها، وهذه فراسة مشتركة بين المؤمن والكافر ولا تدل على إيمان ولا على ولاية، وكثير من الجهال يغتر بها. وللرهبان وقائع منها معلومة، فهي لا تكشف عن حق نافع ولا عن طريق مستقيم؛ بل كشفها جزئي من جنس فراسة عَبَّارَة الرؤيا والأطباء ونحوهم..)[٣].

الجواب على استدلاله الرابع:

وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «إن من أمتي محدثين ومعلمين ومكلمين وإن عمر منهم»[٤].

---

(١) الأنعام (١٢١).

(٢) انظر الفراسة ص (١٦٦) وما بعدها.

(٣) مدارج السالكين ٥٠٧/٢.

(٤) تقدم تخريجه انظر ص ١٩٥.

فالجواب على هذا هو: الجواب على الحديث الذي قبله. ويجاب عنه أيضاً بما يأتي:

١ـ أنه لا دليل في الحديث يدل على أن الولي يستطيع أن يعلم الغيب. وعلى الفرض أن التحديث والإلهام يعرف به الغيب؛ فهو غيب نسبي غاب عن الملهم والمحدث؛ وعلمه وغيرهما من الخلق، فالغيب ينقسم إلى أربعة مراتب:

أ ـ ما لا يعلمه إلا الله كعلم الساعة ونحوها.

ب ـ ما علم به بعض الملائكة.

ج ـ ما علم به غير الملائكة من الخلق.

هـ ـ ما عليه قرائن ودلالات إذا تنبه إليها الإنسان عرفه، ومن أمثلة ذلك ما حكي عن إياس والشافعي وغيرهما مما تقدم ذكره في الفراسة.

والإلهام والتحديث يتعلق بالمرتبة الثالثة.

وعلم الله يتعلق بها كلها ويختص بالأولى[١].

فتبين من هذا التقسيم أنه لا دليل في الحديث على إمكان العلم بالغيب.

٢ـ أما إن كان الاستدلال بالحديث على إمكان معرفة الغيب المطلق من معرفة ما في اللوح المحفوظ، وآجال الناس ونحوهما، فهذا إغراق

---

(١) انظر التنكيل ٢/٢٤١.

في الباطل، ولا شك أن ادعاء مثل هذا من رعونات النفس وإيحاء الشيطان وإلا فقد علم من النصوص الشرعية أنه لا يعلم الغيب إلا الله ــ سبحانه وتعالى ــ.

٣ــ أن عمر ــ رضي الله عنه ــ الذي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه من المحدثين في هذا الحديث لم يقل في يوم من الأيام بأنه يعلم الغيب وحاشاه أن يقول مثل هذا، فكيف يجوز لهؤلاء أن يدعوا التحدث ويدعوا أنهم يعرفون الغيب من خلاله.

٤ــ على الفرض أن في أمة محمد صلى الله عليه وسلم محدثين وملهمين فمن يستطيع أن يجزم بتعيينهم وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم «.. فإن يكن في أمتي أحد فعمر» [١].

وعلى هذا فإنه لا يمكن تعيينهم إلا عن طريق الوحي؛ والوحي لم يعين لنا إلا عمر ــ رضي الله عنه ــ فقط، وقد تقدم مزيد بيان في معنى الحديث والمراد منه في مبحث الإلهام[٢].

٥ ــ وعلى فرض أن عمر ــ رضي الله عنه ــ كان يعلم شيئاً من الغيب عن طريق التحديث والإلهام، فإن الوقائع التي وقعت له تخالف ذلك، كما وقع له في الحديبية وحرب الردة وإنفاذ جيش أسامة ــ رضي الله عنه ــ مما يؤكد عدم معرفته بالغيب.

---

(١) انظر الإلهام ص ١٩٧.

(٢) انظر الإلهام ص ١٩٦.

٦ ـ أنه ليس كل ولي محدث، فالصديق ـ رضي الله عنه ـ أفضل هذه الأمة بعد رسولها صلى الله عليه وسلم وهو أجل أولياء الله ومع هذا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «فإن يكن في أمتي أحد فعمر منهم» (١). ولم يقل ذلك في أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ولا ينقص ذلك من مكانة الصديق لأن مرتبة الصديقية أعلى درجة.

الجواب على استدلاله الخامس:

وهو استدلال بقراءة ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث﴾ (٢).

وجه استدلاله هو: الاستدلال بها على أن المحدث ملهم والملهم هو الذي ينكشف له الغيب من باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجية بسبب التقوى وهذا علم من غير تعلم.

والجواب على هذا كما يلي:

الأول: يجاب على القراءة من وجهين:

أ ـ أن هذه القراءة ليست متواترة، فلم ترو إلا عن ابن عباس

---

(١) تقدم انظر ص ١٩٧.

(٢) هذه القراءة لم ترد إلا عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ، وقد أخرجها البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه تعليقاً بعد ذكره للحديث رقم ٣٦٠٩.

وقال ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ: (أخرجه سفيان بن عيينة في أواخر جامعه، وعبد بن حميد من طريقه، وإسناده إلى ابن عباس صحيح ..) الفتح ٥١/٧.

ـــ رضي الله عنه ـــ فقط[1] فلا يصح الاستدلال بها على ما ذكر الغزالي ـــ رحمه الله تعالى ـــ.

ب ـــ وعلى فرض صحة الاستدلال بها فإنها تعني المحدثين الذين كانوا فيمن قبلنا؛ لأنهم كانوا يحتاجون إليه، أما أمة محمد صلى الله عليه وسلم فلا يحتاج إليه. وقد دلت الآية على ذلك فقد نـــزلت مُسَلِّيَة للنبي صلى الله عليه وسلم؛ ذكر الله فيها صفات الأمم السابقة.

قال الإمام ابن تيمية ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (هذه القراءة ليست متواترة ولا معلومة الصحة ولا يجوز الاحتجاج بها في أصول الدين، وإن كانت صحيحة فالمعنى أن المحدث كان فيمن قبلنا؛ وكانوا يحتاجون إليه؛ وكان ينسخ ما يلقيه الشيطان إليه كذلك، وأمة محمد صلى الله عليه وسلم لا تحتاج إلى غير محمد صلى الله عليه وسلم. ولهذا كانت الأمم قبلنا لا يكفيهم نبي واحد؛ بل يحيلهم هذا النبي في بعض الأمور على النبي الآخر، وكانوا يحتاجون إلى عدد من الأنبياء ويحتاجون إلى المحدث[2]).

الثاني: قد تقدم أن المحدث هو الملهم وأن الإلهام ليس هو علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه وكل ما في الأمر أنه قد يقع له العلم الظني بأمور حدثت كما وقع ذلك لأبي بكر وعمر ـــ رضي الله عنهما ـــ والظن لا

(١) العقيدة الأصفهانية ١٢٢.

(٢) العقيدة الأصفهانية ١٢٢.

يسمى علماً[(١)].

كما سبق أنه لا يمكن أن يكون هناك علم من غير تعلم مطلقاً بل لا بد من التعلم[(٢)].

فتبين من هذا أنه لا دليل في هذه القراءة على إمكانية الاطلاع على الغيب.

الجواب على الاستدلال السادس:

وهو استدلاله بقول أبي بكر لعائشة ــ رضي الله عنهما ــ عند موته (إنما هو أخوك وأختاك..) [(٣)].

فالجواب على هذا من عدة أوجه:

الوجه الأول: أن عائشة ــ رضي الله عنها ــ حينما سألته وقالت: من الأخرى؟ قال: (ذو بطن بنت خارجة أراها جارية).

قال الزرقاني: (أراها أي: أظنها) [(٤)].

فعلى هذا المعنى لم يكن أبو بكر ــ رضي الله عنه ــ جزم بأنها بنت، فيكون ليس من علم الغيب لأنه ظَنَّ وخَمَّنَ أنها جارية لعلامات قد يكون رآها، والتَخْمِيْنُ والظَّنُ ليس من علم الغيب.

---

(١) انظر مبحث الإلهام ١٧٩-١٩٥.

(٢) انظر ص ٤٦٥.

(٣) تقدم تخريجه انظر ص ٤٢٣.

(٤) شرح الزرقاني على الموطأ ٤/٤٤.

الوجه الثاني: أنه قد يكون علم بذلك لرؤيا رآها في منامه أن هذا الحمل أنثى، وهذا من باب الرؤيا الصادقة التي أخبر بها الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، وليست من باب الغيب المجرد.

قال ابن مزين: قال بعض فقهائنا: [في شرحهم للحديث] وذلك لرؤيا رآها أبو بكر ـــ رضي الله عنه ـــ [١].

الوجه الثالث: وعلى فرض أنه لم يحدث شيء من ذلك فيكون إطلاعه من باب إلهام الله له أنها بنت، وهذا ليس بغريب على الصديق لما عرف من تقواه وفضله حتى كان أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولكن ينبغي أن ينبه أنه لم يجزم بذلك فقال أراها، وأهل السنة لا يمنعون مثل ذلك كما تقدم[٢].

وعلى هذا فتكون هذه كرامة من قبيل الكشف الصحيح كشفها الله سبحانه وتعالى ـــ لأبي بكر الصديق ـــ رضي الله عنه ـــ بفضل اتباعه للرسول صلى الله عليه وسلم.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: (وأما المعجزات لغير الأنبياء من باب الكشف والعلم مثل قول عمر ـــ رضي الله عنه ـــ في قصة سارية وإخبار أبي بكر أن في بطن زوجته أنثى) [٣].

---

(١) شرح الزرقاني ٤/٤٤.

(٢) انظر الإلهام ١٩٦-١٩٨

(٣) مجموع الفتاوى ١١/٣١٨.

وقال ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ: (الكشف الرحماني .. مثل كشف أبي بكر لما قال لعائشة ــ رضي الله عنهما ــ إن امرأته حامل بأنثى، وكشف عمر ــ رضي الله عنه ــ لما قال يا سارية الجبل)[(١)].

وسيأتي بيان الكشف وما يصح منه وما لا يصح إن شاء الله في فصل مستقل.

الجواب على الاستدلال السابع:

وهو: قصة عمر ــ رضي الله تعالى عنه ــ مع سارية، وقصة عثمان مع أنس ــ رضي الله عنهما ــ.

فالجواب عليه كما يلي:

١ــ قول الغزالي ــ رحمه الله تعالى ــ : قول عمر أثناء خطبته: يا سارية الجبل الجبل[(٢)] إذ انكشف له أن العدو قد أشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك. ثم بلوغ صوته إليه من جملة الكرامات العظيمة.

---

(١) مدارج السالكين ٢٣٨/٣.

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخه ١/٦/٧، ٢/١٣ عن ابن وهب: قال أخبرني يحيى بن أيوب عن خالد بن عجلان عن نافع أن عمر بعث سرية فاستعمل عليهم رجلا يقال له سارية فبينما عمر قائماً يخطب يوم الجمعة فقال: «يا سارية الجبل يا سارية الجبل». فوجدوا سارية قد أغار إلى الجبل في تلك الساعة في يوم الجمعة وبينهما مسيرة شهر. وقال الألباني: (رواه البيهقي في دلائل النبوة، وأبو بكر بن خلاد في الفوائد) وذكره ابن كثير ــ رحمه الله تعالى ــ في البداية والنهاية ١٣١/٧، وقال إسناده جيد حسن. ووافقه الألباني انظر الصحيحة ١٠١/٣ (ح ١١١٠) وقد أفاض في تخريج الحديث.

فالجواب عليه من عدة أوجه:

الوجه الأول: قال الألباني – رحمه الله -: إن الرواية التي فيها ذكر أن عمر ـــ رضي الله عنه ـــ حينما سئل عن ذلك قال: «وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا فركبوا أكتافهم؛ وإنهم يمرون بجبل فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوا وقد ظفروا، وإن جازوا هلكوا...» [(١)] رواية لا تصح. ولم يصح إلا مناداات عمر لسارية وسماع الجيش في رواية ابن وهب عن ابن عجلان[(٢)].

وعلى هذا فالاستدلال به على ما يزعمه بعض المتصوفة من الكشف للأولياء واطلاعهم على الغيب، وعلى ما في الصدور ونحوه باطل لا يصح؛ لا سيما وأن الأدلة دلالتها صريحة على اختصاص الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ بعلم الغيب دون من سواه.

الوجه الثاني: على فرض صحة هذه الرواية والتسليم بأن الأمر كشف[(٣)] لعمر ـــ رضي الله عنه ـــ فإنه أيضاً لا يكون فيه دليل على إمكان الأولياء الاطلاع على الغيب، بل يكون الكشف لعمر ـــ رضي

---

(١) رواه ابن الأثير في أسد الغابة ٥/٦٥، وقال الألباني سنده لا يصح؛ لأن في رواته فرات بن السائب وهو منكر الحديث كما قال البخاري، ومتروك كما قال الدارقطني. انظر السلسلة الصحيحة ٣/١٠٢.

(٢) انظر السلسلة الصحيحة ٣/١٠٢.

(٣) تقدم قول ابن تيمية وابن القيم بأنه قد كوشف في الرد على الدليل السادس انظر ص ٤٥٩-٤٦٠ وما بعدها.

الله عنه ــ من قبيل الكشف الرحماني كشفه الله له على جهة الكرامة، وألهمه النطق بما نطق به وأبلغ صوته إلى جيش سارية؛ فهي واقعة وقعت لأمير المؤمنين ــ رضي الله عنه ــ من قبيل الكرامة، والكرامة لا دخل للإنسان فيها لا من جهة العلم ولا من جهة القدرة، خلافاً للمتصوفة الذين يدعون أن علم الغيب يحصل بقدرة الإنسان وعلمه.

ومن هنا يتبين أن الاستدلال بهذا الأثر على أن بإمكان الإنسان الاطلاع على الغيب باطل، فإنه لو حصل وأن كوشف شخص ما بنحو ما كوشف به عمر ــ رضي الله عنه ــ فإنه لا يدري حينما يكشف له الشيء هل هو صدق أم كذب حتى يقع، فإن وقع كما كوشف به فهو صحيح ولكنه لا يدل على أنه من الرحمن أو أنه كرامة، بل قد يكون الشيطان خيل له تلك الحادثة التي وقعت له فرأى صورة مثلها. لأن الشيطان بإمكانه أن يفعل ذلك بل بإمكانه أن يمثل أشخاصا معينين بصفاقم وصورهم.

ومن هنا يتبين أنه ليس كل كشف يكون من الله، بل قد يكون من الشيطان، كما أنه لا يدل على كرامة أو قرب من الله؛ لا سيما وأن مثل هذا يحصل للطغاة؛ كما يحصل في آخر الزمان للدجال[1].

الوجه الثالث: أن عمر ــ رضي الله عنه ــ هو الذي وقعت له هذه الحادثة وهو سيد المحدثين وإمامهم قد حصل له الكثير من ذلك ولا سيما

---

(١) وسيأتي بيان هذا في مبحث الكشف إن شاء الله تعالى.

وأنه قد وافق القرآن في أكثر من قضية[1] ومع هذا فهو لم يقل في يوم من الأيام بأنه يعلم الغيب، بل إنه كان يعرض كل شيء يحصل له على الكتاب والسنة فما وافقهما أخذ به وإلا رده كما أنه أيضاً عرف عنه أنه قال رأياً في أكثر من قضية ثم رجع عنه لما تبين خطأه ومن ذلك ما وقع منه في صلح الحديبية وما وقع له بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وارتداد الناس عن الدين، وغيرها كثير.

قال ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ: (كان عمر ــ رضي الله عنه ــ يفعل ما هو الواجب عليه فيعرض ما يقع له على ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فتارة يوافقه فيكون ذلك من فضائل عمر، كما نزل القرآن بموافقته غير مرة، وتارة يخالفه فيرجع عمر من ذلك.. فأي من ادعى ــ أو ادعى له أصحابه ــ أنه ولي الله، أو أنه مخاطب يجب على أتباعه يقبلوا ما يقوله ولا يعارضوه، ويسلموا له حاله من غير اعتبار بالكتاب والسنة؛ فهو وهم مخطئون، ومثل هذا من أضل الناس، فعمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ أفضل منه وهو أمير المؤمنين؛ وكان المسلمون ينازعونه فيما يقوله وهو وهم على الكتاب والسنة، وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

(١) وسيأتي بيان هذا في مبحث الكشف إن شاء الله تعالى.

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ٢٩-٣١، وانظر ١٩١-١٩٢ مبحث الإلهام.

٢ـ **أما استدلاله الثاني** وهو: ما ذكر عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «دخلت على عثمان ـ رضي الله عنه ـ وكنت قد لقيت امرأة في طريقي فنظرت إليها شزراً وتأملت محاسنها فقال عثمان ـ رضي الله عنه ـ لما دخلت: يدخل علي أحدكم وأثر الزنى ظاهر علي عينيه، أما علمت أن زنا العين النظر، لتتوبن أو لأعزرنك. فقلت: أوحي بعد النبي؟ فقال لا، ولكن بصيرة وبرهان وفراسة صادقة» [١].

فالجواب عليه كما يلي:

أولا: لم يروه أصحاب كتب الحديث ولو كان صحيحاً لذكروه لا سيما وأن القشيري ذكره بصيغة التمريض.

ثانيا: وعلى فرض صحته فإنه يجاب عليه بما أجيب على الأثر الذي قبله، وزيادة على ذلك يقال إنه لا دليل فيه على معرفة الغيب؛ لأن عثمان ـ رضي الله عنه ـ فسر قوله بأنه بصيرة وبرهان وفراسة صادقة، ونفى أن يكون وحياً. وعلى هذا فليس فيه أنما اطلع عليه غيب، ويدل على هذا إنكار أنس قوله، وسؤاله بقوله: أوحي بعد رسول الله؟ مما يدل على أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يعتقدون أن معرفة الغيب تكون بالوحي دون غيره؛ ولذلك نفى عثمان أن يكون وحياً؛ وبين أنه

---

(١) هذا الأثر لم أقف عليه، وقد ذكره القشيري في الرسالة القشيرية بصيغة التضعيف فقال: ذكر أن أنساً قال..الخ ص ١٠٨. وذكره الغزالي في الإحياء ٣/٣٥، وذكره أيضاً ابن القيم في مدارج السالكين ٢/٥٠٦، ٥٠٧. وفي الطرق الحكمية ص ٤٠.

فراسة صادقة، والفراسة تدرك بالتجربة والمعرفة وما يظهر من آثار يُعرف فيها حال المتفرس فيه فيستدل بها على ما يظنه حصل، فالفراسة مبينة على الظن والتخمين. وقد تكون بسبب النور الذي يقذفه الله في قلب عبده المؤمن كما جاء في الحديث: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله..)[١].

وعلى هذا فلا دليل فيها على إمكان معرفة الغيب المطلق، وقد سبق بيان هذا[٢].

الجواب على الاستدلال الثامن:

قوله: (والدليل القاطع الذي لا يقدر أحد جحده أمران:

الأول: أن الرؤيا الصادقة ينكشف بها الغيب وإذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل أن ينكشف في اليقظة).

الجواب على هذا من وجوه:

الأول: أن هذا قياس غير صيح لأن قياس ما يقع في النوم من الرؤيا الصادقة على ما يخيل لأحدهم في اليقظة من تخيلات ونحوها قياس مع الفارق، خصوصاً أن العِلّة في الأول غير موجودة في الثاني.

الثاني: لو جاز أن يكون الذي يقع في النوم يقع في اليقظة لجاز أن يمشي الإنسان بدون رأس، أو أن يموت ثم يعود إلى الحياة ونحو هذا مما

---

(١) تقدم انظر ص ١٥٣.

(٢) انظر (ص ٤٥٣-٤٥٤) وانظر الفراسة ص ١٦٢ وما بعدها.

يحدث في المنام عادة وهذا مستحيل.

الثالث: أن هذا القياس أيضاً قياس فاسد لأن الأصل المقيس عليه غير متعين فالرؤيا لا يعرف صدقها من عدمه إلا بعد مطابقتها للواقع. فصاحبها لا يجزم بصدقها حتى تقع فتكون قبل وقوعها في مرتبة الظن بخلاف ما يزعمه الصوفية في ادعاء الغيب حيث أنهم يجزمون بوقوعها.

الجواب على الاستدلال التاسع:

وهو قوله: (إذا جاز للنبي صلى الله عليه وسلم الإخبار عن أمور الغيب فكيف لا يجوز للولي ذلك؛ إذ النبي عبارة عن شخص كوشف بحقائق الأمور وشغل بإصلاح الخلق فلا يستحيل أن يكون في الوجود شخص مكاشف بالحقائق ولا يشغل بإصلاح الخلق).

الجواب عليه من وجوه:

الأول: هذا قياس فاسد فكيف يقاس من ليس بنبي على النبي؟.

فهناك فروق بين النبي والولي منها ما يلي:

(أن من سب نبياً من الأنبياء قتل وكان كافراً مرتداً بخلاف الولي)[1].

والإيمان بالرسل واجب لا يتم الإيمان إلا بهم، قال تعالى: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له

(١) انظر العقيدة الأصفهانية (١٢٢) ومجموع الفتاوى (١٠/٢٩٠).

مسلمون﴾[١].

وقال: ﴿ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً﴾[٢].

فدلت هاتان الآيتان وغيرهما على وجوب الإيمان بالرسل. ويكون ذلك باتباع خاتمهم صلى الله عليه وسلم بالائتمار بأمره والانتهاء عن نهيه وليس ذلك للولي مما يدل على بطلان ذلك القياس.

الثاني: أن هذا القول مأخوذ من قول الفلاسفة الذين يزعمون أن ما يخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مأخوذ من العقل الفعال الذي يفيض على الأنبياء وغيرهم، ومبني أيضاً على قول من يقول: «إن النبوة مكتسبة» كالمتصوفة وغيرهم[٣].

قال ابن تيمية ـــ رحمه الله تعالى ـــ مجيباً على مثل هذه المقولة: (ليست النبوة قوة تدرك بها الأمور وإنما يشبه هذا أصول الفلاسفة الذين يزعمون أن الفيض دائم من العقل الفعال، وإنما يحصل في القلوب بسبب استعداد الأشخاص فأي عبد كان استعداده أتم كان الفيض عليه أتم، من غير أن يكون من الملأ الأعلى سبب يخص شخصاً دون شخص بالخطاب والتكليم. وليس هذا مذهب المسلمين ولا اليهود ولا النصارى، بل هؤلاء

---

(١) البقرة (١٣٦).

(٢) النساء (١٣٦).

(٣) انظر مجموع الفتاوى ٦٠٦/١١-٦٠٧، والعقيدة الأصفهانية ١٢٣.

كلهم إلا من ألحد منهم متفقون على أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ خص موسى بالتكليم دون هارون وغيره، وأنه يخص بالنبوة من يشاء من عباده؛ لا أنه بمجرد استعداده تفيض عليه العلوم من غير تخصيص إلهي) [١].

والغزالي ــ رحمه الله تعالى ــ دخل في الفلسفة وخبرها وتأثر بها فلما تبين له بطلانها وعزم على تركها لم يستطع أن يتخلص من جميع ما تعلمه وعرفه عن الفلسفة والفلاسفة، ولعل هذا يكو قد علق بذهنه من جراء دراسته للفلسفة وتعلمه لها. وهذا واضح في أغلب كتبه[٢].

الثالث: أن النبي إنما عرف بعض أمور الغيب عن طريق الوحي الإلاهي بخلاف الولي فإنه ليس كذلك (فليس في الأولياء من شاهد ما شاهده النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج، ولا شاهد الملائكة الذين كانوا ينـــزلون بالوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، ولا سمع أحد منهم كلام الله الذي كلم به نبيه ليلة المعراج، ولا سمع عامة الأنبياء فضلا عن الأولياء كلام الله كما سمعه موسى بن عمران فضلا عن أن يكون ذلك يحصل لأحد من الأولياء) [٣].

الرابع: أن الإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء واجب فإنهم معصومون، ولا يجب الإيمان بكل ما يقوله الولي بل

---

(١) العقيدة الأصفهانية ص ١٢٣، وانظر درء تعارض العقل والنقل ٣٤٩/٥.

(٢) انظر المنقذ من الضلال ص ٨١ وما بعدها والقارئ لهذا الكتاب يرى ما ذكرته.

(٣) العقيدة الأصفهانية ص ١٢٢.

لا يجوز؛ فإنه ما من أحد من الناس إلا يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الخامس: أن ما يخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من المغيبات معروف مصدره وهو الوحي الإلهي، لذلك يجب تصديقه بدون تردد لعلمنا أنه يوحى إليه، أما غيره من الأولياء ونحوهم فما هو دليل صدقه على دعواه.

قال تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليٌّ حكيم﴾ (١).

وقال الله تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً . . .﴾ (٢).

فمن الذي يقول إنه يوحى إلى الأولياء أو أنه استثنى الأولياء من الأنبياء؟

وأخيراً فإنه لا يجوز أن يقاس أحد على الأنبياء في أي أمر من أمورهم لإجماع الأمة على تفردهم وتميزهم بالوحي واختصاصهم بخصائص لا تحدث لغيرهم. فضلا عن أن هذا القياس من الغزالي ـــ رحمه الله تعالى ـــ تصور خطير يؤكد ما يدعيه الفلاسفة في اعتقادهم في النبوة والأنبياء كما تقدم ذكره من كلام ابن تيمية ـــ رحمه الله تعالى ـــ.

---

(١) الشورى (٥١).

(٢) الجن (٢٦- ٢٧).

الجواب على استدلالات ابن عطاء الله السكندري:

سيكون الجواب هنا على الأدلة التي ذكرها وكانت زائدة على أدلة الغزالي فقط.

الجواب على دليله الأول وهو قوله:

(اعلم أن اطلاع أولياء الله على بعض الغيوب لا يحيله العقل وقد ورد به النقل) [١].

فالجواب عليه كما يلي:

يقال له هذا كلام جدلي، فإن أردت بأن العقل لا يحيل الاطلاع على الغيوب النسبية إذا وجدت أسبابها؛ فهذا صحيح فإن المرء قد يعلم ما يقع بعيداً عنه بطريق الخبر أو الرؤية بالوسائل الممكنة أو بنحو ذلك.

وإن أردت أن العقل لا يحيل الاطلاع على الغيوب المطلقة ومنها علم المستقبل فهذا كذب ودجل، لأن الغيب المطلق لا يمكن علمه إلا عن طريق الوحي المنـــزل على الرسل.

ثم إن العقل السليم يحيل معرفة الغيوب على العكس مما قاله، وقد يجيز ذلك العقل السقيم، أو عقل صاحب الهوى كبعض المتصوفة والرافضة، وأما العقول التي تربَّت على الكتاب والسنة فإنها لا تجرؤ على مثل هذا الادعاء.

---

(١) انظر ص ٤٢٧.

وأما قوله إن النقل ورد به فهذا غير صحيح. بل النقل ورد بخلاف ذلك. وأما ما ذكره من أدلة فلا تصح متمسكاً حيث أنها لا دلالة فيها على ما ذكر كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

الجواب على استدلاله الثاني وهو:

قول علي ـــ رضي الله عنه ـــ:

«والله ما مات ولن يموت حتى يملك ما تحت قدمي هاتين وإنما أراد ابن هند أن يستثير علمي فيه».

فالجواب عليه كما يلي:

أولا: يقال لمن استدل به أثبت لنا صحة هذا الأثر، فإن كثيراً من الأخبار ما يكون باطلاً ومكذوباً على صاحبه، وخاصة على علي ـــ رضي الله عنه ـــ الذي كثر الكذب عليه وانتشر وأصبح ملتبساً بالحق. وقد بحثت عن هذا الأثر في مضانه فلم أقف عليه.

ثانياً: على فرض صحة هذا الخبر فإنه لا يستبعد أن يكون علم بذلك عن طريق خبر جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو أنه علم ذلك بمجموع روايات أحاديث الفتن، وخاصة ما ورد فيما وقع في عهده فإنه قد وردت أحاديث كثيرة في شأن الفتن.

أو أنه علم بذلك لما رأى شدة تفرق أصحابه عنه واختلافهم عليه، وشدة إلتفاف أصحاب معاوية ـــ رضي الله عنه ـــ عليه.

ثالثاً: وعلى فرض أنه لم يحصل ذلك فإنه قد يكون علم بذلك من طريق الرؤيا الصادقة، وعلى هذا فلا يصح أن يكون دليلاً على إمكان

اطلاع العبد على الغيب، وقد بينت فيما سبق أن مثل هذه الحوادث ليست من علم الغيب ولا دليلاً على إمكانية معرفته)[1].

الجواب على استدلاله الثالث وهو:

قوله: (وحكايات الأولياء في كل عصر ومصر تتضمن ثبوت ذلك..).

هذا القول غير صحيح لعدة أمور:

الأمر الأول: أن الحكايات ليست دليلاً شرعياً ولم نُتَعَبَّد بها وإنما تعبدنا باتباع الكتاب والسنة، فلا تثبت بها الأحكام فضلا عن العقائد.

الأمر الثاني: أن هذه الحكايات إن صحت فهي مخالفة للأدلة التي ذكرتها في الباب الثالث، والتي تدل على اختصاص الله ــ سبحانه وتعالى ــ بعلم الغيب.

الأمر الثالث: أن أكثر هذه الحكايات ملفقة ومكذوبة على أصحابها ولا سيما ما نسب إلى عبد القادر الجيلاني والجنيد والرفاعي وغيرهم من الصوفية المتقدمين الذين كانوا على خلاف ما أحدثه المتأخرون من بعدهم.

الأمر الرابع: ليس كل من ادعى الولاية أو نسبت إليه يكون ولياً بل الولي كل من اتقى الله ــ جل وعلا ــ واتبع أوامره واجتنب نواهيه.

---

(١) انظر الرد على الدليل السادس والسابع من أدلة الغزالي رحمه الله تعالى ص ٤٥٨ وما بعدها.

وغالب المتصوفة المتأخرين على عِبَادَاتٍ مخالفة للكتاب والسنة.

الأمر الخامس: ليس كل خارق للعادة يكون كرامة؛ لأن مثل هذا الحكايات كما أنها تقع من المؤمن المتقي كذلك تقع من المسلم الفاسق، وإضافة إلى ذلك فهي تقع من الكافر. فلا تصلح أن تكون دليلاً على إمكان الاطلاع على الغيب؛ لأن الكهان ومن هم على شاكلتهم يخبرون عن أمور غيبية بواسطة شياطينهم[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ: (أولياء الله هم المقتدون بمحمد صلى الله عليه وسلم فيفعلون ما أمر به وينتهون عما عنه زجر ويقتدون به فيما بين لهم أن يتبعوه فيه، فيؤيدهم بملائكته وروح منه. ويقذف في قلوبهم من أنواره، ولهم من الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين، وكراماتهم إنما حصلت ببركة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم) [٢].

الجواب على استدلاله الرابع وهو:

استدلاله بالحديث القدسي: «.. ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر

---

(١) انظر الفرقان ٦٩، وانظر الفصل السابق في الكهان ص ٤٤٥.

(٢) الفرقان ٦٥.

وبي يبطش وبي يمشي» [(١)].

الجواب عليه من وجهين:

أولا: أن معنى الحديث كما قال ابن تيمية: (أن الله تعالى يقرب العبد بالفرائض، ولا يزال العبد يتقرب إليه بالنوافل حتى يحبه الله، فيصير العبد محبوباً إلى الله كما قال تعالى: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ [(٢)] وقال: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [(٣)].

وقال: ﴿إن الله يحب اللذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾[(٤)].

فقد أخبر أنه يحب المتبعين لرسوله، والمجاهدين في سبيله، وأنه يحب التوابين والمتطهرين فهو سبحانه يحب كل ما أمر به أمر إيجاب واستحباب) [(٥)].

والمحبة مستلزمة بأن يحب المحب ما يحبه محبوبه ويبغض ما يبغضه محبوبه، ويوالي من يواليه ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضاه ويغضب لغضبه، ويأمر بأمره، وينتهي عما نهى عنه، فهو موافق له في ذلك.

---

(١) تقدم تخريجه انظر ص ١٦٤.

(٢) آل عمران (٣١).

(٣) البقرة (٢٢٢).

(٤) الصف (٤).

(٥) الفتاوى ٥/٥١١-٥١٢.

فهؤلاء هم الذين يرضى الرب برضاهم ويغضب لغضبهم لأنهم لا يرضون إلا بما يرضى به الرب ولا يغضبون إلا لما يغضب الرب وهذا معنى قوله: (كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به.. فبي يسمع وبي يبصر...) فالعبد لا يبصر إلا ما يحبه الله ولا يسمع ولا يمشي ولا يبطش إلا بما يحبه الله ويرضاه، ولهذا قال: «كنت سمعه الذي يسمع به» بمعنى أنه لا يسمع إلا ما يرضي الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ [١].

ثانياً: أن استدلاله مبني على فناء العبد بالرب حتى يكون العبد هو الرب والرب هو العبد، وهذا اعتقاد الاتحادية والحلولية، وليس في الحديث اتحاد الذاتين، ذات العبد وذات الرب حتى يكون الله سمعاً وبصراً ويداً..الخ للعبد فإن هذا محال والقائل به كافر وهو قول النصارى والغالية من الرافضة[٢] والنساك كأتباع الحلاجية ونحوهم، كما أنه لا يدل على الاتحاد فكذلك لا يدل على حلول الولي بالمولى سبحانه، فكل هذا كفر.

وإنما دل الحديث على اتحاد نوعي وصفي، وهو اتفاق واتحاد في المحبوب المرضي المأمور به والمبغض المكروه المنهي عنه فقط، دون تعلق في الذات[٣].

---

(١) راجع الفتاوى ٥/٥١١، ١٠، ٥٨ ٦١. وراجع قاعدة في المحبة لابن تيمية ص ٧٢، ٩٠ وما بعدها.

(٢) انظر مجموع الفتاوى ٧٤/١١.

(٣) الفتاوى ٥٩/١٠.

ومن هنا يتبين بطلان مقولة السكندري بأن (من كان الحق بصره فليس الاطلاع على الغيب بمستغرب فيه..) وأن هذه المقالة مقالة أهل وحدة الوجود الذين يزعمون أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق، فهذا تعطيل للخالق وجحود له[١].

وهذه المقالة أيضاً قال بها أهل الفناء الذين تقع منهم المحبة لمحبوهم حتى يغيب المحب بمحبوبه عن نفسه وحبه، وبمذكوره عن ذكره وبموجوده عن وجوده، حتى لا يشهد إلا محبوبه، فيظن في زوال تمييزه ونقص عقله وسكره أنه محبوبه كما قيل إن محبوباً وقع في اليم فألقى المحب نفسه خلفه فقال المحبوب: أنا وقعت فمن أوقعك؟ قال المحب غبت بك عني فظننتك أني[٢].

وأنشدوا:

رق الزجاج وراقت الخمر   وتشاكلا فتشابه الأمــر

فكــأنما خـــمر ولا قدح   وكأنما قدح ولا خمــر[٣]

قال ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ: (وقد يكون للمؤمنين العارفين بالله المحبين له من مقامات القرب ومنازل اليقين ما لا تكاد تحيط به العبارة ولا يعرفه حق المعرفة إلا من أدركه وناله، والرب رب، والعبد

(١) انظر مجموع الفتاوى ٧٤/١١.

(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥٩/١٠.

[٣] انظر مجموع الفتاوى ٢٨٧/٢، ٣٦٩

عبد، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا أحد من أهل المعرفة بالله يعتقد حلول الرب تعالى به أو بغيره من المخلوقات ولا اتحاده به)[١].

فتقع المحبة بين العبد والرب دون حلول ولا اتحاد بينهما؛ فالله بائن من خلقه مستوي على عرشه.

قال ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ: (قد بَيَّنَ في هذا الحديث أن المتقرب ليس هو المتقرب إليه بل هو غيره.. ففرق بين السائل والمسئول، والمستعيذ والمستعاذ به، وجعل العبد سائلا لربه مستعيذاً به..)[٢].

ومن هنا يتبين لنا عدم صحة الاستدلال بهذا الحديث وما شابهه من إمكان اطلاع العبد على الغيب لعدم دلالة الحديث عليه وأن استدلال السكندري لا يصح؛ بل لا يجوز أن يعتقد به مسلم، لأن اعتقاد الحلول والاتحاد بين العبد والرب كفر مخرج من الملة.

الجواب على استدلاله الخامس وهو:

استدلاله بقوله تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا﴾[٣].

يقول: إن الولي ملحق بالرسول في الاطلاع على الغيب لانطوائه في

---

(١) انظر مجموع الفتاوى ٧٤/١١.

(٢) انظر مجموع الفتاوى ١٣٤/١٧.

(٣) الجن (٢٦-٢٧).

جاه النبوة، ولم يذكر الولي لأن الرسول أولى بذلك مما سواه فاكتفى بذكره.

فالجواب على هذا من عدة أوجه:

الوجه الأول: في بيان معنى الآية: قال ابن جرير ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (قوله: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه...﴾ الآية يعني بعالم الغيب عالم ما غاب عن أبصار خلقه فلم يروه ﴿فلا يظهر على غيبه أحداً﴾ فيعلمه أو يريه إياه، ﴿إلا من ارتضى من رسول فإنه﴾ يظهره على ما شاء من ذلك، وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل)[1].

وقال ابن كثير بنحو ما قال[2].

وقال الإمام القرطبي ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (قال العلماء ـــ رحمة الله عليهم ـــ : لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأطلعهم على ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم)[3].

الوجه الثاني: أن هذا هو معنى الآية الكريمة ولم يرد لها معنى آخر عند علماء الأمة ولا عامتها قبل أن تظهر ادعاءات الصوفية بما ادعوه ولا

(١) جامع البيان ١٢١/١٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٧٥/٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٨/١٩.

يحل لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقيد ما أطلقه الله ـ عز وجل ـ أو يطلق ما قيده الله ـ سبحانه وتعالى ـ وإلا فإنه يكون بذلك مستدركاً على خالقه، ولا ينـزلق في هذا الدرك إلا من حرم الإيمان والعقل، وإلا فمن يجرؤ أن يزعم أن الآية القرآنية ليست مطابقة للواقع؛ إذ أن الله خص بنص الآية الرسل من بقية الخلق بمعرفة الغيب، فإذا زعم أحد أن غير الرسل مستثنون من العموم مع الرسل كالأولياء أو نحوهم، فإن ذلك استدراك على الله ـ عز وجل ـ وهذا خذلان نعوذ بالله منه، وتحريف الكلام عن مواضعه كما كانت أفعال اليهود الذين ذمهم بقوله:

﴿من الذين هادوا يحرمون الكلم عن مواضعه﴾ [١].

وقال: ﴿وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾ [٢].

الوجه الثالث: أن مثل هذا القول يفتح الباب لمن يريد هدم الشريعة الإسلامية، فيصبح كل من خطرت له فكرة أو عنَّت له بدعة أخذ النصوص وحرفها، أو صرف معانيها إلى ما يريده من بدعة أو هوى أو شهوة. فالله المستعان.

أما قوله: **إن سبب اطلاع الرسول على الغيب رَضِي الله عنه.** والصديق والولي رضي الله عنهما؛ واكتفى بذكر الرسول دون الولي؛ لأن

---

(١) النساء (٤١).

(٢) البقرة (٧٥).

الرسول أولى بذلك منه.

فالجواب عليه أن نقول: إن الأمر ليس كذلك وإنما السبب الأكبر في ذلك هو الرسالة والنبوة والرضى سبب آخر، فليس كل من رضي الله عنه أطلعه على الغيب وإلا لكان الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ يعلمون الغيب، لأن الله رضي عنهم كما أخبر بذلك في قوله: ﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعون تحت الشجرة. . .**﴾[1].

ولو كان الأمر كذلك لتواتر عنهم معرفة الغيب، ولكن الذي نقل عنهم القول بأن الغيب لا يعلمه إلا الله تمسكاً منهم بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وأما تعليلاته بأمثلة ضربها ليبرر بها ما ذهب إليه فهي تعليلات باطلة لا يصح أن تبنى عليها العقائد، لأن العقائد لا تؤخذ من الأمثلة والعقول، فما ورد عن الله ورسوله فهو شرع لنا لا يجوز أن نتعداه وإن خالفه العقل السقيم، وإلا فالعقل الصحيح لا يخالف النقل الصحيح، ولا أصح من هذه الآية، وقد دلت دلالة صريحة على أن الغيب من خصائص الله لا يعلمه أحد سواه؛ إلا من ارتضى من رسول فقط؛ فإنه يطلعه على ما أراد من الغيب. والله تعالى أعلم.

---

(١) الفتح (١٨).

الفصل الثالث

الكشف عند الصوفية



تعريف الكشف:

هو رفع الشيء عما يواريه ويغطيه، يقال كَشَفَهُ يَكْشِفُهُ كَشْفاً؛ وكشفه فانكشف وتكشَّفَ أي ظهر[(١)].

وفي الحديث: «لو تكاشفتم ما تدافنتم» [(٢)] أي لو علم بعضكم سريرة بعض لاستثقل تشييع جنازته ودفنه[(٣)].

وقد عرفه الغزالي ــ رحمه الله تعالى ــ بقوله: (هو علم الباطن وغاية العوالم.. وهو علم الصديقين المقربين .. فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة...

ثم قال: (فنعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور اتضاحاً يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه، وهذا ممكن في جوهر الإنسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا) [(٤)].

وعرفه القشيري بقوله: (هو حضوره بنعت البيان غير مفتقر في هذه

---

(١) لسان العرب ٩/٣٠٠ مادة كشف.

(٢) يشهد له ما رواه مسلم من حديث أنس وزيد بن ثابت وفيه: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر» صحيح مسلم (ح ٢٨٦٧)، وأخرجه النسائي أيضاً في الجنائز باب عذاب القبر وأحمد ٣/١٠٣، ١١١.

(٣) النهاية في غريب الحديث ٤/١٧٦.

(٤) الإحياء ١/٢٦-٢٧.

الحالة إلى تأمل الدليل، وتقلب السبيل، ولا مستجيراً من دواعي الريب ولا محجوب من نعت الغيب) [١].

وأشار ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ إلى الكشف بقوله: (فما كان من باب الخوارق من «باب العلم» فتارة بأن يسمع العبد ما لا يسمعه غيره، وتارة بأن يرى ما لا يراه غيره يقظة ومناماً، وتارة بأن يعلم ما لا يعلم غيره وحياً وإلهاماً، أو إنزال علم ضروري أو فراسة صادقة، ويسمى كشفاً ومشاهدات، ومكاشفات ومخاطبات فالسماع مخاطبات؛ والرؤية مشاهدات والعلم مكاشفة ويسمى ذلك كله «كشفاً» أي كشف له عنه) [٢].

(١) الرسالة القشيرية ٤٠.

(٢) مجموع الفتاوى ٣١٣/١١.

أنواعه:

الكلام على الكشف مثل الكلام على التحديث والإلهام والرؤيا، فمنه ما هو حق صحيح، ومنه ما هو باطل غير صحيح.

قال ابن تيمية ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (..إن المكاشفات يقع فيها من الصواب والخطأ نظير ما يقع في الرؤيا وتأويلها والرأي والرواية، ليس شيء معصوم على الإطلاق إلا ما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم)[1].

فالنوع الأول: الكشف الصحيح وهو الموافق المطابق الذي بعث به رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وأنزلت به الكتب وأرسلت به الرسل.

والباطل هو المخالف لذلك.

قال ابن القيم ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (الكشف الصحيح: أن يعرف الحق الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه.. ويجرد إرادة القلب له فيدور معه وجوداً وعدماً، هذا هو التحقيق الصحيح، وما خالفه فغرور قبيح)[2].

فهذا القسم من الكشف يقع لأولياء الله الصالحين، فإنه يتجلى للمطيعين أمور يكشفها الله ـــ عز وجل ـــ لهم يكون فيها تأييد لهم على

---

(١) مجموع الفتاوى ٤٢٩/١١.

(٢) مدارج السالكين ٢٣٦/٣.

التمسك بدينه، وإظهار الحجة للناس لحملهم على التمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وتطبيقهما باطناً وظاهراً (فإن كرامات أولياء الله ــ عز وجل ــ كمعجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لم يخرجها إلا لحجة أو حاجة. فالحجة ليظهر بها دين الله ليؤمن الكافر ويخلص المنافق ويزداد الذين آمنوا إيماناً، فكانت فائدتها اتباع دين الله علماً وعملاً، كالمقصود بالجهاد، والحاجة كجلب منفعة يحتاجون إليه...) [1].

وهذا الكشف الصادق هو الذي قال عنه عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ: (اقتربوا من أفواه المطيعين واسمعوا منهم، فإنه تتجلى لهم أمور صادقة) [2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ معلقاً على قول عمر ــ رضي الله عنه ــ: (هذه الأمور الصادقة التي أخبر بها عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ هي الأمور التي يكشفها الله عز وجل لهم فقد ثبت أن لأولياء الله مخاطبات ومكاشفات فأفضل هؤلاء في هذه الأمة بعد أبي بكر عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنهما ــ فإن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر) [3].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٣٥/١١.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٠٥/١١.

(٣) مجموع الفتاوى ٢٠٥/١١.

وهذا النوع من الكشف هو المسمى بالكشف الرحماني، لأن سببه طاعة الله عز وجل فيؤيد أولياءه بمثل هذه الكشوفات كما وقع لأبي بكر حينما أخبر أن ببطن زوجته أنثى[(١)].

ووقع لعمر ـــ رضي الله عنه ـــ في قصته مع سارية[(٢)] وفي إخباره بمن يخرج من ولده فيكون عادلاً. وأيضاً ما وقع لصاحب موسى [الخضر] حينما أخبر بأن الغلام سيرهق أبويه طغيانا وكفراً فقتله رحمة بأبويه...[(٣)].

قال ابن القيم ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (الكشف الرحماني من هذا النوع هو مثل كشف أبي بكر لما قال لعائشة ـــ رضي الله عنها ـــ إن امرأته حامل بأنثى، وكشف عمر ـــ رضي الله عنه ـــ لما قال يا سارية الجبل. وأصناف هذا من كشف أولياء الرحمن.. وأفضله وأجله أن يكشف للسالك عن طريق سلوكه ليستقيم عليه، وعن عيوب نفسه ليصلحها، وعن ذنوبه ليتوب عنها.

فما أكْرَمَ اللهُ الصادقينَ بكرامةٍ أعظم من هذا الكشف، وجعلهم منقادين له عاملين بمقتضاه، فإذا انضم هذا الكشف إلى كشف تلك الحجب المتقدمة على قلوبهم سارت القلوب إلى ربها سير الغيث إذا استدبرته الريح)[(٤)].

---

(١) تقدم انظر (ص ٤٢٣).

(٢) تقدم انظر (٤٦٠).

(٣) انظر مجموع الفتاوى ٢٣٨/١١.

(٤) مدارج السالكين ٢٣٨/٣.

سبب هذا النوع من الكشف:

هذا الكشف من ثمرات التقوى الناتجة عن اتباع شرع الله عز وجل والاقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم والإخلاص في القول والعمل، وبلوغ أعلى مراتب الإيمان حتى يصل في عبادته إلى مرتبة الإحسان فيعبد الله كأنه يراه...

قال ابن القيم ـــ رحمه الله تعالى ـــ (إذا بلغ العبد مقام المعرفة إلى حد كأنه يطالع ما اتصف به الرب ـــ سبحانه وتعالى ـــ من صفات الكمال، ونعوت الجلال، وأحست روحه بالقرب الخاص الذي ليس هو كقرب المحسوس من المحسوس، حتى يشاهد رفع الحجاب بين روحه وبين ربه، فإن حجابه هو نفسه، وقد رفع الله سبحانه وتعالى عنه ذلك الحجاب بحوله وقوته: أفضى القلب والروح حينئذ إلى الرب فصار يعبد الله كأنه يراه، فإذا تحقق بذلك وارتفع عنه حجاب النفس وانقشع عنه ضبابها ودخانها كشطت عنه سحبها وغيومها فهناك يقال له:

بدا لك سر طال عنك اكتتامه ... ولاح صباح كنت أنت ظلامه
فأنت حجاب القلب عن سر غيبه ... ولولاك لم يطبع عليه ختامه
فإن غبت عنه حل فيه وطنبت ... على منكب الكشف المصون خيامه
وجاء حديث لا يمل سماعه ... شهي إلينا نثره ونظامه
إذا ذكرته النفس زال عناؤها ... وزال عن القلب الكئيب قتامه

ذكره ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ [1].

ومع هذا فهذا النوع من الكشف ظن وتخمين.

النوع الثاني: الكشف الباطل:

وهو على قسمين:

أحدهما: ما يحصل من طريق وسوسة النفس وإيحائها.

والآخر: ما يحصل من إيحاء الشياطين ووسوستهم أو من كليهما فقد جاء في الحديث وصف النفس «بأنها تتمنى وتشتهي» [2] فهي مصدر مؤثر على الأعمال الظاهرة والباطنة، وكذلك الإخبار بأن للشياطين لمة كما أن للملك لمة.

فأما القسم الأول: فإن له تأثير في ما ينكشف للعبد؛ كما صرح بذلك أهل السلوك فإنه قد يكون الكشف تخيلا موافقاً لحديث النفس، فكثيراً ما يكشف للرجل بما يوافق رأيه وهواه سواءً كان حقاً أو باطلاً، وكذلك تجد في المتصوفة من ينتسب إلى قول أهل الحديث ويزعم أنه يكشف له بصحة مذهبه، وهكذا تجد فيهم الأشعري والمعتزلي والمتفلسف وغيرهم، وكل يكشف له بصحة مذهبه وبطلان مذهب مخالفه، وكل

---

(١) مدارج السالكين ٣/٢٣٢.

(٢) متفق عليه عن أبي هريرة ولفظه: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة: فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه» البخاري (ح ٦٢٤٣)، ومسلم (ح ٢٦٥٧)، وأحمد ٢/٢٧٦.

منهم لا يكذبه ولكنه يكذب كشفه، وقد يكشف لأحدهم بما يوافق مقالات الفرق التي ينتسب إليها؛ وإن لم يكن قد عرف تلك المقالات من قبل، وكأنه لحسن ظنه بهم وحرصه على موافقتهم إنما تتجه همته إليهم فيقرأ أفكارهم وترتسم في مخيلته أحوالهم.

فهذا النوع من الكشف يكون إذاً تبعاً للهوى، فغايته أن يؤيد الهوى ويرسخه في النفس ويحول بين صاحبه وبين الاعتبار والاستبصار، فكأن الساعي في أن يحصل له الكشف إنما يسعى في أن يضله الله ـ عز وجل ـ كما قال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾[2].

فلا ريب أن من التمس الهدى من غير الصراط المستقيم مستحق أن يضله الله ـ عز وجل ـ[3].

فاتباع الهوى قد يخرج الإنسان من الإسلام، فإن النفس أمارة بالسوء كما قال تعالى: ﴿. . إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم﴾[4].

---

(١) الجاثية (٢٣).
(٢) القصص (٥٠).
(٣) انظر التنكيل ٢/٢٤٢- ٢٤٣.
(٤) يوسف (٥٣).

فمن أطلق لنفسه العنان سبحت به في بحر الشهوات والشبهات وقادته إلى ما تهوى النفس وتريد، وقد تظهر له كشوفات تحسن له مذهبه زيادة في إغوائه وتضليله...

فإن الإنسان إذا أحب شيئاً وبالغ في حبه وحرص على حصوله فإنه يتخيل ذلك الشيء في يقظته ومنامه.

وأما القسم الثاني فهو الكشف الباطل:

وهو الذي يحصل من الشيطان وأعوانه وهو كثير جداً. وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على أن الشياطين يتخذون شتى الوسائل والسبل ليضلوا بني آدم عن سبيل الله ويصرفوهم عن طريق الحق.

وقد اتخذ الشيطان على نفسه عهداً بإغواء بني آدم؛ قال تعالى حكاية عن إبليس: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك من المخلصين...﴾[١].

وقال تعالى عنه أيضاً: ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾[٢].

فالشياطين لها دور فيما يحصل من كشوفات لبعض العباد الذين ابتعدوا عن هدي النبي صلى الله عليه وسلم في العبادة والتقرب إلى الله؛ خاصة فيما يسميه المتصوفة بالسماع فإنه يحصل لهم كشوفات يظنونها من

(١) سورة ص (٨٢).

(٢) الأعراف (١٧).

الرحمن وهي من الشياطين التي تلعب بهم وتحضر مجالسهم المليئة بالطرب والسماع المحرم.

قال ابن تيمية ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (وقد كوشف جماعات من أهل المكاشفات بحضور الشياطين في مجامع السماعات الجاهلية: ذات المكاء والتصدية وكيف يمكر الشيطان عليهم حتى يتواجدوا الوجد الشيطاني، حتى إن بعضهم صار يرقص فوق رؤوس الحاضرين، ورأى بعض المشايخ المكاشفين أن شيطانه قد احتمله حتى رقص به فلما صرخ بشيطانه هرب وسقط ذلك الرجل) [(١)].

فآثار الشياطين تظهر في أهل السماعات وغيرهم ممن اتبع هواه وسلك غير سبيل المؤمنين، تظهر فيهم الكشوفات والاطلاع على بعض المغيبات النسبية التي تخبرهم بها شياطينهم، وهذا إمعان من الشياطين في إغوائهم وتضليلهم وعقاب من الله لهم جزاء إعراضهم عن سبيل المؤمنين كما قال تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾ [(٢)].

وقد زُيِّن لهم سوء عملهم فرؤوه حسناً كما قال تعالى: ﴿أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم﴾ [(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى ٦٤٢/١١.

(٢) النساء (١١٥).

(٣) محمد صلى الله عليه وسلم (١٤).

والكشف الذي يحصل بهذا النوع هو كشف مشترك بين كثير من الناس المؤمن والكافر والصالح والفاسق فلا يختص بطائفة دون أخرى.

قال ابن القيم ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (وهذا الكشف مشترك بين المؤمنين والكفار والأبرار والفجار، كالكشف عما في دار إنسان، أو عما في يده، أو تحت ثيابه، أو ما حملت به امرأته بعد انعقاده ذكراً أو أنثى! وما غاب عن العيان من أحوال البعد الشاسع ونحو ذلك، فلأنه يكون من الشيطان تارة ومن النفس تارة ولذلك يقع من الكفار كالنصارى وعابدي النيران والصلبان، فقد كاشف ابن صياد النبي صلى الله عليه وسلم بما أضمره له وخبأه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما أنت من إخوان الكهان» [(١)].

فأخبر أن ذلك الكشف من جنس كشف الكهان وأن ذلك قدره.

وكذلك مسيلمة الكذاب ـــ مع فرط كفره ـــ يكاشف أصحابه بما فعله أحدهم في بيته وما قال لأهله؛ يخبره به شيطانه ليغوي الناس.

وكذلك الأسود العنسي، والحارث المتنبي الدمشقي الذي خرج في دولة عبد الملك بن مروان، وأمثال هؤلاء ما لا يحصيهم إلا الله، وقد رأينا نحن وغيرنا منهم جماعة. وشاهد الناس من كشف الرهبان عباد الصليب ما هو معروف) [(٢)].

---

(١) تقدم تخريجه انظر (ص ٣٨٥).

(٢) مدارج السالكين ٣/٣٨ بتصرف في أوله.

منــــزلة الكشف:

الكشف لا يدل على ولاية لله ولا قرب منه، وقد تقدم أنه قد يقع من الكافر والفاسق كما يقع من المؤمن. فمن اعتبر مجرد خرق العادة لأحدهم بكشف يكشف له أو بتأثير يوافق إرادته هو كرامة من الله له [فهو مخطئ] فإنه قد يكون في الحقيقة إهانة، فإن الكرامة لزوم الاستقامة وإن الله لم يكرم عبده بأعظم من موافقته بما يحبه ويرضاه)[١].

إذا تقرر هذا فاعلم أن عدم الخوارق علماً وقدرة لا تضر المسلم في دينه فمن لم ينكشف له شيء من المغيبات ولم يسخر له شيء من الكونيات لا ينقصه ذلك في مرتبته عند الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ بل قد يكون عدم ذلك انفع في دينه[٢].

وهناك جانب آخر وهو أنه ليس كل عمل أدى إلى الكشف يكون أفضل من العمل الذي لا يؤدي إلى ذلك.

قال ابن تيمية ـــ رحمه الله تعالى ـــ: (ليس كل عمل أورث كشوفاً أو تصرفاً في الكون أفضل من العمل الذي لا يورث كشفاً وتصرفاً، فإن الكشف والتصرف إن لم يكن مما يستعان به على دين الله؛ وإلا كان من متاع الحياة الدنيا، وقد يحصل ذلك للكفار والمشركين وأهل الكتاب، وإن لم يحصل لأهل الإيمان الذين هم أهل الجنة، وأولئك

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/٢٩-٣٠، وانظر الفتاوى أيضاً ١٠/١٧٢.

(٢) انظر مجموع الفتاوى ١١/٣٢٣.

أصحاب النار)[١].

فتبين بعد هذا أن من وقع منه كشف ليس بأفضل ممن لم يقع له كشف، لذلك كان السلف ـــ رضوان الله عليهم ـــ إذا وقع لهم شيء من ذلك بادروا بالاستغفار والتوبة خوفاً من أن يكون استدراجاً لهم[٢].

الكشف وعلم الغيب:

تبين مما سبق أن الكشف يمكن أن يؤدي إلى الإطلاع على بعض الغيوب النسبية التي هي موجودة محسوسة، وليست خارجة عن المحسوس وتصور العقل، فإن هذا الغيب الذي اطلع عليه الشخص عن طريق الكشف غيب حسي قد غاب عن بعض الخلق وظهر للبعض الآخر، فالإطلاع عليه من باب العلم بالواقع بطريق المكاشفة.

وأما زعم بعض الناس من أنه قد يعلم عواقب أقوام بما كشفه الله لهم فهذا الكشف ليس مما لا يجوز التصديق به، فإن كثيراً ممن يظن أنه حصل له هذا الكشف يكون ظاناً في ذلك ظناً لا يغني من الحق شيئاً؛ لأن أهل المكاشفات يصيبون تارة ويخطئون أخرى، كأهل النظر والاستدلال في موارد الاجتهاد، ولهذا وجب عليهم جميعاً أن يعتصموا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن يزنوا مواجيدهم ومشاهداتهم ومعقولاتهم على الكتاب والسنة، ولا يكتفوا بمجرد الكشف والمخاطبة،

(١) مجموع الفتاوى ٣٩٨/١١.

(٢) انظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٧٧.

فإن سيد المحدثين كانت تقع له وقائع فيردها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصديقه الذي هو أعلى منه وأكمل فإنه يأخذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمحدث يحدث عن قلبه) [(١)].

أما ما يزعم بعض غلاة المتصوفة من أن لهم علامات يميزون بها بين ما هو حق وما هو باطل فهي دعوىً باطلة تحتاج إلى دليل من الشرع؛ لأن معرفة صدق الكشف من كذبه لا تعرف إلا بميزان الوحي والكتاب والسنة، وهو ما ذكره أبو سليمان الداراني[(٢)] ــ رحمه الله تعالى ــ حيث قال: (ربما تقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياماً فلا أقبل منه شيء إلا بشاهدتين عدلين الكتاب والسنة) [(٣)].

فهذا هو الحق والمقصود بالشهادة هو: الشهادة الصريحة التي يفهمها أهل العلم بالكتاب والسنة على النهج الذي كان يفهمها السلف.

أما ما يفعله المتصوفة من تحريف النصوص لتوافق أهواءهم فهذا أشنع وأفظع من تحريف الباطنية[(٤)] وهذا الفعل لا يشهد لكشفهم، بل

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٦٥/١١) وانظر الأثر في البداية والنهاية ٢٥٥/١٠ . وطبقات الصوفية ٧٧ــ٨٧ و ونتائج الأفكار القدسية ١١٤/١.

(٢) هو عبد الرحمن بن أحمد، وقيل عطية، وقيل ابن عسكر العَنْسِي الداراني، من الزهاد في الدنيا، ولد في حدود سنة ١٤٠هــ وتوفي سنة ٢١٥ السير ١٨٢/١٠، وتاريخ بغداد ٢٤٩/١٠، والحلية ٢٧٢/٩.

(٣) التنكيل ٢٢٩/٢، وانظر الاعتصام ٣٤٩/٢. ودرء تعارض العقل والنقل ٣٤٩/٥.

(٤) التنكيل ٢٤٣/٢.

يشهد عليه أوضح شهادة بأنه من أبطل الباطل. وذلك لأمرين جليين:

الأول: أن النصوص بدلالتها المعروفة في اللغة حجة فإذا شهدت ببطلان قولهم علم أنه باطل.

الثاني: أنهم يعترفون بأن الكشف محتاج إلى شهادة الشرع[١]. فإن قبلوا من الكشف بتأويل الشرع، فالكشف شهد لنفسه فمن يشهد له على تأويله[٢]؟

الخلوة والكشف:

يزعم المتصوفة بأن الخلوة طريق من طرق معرفة الغيب ومعرفة الشرع وحصول العلم بلا تعلم كما ألمحت إلى ذلك فيما سبق[٣].

كما يزعمون أن المختلي حينما يتجرد من علائق الدنيا وينصرف في خلوته عن كل شيء إلا الذكر على طريقة المتصوفة، وإنه إذا استمر على ذلك أياماً فإن الفيوضات والكشوفات والمخاطبات والسماعات تبدأ تظهر له، ويبدأ العلم ينهال عليه من الله بلا واسطة، وهذا مرادهم من قولتهم المشهورة:

(أخذتم علمكم من ميت عن ميت وأخذنا علمنا من الحي الذي لا يموت) [٤].

---

(١) انظر الأنوار القدسية بهامش الطبقات الكبرى ١/٧٧-٧٨.

(٢) انظر التنكيل ٢/٢٤٣.

(٣) انظر ص ٤١٥ وما بعدها.

(٤) انظر تلبيس إبليس ٣٦١.

وفي الحقيقة أن هذه الأشياء التي تحصل بسبب الخلوة إنما هي خيالات ووساوس من الشيطان يضل بها هؤلاء الجهال كما بين ذلك ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ في قوله: (إنه يقال لمن زعم ذلك: من أين لك أن هذا من الله لا من الشيطان وإلقائه ووسوسته؟ فإن الشياطين يوحون إلى أوليائهم وينــزلون عليهم كما أخبر الله تعالى بذلك في القرآن، وهذا موجود كثيراً في عبَّاد المشركين وأهل الكهان والسحرة ونحوهم، وفي أهل البدع بحسب بدعهم، فإن هذه الأحوال من الشيطان لأن طريقها مخالف لما بعث به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد يكون سبب حصول تلك الكشوفات ومعرفة بعض الغيوب الشرك بالله؛ كالسجود للأصنام أو الشياطين كما كانت تحصل للمشركين. فإن الشياطين كانت تتراءى لهم أحياناً وقد يخاطبونهم من الصنم ويخبرونهم ببعض الأمور الغائبة، فكان الشياطين يبذلون لهم هذا النفع القليل بما اشتروه منهم من توحيدهم وإيمانهم الذي هلكوا بزواله كالسحر. قال الله تعالى: ﴿وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه...﴾ [1].

وقال: قد يكون سبب هذه الكشوفات سماع المعازف واتخاذها عبادة كما يفعل المتصوفة، فالمعازف خمرة النفوس، تفعل بالنفوس أعظم

(١) البقرة (١٠٢).

مما تفعل خمرة الكؤوس، فإذا سكروا بالأصوات حل فيهم الشرك ومالوا إلى الفواحش وعبادة الشياطين فيظلمون ويشركون ويقتلون النفس التي حرم الله ويزنون وتعينهم الشياطين على ذلك، وتخبرهم ببعض أمور الغيب؛ فهي تحضر تلك المجالس التي يوقع فيها مزمار الشيطان ويبعد ذكر عنها، ومن ثم يزعمون أنها عبادة وخلوة بالله يتقربون بها إليه؛ يظهر لهم فيها وبسببها الكشوفات والخطابات والفيوضات التي تحصل لهم بواسطة الشيطان إمعاناً في إغوائهم وإضلالهم، وهؤلاء مثلهم مثل من قال الله فيهم: ﴿إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون﴾ [١].

وقوله: ﴿. . ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾ [٢] [٣].

وبهذا يتبين أن الخلوة ليست طريقاً للكشف وإن وقع فيها فهو كشف شيطاني لا يمكن أن يكون طريقاً يتخذ لادعاء معرفة الغيب.

الكشف ورؤية الله:

هل يؤدي الكشف إلى رؤية الله؛ أو هل يمكن للمكاشف أن يرى الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ عياناً؟ هذا ما ادعاه بعض المتصوفة وخاصة المتأخرين منهم فكثيراً ما تجد في كتبهم قولهم رأيت الله وخاطبته وقال لي كذا وقلت له كذا ونحو ذلك. ويعتبرون هذا كرامة ترفع من شأن الولي.

---

(١) الأعراف (٣٠).

(٢) المجادلة (١٨).

(٣) انظر مجموع الفتاوى ١٠/٤١٥-٤١٦.

وقال صاحب المواهب السرمدية: (واختلف علماء بخارى في إمكان رؤية الله تعالى، فمنهم من نفي ومنهم من أثبت، وكانوا جميعاً من مخلصي الشيخ[١] ـــ قدس الله سره ـــ فأتوا إليه وقالوا: إنا رضيناك حكماً علينا في هذه المسألة؛ فقال للنافين أقيموا في صحبتي ثلاثة أيام متطهرين ولا تتكلموا بشيء.. فلما مضت ثلاثة أيام حصل لهم حال قوي فصعقوا، فلما أفاقوا جعلوا يقبلون قدمه الشريف وقالوا: آمنا أن الرؤية حق ثم لم ينقطعوا عن خدمته والمثابرة على تقبيل مبارك عتبته) [٢].

وسلم على الشيخ أحد مريديه فلم يرد عليه السلام فاغْبَرَّ خاطره فقال: اعتذروا له بأني كنت وقتئذ متوجهاً بِكُلِّيَتِي لسماع كلام الحق تعالى فشغلني كلام الحق عن سلام الخلق...) [٣].

فهؤلاء يدعون أنهم يرون الحق تبارك وتعالى عياناً والله ـــ عز وجل ـــ يقول ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ [٤]. وقد طلب موسى ـــ عليه السلام ـــ من ربه أن يريه نفسه فبين له أنه لن يراه في الدنيا، قال تعالى على لسان موسى ـــ عليه السلام ـــ: ﴿قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف

(١) يقصد علاء الدين العطار؛ وحديثه هذا عن ترجمته.

(٢) المواهب السرمدية ١٤٥-١٤٦.

(٣) المصدر السابق ١٣٠.

(٤) سورة الأنعام (١٠٣).

تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾ [(١)]

فهذا موسى كليم الله لم يستطع رؤية ربه في الدنيا فهل هؤلاء الذين يزعمون أنهم يرون ربهم أفضل منه؟ كلا والله.

وقد جاء في السنة قوله صلى الله عليه وسلم:« تَعَلَّموا أنه لن يرى أحد منكم ربه ــ عز وجل ــ حتى يموت» [(٢)].

وحكى محمد بن سعيد الدارمي: الإجماع على أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ لا يرى في الدنيا بعينه[(٣)].

واختلفوا في حصول ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، والصحيح أنه لم يره عياناً وإنما رأى نوراً وذلك كما دلت عليه النصوص الآتية:

سئلت عائشة رضي الله عنها هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه؟

فقالت: «سبحان الله لقد قف شعر رأسي لما قلت» [(٤)].

وقالت أيضاً: «من زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية» [(٥)].

---

(١) الأعراف (١٤٣).

(٢) رواه مسلم (ح ٢٩٣١) والترمذي (ح ٢٢٣٥).

(٣) الرد على الجهمية (٦٧).

(٤) رواه مسلم (٢٨٩)، والترمذي (ح ٣٢٧٨).

(٥) رواه مسلم (ح ٢٨٧)، والترمذي (ح ٣٢٧٨).

قال شارح الطحاوية: (لم يرد نص أنه صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعين رأسه، بل ورد ما يدل على نفي الرؤية وهو ما رواه مسلم عن أبي ذر: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك فقال: (نور أنى أراه» [(١) (٢)].

وأيضاً حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وفيه: «.. حجابه النور»

وفي رواية «النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» [(٣)].

فمن يدعي أنه يرى الله عياناً فهو كاذبا إنما يرى شيطاناً يلعب به ويضله.

قال ابن تيمية ــ رحمه الله تعالى ــ: (.. ومنهم من يرى عرشاً في الهواء وفوقه نور ويسمع من يخاطبه ويقول أنا ربك فإن كان من أهل المعرفة علم أنه شيطان فزجره واستعاذ بالله منه فيزول...) [(٤)].

وقال في موضع آخر: (وكثيراً ما يرى الإنسان صورة اعتقاده فيكون ما يحصل له بمكاشفة ومشاهدة هو ما اعتقده من الضلال، حتى إن

---

(١) رواه مسلم (ح ١٨٧)، والترمذي (ح ٨٢، ٣٢).

(٢) الطحاوية (٢١٣).

(٣) رواه مسلم (ح ١٧٩).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٨٩/١١)، وانظر درء تعارض العقل والنقل (٣٥٢/٥)، بنحوه.

النصراني يرى في كشفه التثليث الذي اعتقده. وليس أحد من الخلق معصوماً أن يُقَرَّ على خطأ إلا الأنبياء، فمن أين يحصل لغير الأنبياء نور إلهي تدرك به حقائق الغيب وينكشف له أسرار هذه الأمور على ما هي عليه بحيث يصير بنفسه مدركاً لصفات الرب وملائكته وما أعده الله في الجنة والنار لأوليائه وأعدائه؟!.

وهذا الكلام أصله من مادة المتفلسفة والقرامطة الباطنية[1].

والحاصل أن الله جل وعلا غيب فلا يمكن أن يراه الخلق حقيقة عياناً لا يقظة ولا مناماً.

قال ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ (ومن ظن من القوم أن «كشف العين» ظهور الذات المقدسة لعيانه حقيقة: فقد غلط أقبح الغلط، وأحسن أحواله أن يكون صادقاً ملبساً عليه، فإن هذا لم يقع في الدنيا لبشر قط وقد منع كليم الرحمن صلى الله عليه وسلم.. فمن ادعى كشف العيان البصري على الحقيقة الإلهية فقد وهم وأخطأ وإن قال: إنما هو كشف العيان القلبي بحيث بصير الرب سبحانه كأنه مرئي للعبد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:«أعبد الله كأنك تراه» [2].

فهذا حق وهو قوة يقين ومزيد علم فقط[3].

---

(١) انظر درء تعارض العقل والنقل ٣٥٣/٥.

(٢) رواه مسلم (ح ٨) وأبو داود (ح ٤٦٩٥) والترمذي (ح ٢٦١٠) وأحمد ٢٧/٨ وبان ماجه (ح ٦٣).

(٣) انظر مدارج السالكين ٢٣٩/٣ — ٢٤٠.

وأما ما قد يظهر للإنسان من النور فإن ذلك قد يكون خداعاً من الشيطان يخدع به العباد كما أراد أن يفعل بالشيخ عبد القادر الجيلاني[1] عندما ظهر له في المحراب فزعم أنه ربه فأنجاه الله منه بعلم.

وقد تقدم ذكر الدليل على عدم إمكانية رؤية العبد لخالقه في الدنيا وهذا يقطع الأمل لدى من توسوس له نفسه بذلك وتسد الطريق على الشياطين.

قال ابن القيم ــ رحمه الله تعالى ــ (نعم قد يظهر له نور عظيم فيتوهم أن ذلك نور الحقيقة الإلهية، وأنها قد تجلت له، وذلك غلط أيضاً فإن نور الرب لا يقوم له شيء ولما ظهر للجبل منه أدنى شيء ساخ الجبل وتدكدك)[2].

---

(١) عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جكني دوست الحسني الجيلي الحنبلي، قال الذهبي عنه: (الإمام العالم الزاهد العارف القدوة .. علم الأولياء محيي الدين .. شيخ بغداد). ولد بجيلان سنة ٤٧١هـ وقدم بغداد وتفقه فيها، توجه لطلب العلم فدرس الحديث والأصول وقرأ الأدب واشتغل بالوعظ إلى أن برَّز فيه، وقد أوقع الله له القبول جلس للوعظ سنة ٢١ وأظهر الله الحكمة على لسانه. ثم لازم الخلوة والرياضة والمجاهدة والسياحة قال الذهبي: وفي الجملة فالشيخ كبير الشأن وعليه مآخذ في بعض دعاويه، والله الموعد وبعض ذلك مكذوب عليه. السير ٢٠/٤٣٩-٤٥١، وانظر الأعلام ٤/٤٧. وفي الحقيقة أن جل ما ينقل عنه الصوفية وينسبونه إليه مكذوب عليه فقد كثر الكذب عليه بعد موته وتفنن المتصوفة في تلفيق الحكايات ونسبتها إليه وهو بريء منها وقد أثنى عليه شيخ الإسلام وغيره.

(٢) انظر مدارج السالكين ٣/ ٢٣٩-٢٤٠.

الفصل الرابع:
الرافضة وعلم الغيب

تمهيد:

الرافضة هي إحدى فرق الشيعة الضالة. ولها عقائد تخالف بها عقيدة الإسلام.

كما أنها تنفرد بمناهج وطرق خاصة بها لفهم الإسلام تخالف به الأمة الإسلامية.

فأما عقائدها فمنها ما يلي:

اعتقاد نقص القرآن.

وإسباغ صفات الألوهية على أئمتهم.

تكفير الصحابة رضي الله عنهم.

لعن الخلفاء الراشدين ما عدا عليا ـــ رضي الله عنهم جميعاً ـــ .

واتهام عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ بالفاحشة.

وغير ذلك كثير مما يكفي بعضه لإخراجهم من دائرة الإسلام.

وأما منهجها في فهم الدين فيكفي أن يعرف أنهم يزعمون أن الإمام الغائب هو الذي كان يستفتي في دين الله عن طريق الباب!!. فكتبهم مليئة بهذا مما لا يستطيع مسلم أن يقرأه لما فيه من الكفر الصريح.

فلا عقل يحكمهم، ولا نقل صحيح يوجههم، وإنما خرافات وأباطيل شوهوا بها دين الله ـــ عز وجل ـــ وأفسدوا بها صفاءه ونقاءه، فأصبحت الشيعة الرافضة طريقاً لكل من أراد حرب الدين وإفساد عقيدته؛ لما تشتمل عليه من تناقضات وانحرافات.

ونكتفي هنا بإيراد عقيدتهم في علم الغيب والتي من أجلها سأتحدث عن الرافضة في هذا الفصل.

ادعاء الرافضة علم الغيب لأئمتهم:

وردت في كتب الرافضة آثار متعددة وروايات متنوعة كلها تتحدث عن إثبات علم الغيب لأئمتهم.

وقد تضاربت الروايات عن أئمتهم في هذه المسألة، فمرة يدَّعون أن لأئمتهم علم الغيب وأخرى ينفونها عنهم.

وكلا هذين النوعين يورده الشيعة الرافضة لإثبات عقائدهم.

فالآثار المثبتة لعلم الغيب يوردونها لإثبات علم الغيب لأئمتهم.

وأما الآثار التي تنفي فإنهم يوردونها لإثبات عقيدة [التقية] التي يوجبونها ويرونها جزءً من عقيدتهم.

فليس فيها إذن نقض للإثبات على مذهب الشيعة الرافضة. وهذا هو منهج الرافضة يجمع المتناقضات والمتضادات، وهم وحدهم الذين يمكن أن يتقبلوا هذا التناقض وذلك التضاد.

ومن هذه الآثار ما يلي:

جاء في بحار الأنوار عن الصادق[1] ــ عليه السلام ــ [2] أنه قال: (والله لقد أعْطِينا علم الأولين والآخرين. فقال له رجل من أصحابه:

---

(١) هو الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ الهاشمي، أبو عبد الله المعروف بالصادق (صدوق فقيه إمام ثقة، توفي سنة ١٤٨هـ روى له الترمذي وغيره. رأى بعض الصحابة. انظر تقريب التهذيب ص ١٤١ وتهذيب التهذيب ١٠٣/٢.

(٢) هذه اللفظة لا ينبغي إطلاقها إلا على الأنبياء فقط.

جعلت فداك أعندكم علم الغيب؟ فقال له: ويحك إني لأعلم ما في أصلاب الرجال وأرحام النساء، ويحكم وَسِّعُوا صدوركم ولتبصر أعينكم ولتع قلوبكم فنحن حجة الله تعالى في خلقه، ولن يسع ذلك إلا صدر مؤمن قوي؛ قوته كقوة جبال تهامة إلا بإذن الله. والله لو أردت أن أحصي كل حصاة عليها لأخبرتكم، وما من يوم وليلة إلا والحصى تلد إيلاداً كما يلد الخلق، والله لتباغضون بعدي حتى يأكل بعضكم بعضاً)[1].

وروى الكليني عن أبي عبد الله ــ عليه السلام ــ أنه يقول: (إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنة، وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون! قال: ثم مكث هنية فرأى أن ذلك كبر على من سمعه فقال: علمت ذلك من كتاب الله عز وجل. إن الله عز وجل يقول: فيه تبيان لكل شيء)[2] [3].

ونجد رواية عند ابن رستم الطبري يذكر فيها أن للإمام علم الغيب الذي انفرد به وتفوق سلطانه في العلم به على سلطان إبليس والملائكة، وفيها يقول: عن الفضل بن عمر قال قلت لأبي عبد الله جعلت فداك ما لإبليس من السلطان؟ قال ما يوسوس في صدور الناس. قلت: ما للملك

---

(١) بحار الأنوار ٢٦/٢٧-٢٨.

(٢) لفظ الآية الصحيح هو: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾ النحل (٨٩).

(٣) الكافي ١/٢٦١.

الموت؟ قال يقبض أرواح الناس. قلت وهما سلطان على من في المشرق والمغرب؟ قال نعم. قلت: فما لك أنت؟ قال: أعلم ما في المشرق والمغرب، وما في السموات والأرض، وما في البر والبحر، وعدد ما فيهن، وذلك لا لإبليس ولا لملك الموت) [١].

ففي هذه الروايات يتضح اعتقادهم بأن أئمتهم يعلمون الغيب المطلق الذي اختص الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ بعلمه، ولكننا إذا تتبعنا كتبهم نجد فيها ما يناقض هذه الروايات من التصريح بعدم علمهم للغيب.

روى الكشي أنه قيل لأبي عبد الله: (إنهم يقولون إنكم تعلمون قطر المطر وعدد النجوم وورق الشجر ووزن ما في البحر، فقال: سبحان الله، سبحان الله، سبحان الله، والله ما يعلم هذا إلا الله) [٢].

وري أنه قيل لعلي بن أبي طالب يزعمون أنك تعلم الغيب. فقال: سبحان الله ضع يدك على رأسي فوالله ما بقيت في جسدي شعرة ولا في رأسي إلا قامت ثم قال لا والله ما هي إلا رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) [٣].

وروى الكليني عن أبي عبد الله ـــ عليه السلام ـــ قال: (يا عجباً

---

(١) دلائل الإمامة ١٢٥.

(٢) رجال الكشي ١٩٣.

(٣) الكافي ١/٢٥٢٧.

لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله ـــ عز وجل ـــ لقد هممت بضرب جاريتي فلانه فهربت مني فما علمت في أي بيوت الدار هي...).

قال [أي أبو عبد الله] فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله ـــ عز وجل ـــ أيضاً ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ ؟ قال: قلت قد قرأته جعلت فداك. قال: أفمن عنده علم الكتاب كله أفهم، أمَّن عنده علم الكتاب بعضه؟ قلت لا، بل من عنده علم الكتاب كله. قال: فأومأ بيده إلى صدره وقال: علم الكتاب والله كله عندنا، علم الكتاب والله كله عندنا) (١).

والتناقض ظاهر بين هذه الروايات وبين التي قبلها، ففي الأولى إثبات أن الأئمة يعلمون الغيب، وفي الثانية نفي ذلك العلم عنهم، ولا غرابة في ذلك لأن التناقض من عادات الرافضة لاعتقادهم بوجوب التقية، فقد يقولون قولا في مكان ويقولون ما يضاده في مكان آخر أو عند شخص آخر.

جاء في الكافي (عن ابن إبراهيم عن أبيه، عن يحيى بن أبي عمران عن يونس عن بكار بن بكر عن موسى بن أشيم قال: كنت عند أبي عبد الله (ع) فسأله عن تلك الآية من كتاب الله ـــ عز وجل ـــ فأخبره بها، ثم دخل عليه داخل فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبر [به]

---

(١) رجال الكشي ١٩٢.

الأول فدخلني من ذلك ما شاء الله حتى كأن قلبي يُشَرَّح بالسكاكين، فقلت في نفسي: تركت أبا قتادة بالشام لا يخطيء في الواو وشبهه، وجئت إلى هذا يخطيء هذا الخطأ كله، فبينا أنا كذلك إذ دخل عليه آخر فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبرني وأخبر صاحبي، فسكنت نفسي، فعلمت أن ذلك منه تقية...[١].

فنفيهم لعلم الغيب تَقِيَّة، فهم كثيراً ما يصرحون بأن لأئمتهم علم الغيب، بل إن كتاب بصائر الدرجات والكافي الذين هما أصح وأهم كتابين عندهم يَعْقِدُ فيهما مؤلفيها أبواباً في بيان أن أئمتهم يعلمون الغيب. وسيأتي ذكر شيء من ذلك إن شاء الله تعالى قريباً.

نماذج من ادعائهم للغيب:

الأئمة يعلمون ما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة:

يعتقد الرافضة أن أئمتهم يعلمون ما كان وما سيكون إلى قيام الساعة.

روى الصفار عن أبي جعفر[٢] ـ عليه السلام ـ قال: (سئل علي

---

(١) الكافي ١/٢٦٥-٢٦٦.

(٢) هو الإمام الباقر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ اشتهر أبو جعفر بالباقر. قال الذهبي: قال ابن فضيل: عن سالم بن أبي حفصة: (سألت أبا جعفر وابنه جعفراً عن أبي بكر وعمر فقالا لي: يا سالم تولهما وابرأ من عدوهما؛ فإنهما كانا إمامي هدى). السير ٤/٤٠١، وانظر العبر ١/١٤٢-١٤٨. عده النسائي وغيره من فقهاء التابعين بالمدينة. =

ـ عليه السلام ـ عن علم النبي صلى الله عليه وسلم فقال: علم النبي صلى الله عليه وسلم علم جميع النبيين، وعلم ما كان وعلم ما هو كائن إلى قيام الساعة، ثم قال: والذي نفسي بيده إني لأعلم علم النبي صلى الله عليه وسلم وعلم ما كان وما هو كائن فيما بيني وبين قيام الساعة) [(١)].

ولا شك أن نسبة علم الغيب إلى علي ـ رضي الله عنه ـ باطل وكذب وافتراء عليه، فإنه يستحيل أن يصدر مثل هذا الكفر من صحابي يُعَد من أفاضل الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ لا سيما وأنه معروف أن الكذب من دين الرافضة.

وقد بوب الكليني لذلك باباً قال فيه: (باب: أن الأئمة ـ عليهم السلام ـ يعلمون علم ما كان وأنه لا يخفى عليهم شيء ـ صلوات الله عليهم) [(٢)].

وذكر تحت ذلك الباب عدة روايات نسبها إلى أبي عبد الله محمد الباقر وإلى أبي جعفر الصادق ومن تلك الروايات ما يأتي:

قال: (.. عن سيف التمار قال: كنا مع أبي عبد الله - عليه السلام - جماعة من الشيعة في الحجر فقال علينا عين؟ فالتفتنا يمنة ويسرة

= قال ابن حجر: ثقة كثير الحديث روى له الجماعة. (ت ١١٤هـ) تهذيب التهذيب ٣٥٠/٩.

(١) بصائر الدرجات ١٤٧.

(٢) الكافي ٢٦٠/١.

فلم نر أحداً فقلنا: ليس علينا عين، فقال: ورب الكعبة ورب البنية ثلاث مرات، لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما؛ ولأنبئتهما بما ليس في أيديهما لأن موسى والخضر ـ عليهما السلام ـ أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وراثة) [١].

وبالنظر إلى هذه الرواية نظرة عابرة نجد فيها التناقض ظاهراً فكيف يزعم أنه يعلم ما كان وما يكون وهو لا يعلم هل عليهم عين أم لا؟.

وأيضا زعمهم أنهم ورثوه من النبي صلى الله عليه وسلم كذب وبهتان واضح، فقد مر معنا ذكر تبرأه صلى الله عليه وسلم من معرفة الغيب في الآيات والأحاديث الكثيرة[٢].

ويكفي أن نعرف أن زعمهم هذا فيه معارضة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

ولم يكتف الأئمة بذلك؛ بل زعموا أنهم يعلمون ما في السموات والأرض وما في الجنة والنار، ويعلمون ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى. فيا ترى ماذا بقي لله ـ سبحانه وتعالى ـ من علم الغيب؟!!.

---

(١) الكافي ٢٦١/١، وبصائر الدرجات الكبرى ١٤٩، وبحار الأنوار للمجلسي ١١٠/٢ ح ٩.

(٢) انظر الفصل الثاني من الباب الثالث.

روى الكليني قال: عدة من أصحابنا منهم عبد الأعلى وأبو عبيدة، وعبد الله ابن بشير الخثعمي سمعوا أبا عبد الله (ع) يقول إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون... [١].

وروى الكليني أيضاً عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن موسى بن عمر بن محمد بن سنان عن عمار بن مروان عن المنخل عن جابر عن أبي جعفر (ع) قال: سألته عن علم العالم، فقال لي: يا جابر إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس وروح الإيمان وروح القوة وروح الشهوة، فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى[٢].

وينسبون إلى فاطمة رضي الله عنها كذبا وزوراً علمها بالغيب، وعلمها بما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة.

وجاء في عيون المعجزات عن حارثة بنت قدامة قالت حدثني سلمان الفارسي قال حدثني عمار وقال: أخبرك عجباً؟ قلت: حدثني يا عمَّار قال: نعم شهدت علي بن أبي طالب (ع) وقد ولج علي فاطمة (ع) فلما بصرت به قالت أدن لأحدثك بما كان وما هو كائن وبما لم يكن إلى

---

(١) الكافي ١/٢٦١.

(٢) انظر الكافي ١/٢٧٣.

يوم القيامة حتى تقوم الساعة... [(١)].

فهل يصح أن يصدر هذا من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

الأئمة يعلمون آجالهم وآجال شيعتهم:

ومن اعتقادات الرافضة وخرافاتهم:

اعتقادهم بأن أئمتهم يعلمون أعمارهم ومتى يموتون، وكذلك اعتقادهم بأن أئمتهم يعرفون آجال شيعتهم ويوم هلاكهم.

روى الصفار عن أبي عبد الله (ع) أنه قال: أعطيت خصالا ما سبقني إليها أحد من قبلي، علمت المنايا والبلايا وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني و لم يعزب عني ما غاب عني، وأُبَشِّرُ بإذن الله تعالى وأودِّي عنه كل ذلك منٌّ من الله مكنني فيه بعلمه) [(٢)].

وروي أيضاً عن الحسين بن علي (ع) قوله: (عندنا علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب وأنساب العرب ومولد الإسلام) [(٣)].

ومعلوم لكل مسلم أن هذا افتراء وكذب وبهتان علي حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهؤلاء لا يتورعون من أن يُرَوِّجوا لمعتقداتهم الباطلة بالكذب علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي أهل بيته

---

(١) عيون المعجزات ص ٥٤ مجمع النورين ص ٨١.

(٢) بصائر الدرجات ٢٨٦.

(٣) بصائر الدرجات ٢٨٦.

وصحابته رضوان الله عليهم جميعا ليتخذوهم ستاراً لدينهم الباطل.

وبوب الصفّار باباً في ذلك قال فيه: (باب في الأئمة (ع) أنهم يعرفون علم المنايا والبلايا والأنساب من العرب وفصل الخطاب) [١].

وذكر تحته جمًّا من الروايات المكذوبة علي الأئمة كعلي بن أبي طالب وابنه الحسين ــ رضي الله عنهما ــ ومحمد الباقر وأبي جعفر الصادق مما لا يصح عنهم من ذلك شيء.

وبوب في موضع آخر فقال: (باب في الأئمة أنهم يعرفون متى يموتون ويعملون ذلك قبل أن يأتيهم الموت عليهم (ع) [٢] وذكر تحته روايات عديدة أقتصر علىذكر واحدة منها تدل على الباقي:

روى الصفار عن أبي عبد الله (ع) أنه أتى جعفر بليلة قبض وهو يناجي، فأومأ إليه بيده أن تأخر، فتأخر حتى فرغ من المناجات، ثم أتاه فقال: يا بني إن هذه الليلة التي أقبض فيها وهي الليلة التي قبض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: وحدثني أن أباه علي بن الحسين أتاه بشراب في الليلة التي قبض فيها وقال: اشرب هذا فقال: يا بني إن هذه الليلة التي وعدت أن أقبض فيها فقبض فيها) [٣].

---

(١) بصائر الدرجات ٢٨٦.

(٢) بصائر الدرجات ٥٠٠.

(٣) بصائر الدرجات ٥٠٢.

وروى الكليني عن أحمد بن محمد عن ابن سنان عن عبد الله بن مسكان قال سمعت أبا بصير يقول: قلت لأبي عبد الله (ع) من أين أصاب أصحاب علي ما أصابهم مع علمهم بمناياهم وبلاياهم؟ قال: فأجابني ــ شبه المغضب ــ ممن ذلك إلا منهم. فقلت: ما يمنعك جعلت فداك؟ قال: ذلك أغلق إلا أن الحسين بن علي ــ صلوات عليهما ــ فتح منه شيئاً يسيراً ثم قال: يا أبا محمد إن أولئك كانت على أفواههم أوكية.. [1].

ورى في موضع آخر عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله (ع): (أي إمام لا يعلم ما يصيبه وإلى ما يصير فليس ذلك بحجة لله على خلقه)[2].

وبوب لذلك باباً قال فيه: باب أن الأئمة ــ عليهم السلام ــ يعلمون متى يموتون وأنهم لا يعلمون إلا باختيار منهم) [3].

وروي عن موسى بن جعفر قوله: (.. أنا غداً أحْضر وبعد غدٍ أموت) [4].

وكلامهم في هذا الباب كثير يطول ذكره[5].

أما زعمهم بأنهم يعلمون آجال شيعتهم ويوم هلاكهم فحسبنا أن

---

(١) الكافي ١/٢٦٤- ٢٦٥.

(٢) الكافي ١/٢٥٨، بصائر الدرجات ٥٠٢.

(٣) الكافي ١/٢٥٩.

(٤) راجع بصائر الدرجات ٢١٩، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٦، ٥٠٠، ٥٠٤، والكافي ٢٥٨ وما بعدها.

(٥) انظر بصائر الدرجات ٢٨٢.

نذكر منه ما رواه الصفار في باب سماه (باب في الأئمة ـــ عليهم السلام ـــ أنهم يعرفون آجال شيعتهم وسبب ما يصيبهم). وذكر تحته ستة عشر رواية كلها في ذلك[1].

قال الصفّار حدثنا الحسن بن علي بن فضالة عن معاوية بن إسحاق قال كنت عند أبي الحسن (ع) فدخل عليه رجل فقال له أبو الحسن (ع) يا فلان إنك تموت إلى شهر قال: فأضمرت في نفسي كأنه يعلم آجال شيعته. قال إسحاق وما تنكرون من ذلك؟ وقد كان رشيد الهجري مستضعفاً وكان يعلم علم المنايا والبلايا، فالإمام أولى بذلك. ثم قال: يا إسحاق تموت إلى سنتين ويشتت أهلك وولدك وعيالك وأهل بيتك ويفلسون إفلاساً شديداً) [2].

وروى أيضا سيف بن عميرة قال: (سمعت العبد الصالح أبا الحسن ـــ عليه السلام ـــ ينعي إلى رجل نفسه فقلت في نفسي: وأنه ليعلم متى يموت الرجل من شيعته فقال شبه المغضب يا إسحاق قد كان رشيد الهجري يعلم علم المنايا والبلايا فالإمام أولى بذلك) [3].

وروى الكليني عن أبي جعفر قوله: (لو كان لألسنتكم أوكية لحدثت كل إمرئ بما له وما عليه) [4].

---

(١) بصائر الدرجات ٢٨٢.

(٢) بصائر الدرجات ٢٨٥.

(٣) بصائر الدرجات ٢٨٤.

(٤) الكافي ١/٢٦٤، بصائر الدرجات ٤٤٢، واللفظ للكافي.

وهذا لا شك أن فيه مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة فأين هؤلاء من قوله تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ [(١)].

وأين هم من قوله تعالى: ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ [(٢)]. فيأبي هؤلاء الرافضة إلا أن يُكْذِبوا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويزعمون أن لهم علم الغيب الذي اختص الله ــ سبحانه وتعالى ــ به.

الأئمة يعلمون الغيب متى أرادوا:

مما يظهر التناقض عند الرافضة في أوضح صورة وأجلاها عندما ينفي الإمام عن نفسه العلم بالغيب ثم يستدرك فيزعم أنه متى ما أراد أن يعلم الغيب فإنه يستطيع ذلك.

يقول الصفار حدثنا أحمد بن الحسين بن علي بن فضّال عن عمر بن سعيد المدايني عن مصدق بن صدقة عن عمار الساباطي، أو عن أبي عبيدة عن عامر الساباطي قال سألت أبا عبيد الله ــ عليه السلام ــ عن الإمام أيعلم الغيب؟ قال: لا ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء علّمه الله ذلك..)[(٣)].

---

(١) لقمان ٣٤.

(٢) النمل (٦٥).

(٣) بصائر الدرجات ٣٣٥، الكافي ٢٥٧/١.

وروى أيضا عن أبي عبيد الله أن العالم إذا شاء أن يعلم علم.

فالإمام ينفي عن نفسه علم الغيب ولكنه يستدرك ويعلقه بإرادته، فمتى ما أراد أن يعلمه أعلمه الله بذلك. وهذا الكلام فيه تناقض عجيب إذ لا مسوغ لنفي علم الغيب عنه إذا كانت النتيجة أنه يعلم الغيب متى ما أراد.

ويظهر هذا التناقض بكل وضوح عندما يثبت الإمام لنفسه الإطلاع على مكنون الكون وأسراره فلا يعزب عنه مثقال حبة في الأرض إلا يعلمها دون أن يحتاج إلى أن يعلمه الله به؛ لأنه يعلم ذلك من نفسه.

وروى المفيد بسنده قال: قال أبو عبد الله ـــ عليه السلام ـــ: (إن الدنيا لتمثل للإمام في مثل قلعة الجواز فلا يعزب عنه منها شيء، وإنه ليتناولها من أطرافها كما يتناول أحدكم من فوق مائدته ما يشاء)[١].

من أين يستمد الرافضة علم الغيب؟:

يعتقد الرافضة أن لأئمتهم مصادر إلهية يتلقون منها العلوم الغيبية والشرعية لأنهم نور الله في الأرض، وحجته التي لا يمكن أن تخلوا الأرض منها لأنها لو خلت حجة الله من على أرضه لساخت[٢].

فالإمام حجة الله في أرضه لا يحجب عنه ما في السماء ولا في الأرض.

---

(١) الاختصاص ٢١٧، باب قدرة الإئمة وما أعطو من ذلك.

(٢) الكافي ١/١٧٩.

روى الكليني عن أبي حمزة قال: سمعت أبا جعفر (ع) يقول: (لا والله لا يكون عالم جاهلا أبدا عالماً بشيء جاهلاً بشيء. ثم قال: والله أجل وأعز وأكرم من أن يفرض طاعة عبد ثم يحجب عنه علم سمائه وأرضه، ثم قال: لا يحجب ذلك عنه) [(١)].

ومتى أوجب الله على الخلق طاعة عبد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة مطلقة؟ إن الذي أوجبه الله وأمر به الرسول صلى الله عليه وسلم هو طاعة الله وحده فقط. ونهى عن طاعة غيره من العبيد فيما لم يشرعه الله عز وجل ــ وقد دل القرآن الكريم على ذلك في غير ما آية.

قال تعالى: ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾ [(٢)].

ودلت السنة على ذلك أيضاً كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» [(٣)].

وأي كفر أعظم من ادعاء نزول الوحي على الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا خاتم النبيين» [(٤)].

---

(١) الكافي ٢٦٢/١.

(٢) لقمان ١٥.

(٣) رواه الإمام أحمد ١٣١/١، ٤٠٩، ٦٦/٥ وقال أحمد شاكر إسناده صحيح في تحقيقه للمسند (ح ١٠٩٥).

(٤) رواه مسلم (ح ٢٢٨٦).

فلا نبي بعده أبداً.

وأي كفر أعظم من ادعاء علم الغيب؟ وقد قال تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ [(١)].

ولكن هؤلاء قد مسخ الله قلوبهم بسبب حقدهم الدفين على الإسلام وأهله، وقد تحقق فيهم قوله تعالى: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا به يكسبون﴾ [(٢)].

ولم يكتفوا بذلك بل زعموا أن الوحي ينـــزل على أئمتهم صباح مساء.

روى الكليني في كافية: (أن المفضَّل كان عند أبي عبد الله فقال له المفضل: جعلت فداك يفرض الله طاعة عبد على العِباد ويحجب عنه خبر السماء؟ قال: لا، الله أكرم وأرحم وأرأف بعباده من أن يفرض طاعة عبد على العباد ثم يحجب عنه خبر السماء صباحاً ومساءً) [(٣)].

وزعم الرافضة أيضاً: أن مع أئمتهم مخلوق من خلق الله أعظم من جبريل ــ عليه السلام ــ يسددهم ويعلمهم.

روى الكليني عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله (ع) عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما

(١) النمل (٦٥).

(٢) المطففين (١٤).

(٣) الكافي ١/٢٦١.

الكتاب ولا الإيمان﴾ [(١)] قال خلق من خلق الله ـــ عز وجل ـــ أعظم من جبريل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده) [(٢)].

وفي رواية له أخرى قوله: (وهو مع الأئمة وهو الملكوت) [(٣)].

ثم بين الكليني وقت تلقيهم وكيفية تلقيهم للوحي وذلك بصعود أرواحهم إلى السماء وطوافها بالعرش والتقائها مع أرواح الأنبياء والأوصياء.

روى الكليني عن أبي يحيى الصنعاني عن أبي عبد الله (ع) قال: قال لي: يا أبا يحيى إن لنا في ليالي الجمعة لشأناً من الشأن، قال: قلت جعلت فداك وما ذاك الشأن؟ قال: يؤذن لأرواح الأنبياء الموتى ـــ عليهم السلام ـــ وأرواح الأوصياء الموتى وروح الذين بين ظهرانيكم، يعرج بها إلى السماء حتى توافي عرش ربها فتطوف به أسبوعاً وتصلي عند كل قائمة من قوائم العرش ركعتين قد ملؤوا سروراً، ويصبح الوصي الذي بين ظهرانيكم وقد زيد في علمه مثل جمّ الغفير) [(٤)].

---

(١) الشورى (٥٢).

(٢) الكافي ١/٢٧٣، (ح ١-٣).

(٣) الكافي ١/٢٧٣، (ح ١ـــ٣).

(٤) الكافي ١/٢٥٣-٢٥٤.

وعلى ما في هذا من ركاكة في الأسلوب فإن التناقض فيه ظاهر لكل قارئ ولو كانت قراءته عابرة. فكيف يتصور أن تعرج أرواح الأوصياء كل ليلة جمعة مع أنها تبقى تطوف بالعرش أسبوعاً فمتى تنـــزل إذاً؟ فيلزم من هذا أن تكون أرواح الأوصياء في السماء تطوف بالعرش دائماً، ثم بأي شيء يكون الوصي حياً بعد صعود روحه، أيموت؟ أم أن له روحين فتصعد واحدة وتبقى الأخرى؟ هذا لا يمكن أن يقع ولا يتصوره عاقل. أم أنهم يموتون أو يبقون نائمين طيلة تلك الأسابيع حتى ترد إليهم أرواحهم؟.

وهذا يدل على سخافة عقول الرافضة حتى أنهم عجزوا عن تلفيق الكذب وحبكه، وهذا هو حال الكذاب فإنه يتناقض من حيث لا يشعر، وحال من اتبع هواه وختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة ﴿فمن يهديه من بعد الله﴾ [(١)]؟ وحال من ﴿زين له سوء عمله فرآه حسناً﴾ [(٢)] والعياذ بالله.

وقد تمادوا في غيهم وضلالهم وجهلهم وحقدهم للإسلام والمسلمين حينما زعموا أن أئمتهم خزائن علم الله ـــ عز وجل ـــ فماذا يبقى لله عز وجل من العلم الذي يختص به إذا كانوا هم خزنة علمه؟

---

(١) الجاثية (٢٣).

(٢) فاطر (٨).

روى الكليني عن أبي عبد الله (ع) أنه قال: (إن الله ـــ عز وجل ـــ خلقنا فأحسن خلقنا، وصورنا فأحسن صورنا وجعلنا خزّانه في سمائه وأرضه، ولنا نطقت الشجرة! وبعبادتنا عبد الله عز وجل ولولانا ما عبد الله) [١]!

سبحانك هذا بهتان عظيم، ما أجرأ الرافضة على حقوق الله عز وجل!! وما أحلم الله عنهم، ما عبد الله إلا بفضلهم؟ إذن ما بقي إلا أن يزعموا أنهم أرباباً من دون الله يضاهئون الله في خلقه وعبادته، وقد زعموا.

أيزعمون أن لهم فضل على الله. وقد قال الله ـــ جل وعلا ـــ في الحديث القدسي: «من ذا الذي يتألى علي؟» [٢] سبحان الله وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

والكلام في هذا يطول فكتبهم فيها مستنقعات كبيرة من أوحال هذا العفن والقذر، فالله المستعان على ما يصفون.

---

(١) الكافي ١/١٩٣.

(٢) رواه مسلم (ح ٢٦٢١).

الفصل الخامس

بعض الآثار المترتبة على ادعاء الغيب



بعض الآثار المترتبة على ادعاء الغيب:

يترتب على ادعاء الغيب مفاسد عظيمة ومهالك جسيمة، أذكر بعضا منها على سبيل الاختصار والاقتصار، لا على سبيل الحصر والتعداد.

١ـ انتقاص الله ـ سبحانه وتعالى ـ في ربوبيته وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته، فالتصرف في الكون أو ادعاء الإحاطة بمعرفة ما فيه وما يحدث أو ما سيحدث فيه، كل هذا انتقاص من ربوبية الله ـ عز وجل ـ الذي أحاط بكل شيء علماً، كما قال تعالى: ﴿لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾[١].

فأي انتقاص أعظم من هذا الانتقاص حينما يزعمون أنهم مشاركون لله ـ سبحانه وتعالى ـ في ملكه بالعلم والإحاطة بما فيه وما سيحدث فيه.

ويكون انتقاصاً في ألوهية الله ـ عز وجل ـ حينما يزعمون أنهم مشاركون له في أسمائه وصفاته بادعاء علم الغيب، فيموهون الناس ويخدعونهم بهذا الادعاء كما أنهم يصرفونهم عن عبادة الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلى عبادتهم والتعلق بهم من دون الله، والغلو فيهم، مما يؤدي إلى صرف العبادة الواجبة المتسحقة لله ـ سبحانه وتعالى ـ إليهم، لا سيما وقد قال الرافضة كما سبق ذكره: (وبعبادتنا عبد الله ولولانا ما عبد

---

(١) الطلاق (١٢).

الله)[١].

هذا فضلا عن زعمهم مشاركة الله في صفات الربوبية من كونه رب كل شيء ومليكه والمطلع عليه، فالاطلاع على الغيوب من صفات الباري سبحانه وتعالى.

٢ــ انتقاص مرتبة النبوة وذلك بادعائهم الأخذ مما يأخذ منه النبي صلى الله عليه وسلم فالصوفية يدعون أن مرتبة العلوم بالغيوب وغيرها تحصل للأولياء والأنبياء من الباب والباطن أي من داخل القلب، من الباب المنفتح على عالم الملكوت فما على الصوفي إلا أن يصفي قلبه من الكدورات والمعاصي ثم يخلو بنفسه في زاوية فينفتح عليه باب الملكوت الذي فيه يعلم العلوم الغيبية والشرعية[٢].

أما الرافضة فصرحوا بنـــزول الوحي عليهم وصعود أرواح أئمتهم إلى الملكوت الأعلى فلم يبقوا فرقاً يكون بين الإمام والنبي، وهذا أعظم انتقاص لمرتبة النبوة، وأعظم معول يهدهم الإسلام يصرف الناس عن أنبيائهم إلى أوليائهم وأئمتهم.

٣ــ الاستغناء عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فإذا كان الأولياء يستمدون الأحكام ويعرفونها عن طريق الخلوة والزهد وتصفية

---

(١) انظر ص (٥٢١) وما بعدها.

(٢) راجع مبحث الصوفية وعلم الغيب (ص ٤١٢ وما بعدها) وإحياء علوم الدين ٣/٢٠-٢١.

النفس، والأئمة يوحي إليهم صباح مساء فعلى هذا يكون لا حاجة للناس إلى تعلم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لمعرفة الأحكام الواردة فيها، ومعرفة شرع الله من خلالها، إذ أن الأولياء والأئمة يكفون الناس هذا الجهد.

قال الغزالي: من الأولياء من يشرق نوره حتى يكاد يستغني عن مدد الأنبياء[١].

٤ ـــ فتح الباب لكل مغرض أو حاقد أو مبتدع أو متساهل، للتجرأ على تحريف كتاب الله ـــ عز وجل ـــ والاستخفاف به، أو تركه والإعراض عنه واتخاذه ظهرياً، فضلا عن مخالفته وتحريف نصوصه وآياته.

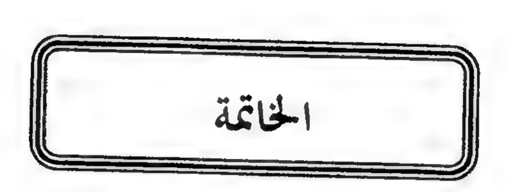
فالصوفية والرافضة بادعائهم للغيب وتحريفهم للكتاب والسنة فتحوا الباب على مصراعيه لكل متجرء على ردّ كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما أنهم أزالوا من نفوس أتباعهم ومن تأثر بهم الخشية من الله والوقوف عند كلامه وشرعه.

٥ ـــ هدم الإسلام باجتثاث جذوره وهدم التوحيد، وترك التعلق بالله عز وجل وصرف الناس إلى التعلق بالمخلوقين، فإذا كان الولي أو الإمام يطلع على أفعال العبد فإنه لا بد أن يخافه ويخشاه، بل يؤدي ذلك إلى طاعة الأولياء والأئمة في مخالفة شرع الله.

---

(١) مشكاة الأنوار (٤٠) (مجموعة القصور العوالي).

وكثيراً ما تصرف الصلاة أو الركوع أو السجود للأولياء أو الأئمة، وكتبهم تدل على ذلك. وما كعبة الخميني إلا أكبر دليل حاضر معروف للناس يدل على صرف العباد عن التعلق بالله ــ عز وجل ــ إلى التعلق بالمخلوقين، وهذا هو التحرر من صفاء عبودية رب العباد إلى الوقوع في دنس عبودية العباد.


الخاتمة



الخاتمة:

وبعد هذا فأحمد الله ــ سبحانه وتعالى ــ على إتمام هذا البحث المتواضع وأسجل أهم النتائج التي توصلت إليها إتماماً للفائدة فأقول وبالله التوفيق:

١ـــ أن الغيب في اللغة عام يطلق على كل أمر غائب عن الإنسان سواءً كان ذلك مدركاً بالعقل أو لم يكن كذلك.

٢ـــ أن الغيب على قسمين: غيب خاص بالله ــ سبحانه وتعالى ــ لا يمكن أن يطلع عليه أحد كالساعة مثلاً، وهذا ما يسمى بالغيب المطلق.

وغيب لا يختص بأحد دون أحد فقد يعلمه البعض ويغيب عن الآخرين وهذا بالنسبة للخلق ــ لعدم توفر أسبابه، وهو ما يسمى بالغيب النسبي أو الإضافي. ويعتبر هذا القسم من عالم الشهادة لا من عالم الغيب.

٣ ــ أن مفاتيح الغيب الخمسة التي ذكرها الله جل وعلا ــ في كتابه في قوله تعالى: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ [1] هي من الغيب المطلق الذي اختص الله ــ سبحانه وتعالى ــ به دون من سواه، فلا يمكن لأحد أن يطلع عليها ولا أن يعرفها إلا إذا أطلعه الله عليها، ولا يكون ذلك إلا لرسل الله صلوات الله وسلامه عليهم

---

(١) لقمان (٣٤).

ــ كما قال تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول. . .﴾[١].

٤ ــ أن علم الساعة قد استأثر الله به فلم يُطْلِع عليه أحداً من خلقه، فلا يعلم وقت مجيئها أحد غيره ــ سبحانه وتعالى ــ لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ولو كان الله مطلعاً أحداً عليها لأطلع سيد الخلق محمداً صلى الله عليه وسلم وقد تظافرت الأدلة على أنه لا يعلمها.

٥ ــ أن ما يسمى بالمطر الصناعي إن وجد فإنه لا يدخل في علم الغيب، مع أنه لم يثبت نجاحه علمياً.

٦ ــ أن ما توصل إليه الطب من معرفة الجنين في رحم أمه بعد خلقه ليس من علم الغيب الذي اختص الله به، لأنه يكون وقتئذ من عالم الشهادة لا من عالم الغيب الذي استأثر الله به، فقد علمه الملك قبلهم، هذا فضلاً عن أنهم لا يستطيعون ذلك إلا بواسطة الأجهزة الآلية، وبعد نفخ الروح فيه.

٧ ــ أن من ادعى أنه يعلم ماذا يكسب في الغد وجزم به، أو أنه يعلم موته ويحدد وقته فهو كاذب في ادعائه وإن حصل ذلك في الوقت الذي حدده.

٨ ــ أن الفراسة والإلهام والتحديث والرؤى المنامية ليست طريقاً لمعرفة الغيب. وإن حصل بها معرفة غيب فإنه يكون غيباً نسبياً لا من

(١) الجن (٢٧، ٢٨).

الغيب المطلق الذي استأثر الله بعلمه.

٩ ـــ أن علم الغيب من خصائص الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ [١].

١٠ـــ أن الرسل عليهم السلام ـــ بشر كسائر البشر يعتريهم ما يعتري البشر، فلا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضراً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ولا يعلمون من الغيب إلا ما أعلمهم الله به، وإنما تميزوا عن البشر بالرسالة والنبوة فقط.

١١ـــ أن جميع الرسل قد تبرؤوا من الغيب فلا يجوز لأحد أن ينسب ذلك إليهم، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة.

١٢ـــ أن الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ قد أطلعهم على بعض المغيبات تأييداً لهم ولتكون معجزة من معجزاتهم التي خصهم الله بها دون غيرهم، فلا يصح لأحد أن يزعم بأنه أو غيره مثل الأنبياء يمكن أن يطلع على مثل ما طلعوا عليه.

١٣ـــ أن أدعياء الغيب كثيرون منهم الكهان والمنجمون ومن يلحق بهم كقارئ الكف والفنجان وزاجر الطير والضارب بالحصى والرمل وغيرهم. كما أن زماننا لا يخلوا منهم بل هم كثير.

١٤ـــ أن الكاهن هو كل من ادعى معرفة الغيب بغض النظر عن

---

(١) النمل (٦٥).

الطريق الذي استقاه منه وله ثلاثة أضرب:

الأول ــ ما يتلقاه الكاهن عن مسترقي السمع.

الثاني ــ ما يتلقاه الكاهن من الجن مما يقع في الأقطار الأرض.

الثالث ــ المنجمون.

١٥- أن علم التنجيم على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عملي وهو زعمهم أن للقوى الأرضية المعلقة كالطلاسم ونحوها تأثيراً على القوى السماوية، وهذا كفر محض.

القسم الثاني: علمي وهو الاستدلال بحركات النجوم على الحوادث في الأرض وهذا كفر محض أيضاً.

القسم الثالث: علم التسيير [الحساب] وهو الاستدلال بالكواكب وسيرها على الجهات والقبلة والأوقات وحساب الأيام والشهور والسنوات وهذا القسم جائز.

١٦ــ أن التنجيم قد انتشر في العصر الحديث انتشاراً واسعاً.

١٧ــ أن مدعي الغيب كافر أياً كان؛ كاهناً أو منجماً أو عرافاً أو غير ذلك، وأن من صدقهم بما يقولون فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم.

١٨ــ أن معرفة الكسوف والخسوف لا تدخل في حكم المدعين للغيب لأن معرفة ذلك أمر ممكن.

١٩ــ أن ادعاء الغيب أصل من أصول المتصوفة المتأخرين.

٢٠ــ أن ادعاؤهم نابع من جهلهم بالدين ونابع من شبهات

باطلة.

٢١ــ أن الكشف ينقسم إلى قسمين صحيح وباطل، وأنه لا يمكن أن يتخذ طريقاً لادعاء الغيب.

٢٢ــ أن الرافضة أعداء الدين قد زعموا أن أئمتهم يعلمون الغيب وكتبهم مليئة بذلك.

٢٣ــ أن ادعاء الغيب يعتبر هدماً للدين.

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

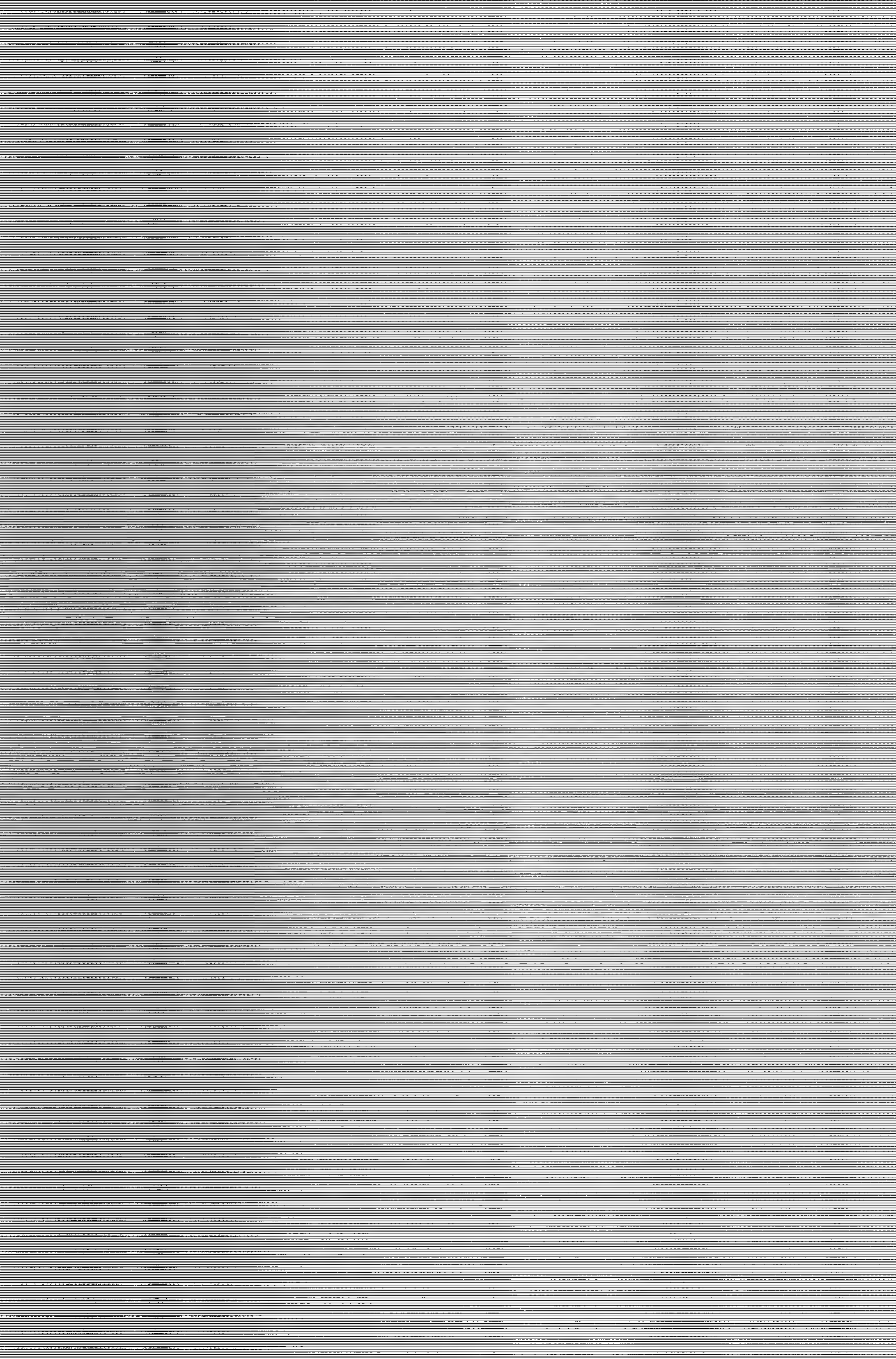
الفهرس العامة

فهرس الأحاديث والآثار

فهرس المراجع والمصادر

فهرس الموضوعات

فهرس الأحاديث والآثار



فهرس المصادر والمراجع



فهرس المراجع والمصادر

• أبو حامد والتصوف تأليف عبد الرحمن دمشقية ط/ دار طيبة ١٤٠٦هـ
• أحكام القرآن ـ لأبي بكر بن محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ٣٦٨-٥٤٣، تحقيق علي محمد النجار ط عيسى البابي الحلبي بمصر.
• إحياء علوم الدين ـ لأبي حامد الغزالي المتوفي ٥٠٥هـ ط/ الحلبي بمصر عام ١٣٥٨هـ.
• الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان للأمير علاء الدين علي الفارسي المتوفى عام ٧٣٩هـ الطبعة الأولى بمطبعة دار الكتب العلمية بيروت لعام ١٤٠٧هـ
• أخبار الحلاج ـ بتقديم وتعليق عبد الحفيظ محمد مدني هاشم ط/ مطبعة عطايا باب الخلق بمصر.
• الاختصاص للمفيد، محمد بن محمد النعمان الملقب بالمفيد، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية بقم.
• الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني المتوفى عام ٨٥٢هـ، تحقيق علي محمد البجاوي ط/ دار نهضة مصر.
• أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين بن

محمد المختار الجكني الشنقيطي ط عالم الكتب بيروت لبنان.

- الاعتصام للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي، ط/ دار المعرفة ١٤٠٥هـ
- الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ـــ تأليف خير الدين الزركلي. الطبعة السادسة ١٣٨٤هـ بمطبعة دار العلم للملايين بيروت.
- أنوار التنـــزيل
- الأنوار القدسية
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار / تأليف محمد باقر المجلسي ط/ الثانية ١٤٠٣هـ مؤسسة الوفاء ببيروت لبنان.
- البريلوية عقائد وتاريخ لإحسان إلهي ظهير ط/ إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان الطبعة السادسة ١٤٠٤هـ
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي. ط/ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر ١٣٨٣هـ.
- بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد صلى الله عليه وسلم، لأبي جعفر محمد بن الحسن الصفار، ط منشورات العلمي طهران ١٣٦٢هـ ش
- بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها، شرح مختصر

البخاري، للحافظ أبي محمد عبد الله بن أبي حمزة الأزدي الأندلسي المتوفي عام ٦٩٩هـ الطبعة الثانية بمطبعة دار الجيل ١٩٧٢م.

• البيان والتحصيل والشرح والتوجيه تأليف: أبو الوليد رشيد القرطبي المتوفى عام ٥٢٠هـ ط/ دار الغرب الإسلامي بالمغرب.

• تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق عبد الكريم الفرياوي، ط/ حكومة الكويت ١٣٨٦هـ.

• التبيان في أقسام القرآن لشمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية المتوفى عام ٧٥١هـ ط/ دار الرياض الحديثة.

• تحفة الأحوذي للحافظ أبي يعلى محمد بن عبد الرحيم المباركفوري ١٢٨٣ـ١٣٥٣هـ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ط/ مؤسسة قرطبة الطبعة الثانية.

• ترتيب العلوم

• تفسير أبو السعود المسمى بإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم للإمام أبي السعود محمد بن محمد العمادي المتوفى عام ٩٥١هـ ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

• تفسير روح البيان ـ تأليف الشيخ إسماعيل حقي البروسوي المتوفى عام ١١٣٧هـ، ط/ دار إحياء التراث العربي ببيروت.

• تفسير القرآن العظيم ـ لابن أبي حاتم أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي المتوفى عام ٣٢٧هـ، الطبعة الأولى بمطبعة هجر بمصر.

● تفسير القرآن العظيم ـــ للحافظ ابن كثير، تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور وعبد العزيز غنيم ط/ دار الشعب.

● تفسير الفخر الرازي المسمى التفسير الكبير ومفاتح الغيب للفخر الرازي عمر المشتهر بخطيب الري ٥٤٤ـــ ٦٠٤هـــ ط/ دار الفكر ١٤٠٥هـــ.

● تفسير المنار ـــ لمحمد رشيد رضا. ط/ الهيئة العربية العامة للكتاب ١٩٧٢م.

● تقريب التهذيب ـــ للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى عام ٨٥٢هـــ، تحقيق محمد عوامّة. ط/ دار الرشد حلب. الطبعة الأولى.

● التكلمة والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف: الحسن بن محمد بن الحسن الصنعاني المتوفى عام ٦٥٠هـــ تحقيق عبد الله الطحاوي، ط/ الكتب العلمية ١٩٧٠هـــ

● تلبيس إبليس ـــ للحافظ جمال الدي أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي البغدادي المتوفي عام ٥٩٧هـــ ط/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٤٠٣هـــ.

● تلخيص الحبير في تخريج الرافعي الكبير للحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى عام ٨٥٢هـــ تصحيح وتنسيق السيد عبد الله هاشم اليماني ط/ دار المعرفة.

• التنكيل فيما ورد في تأنيب الكوثري ن الأباطيل ــ للشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، تحقيق وتأليف محمد ناصر الدين الألباني، ط/ الرئاسة العام لإدارات البحوث العليمة والدعوة والإفتاء والإرشاد بالسعودية لعام ١٤٠٣هـ.

• تهذيب اللغة ــ لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري المتوفى عام ٣٧٠هـ. تحقيق أ/ عبد العظيم محمود ــ أ/ محمد علي النجار. ط/ الدار المصرية للتأليف والترجمة.

• تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب المتوفى في عام ١٢٣٣هـ ط/ المكتب الإسلامي الطبعة الخامسة.

• الجامع لأحكام القرآن ــ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ط/ دار الكتب المصرية الطبعة الثانية عام ١٣٧٣هـ

• جامع بيان العلم وفضله ــ لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، الأندلسي المتوفى ٤٦٣هـ، صححه وضبط غريبع عبد الرحمن محمد عثمان ط/ دار العاصمة، الناشر المكتبة السلفية بالمدينة الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ.

• جامع البيان في تأويل القرآن ــ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى عام ٢١٠هـ ط/ دار الفكر عام ١٤٠٨هـ بالإضافة إلى طبعة دار المعارف المحققة لمحمود وأحمد شاكر.

• الجامع لشعب الإيمان ــ للإمام الحافظ أبي بكر البيهقي المتوفى

عام ٣٥٨هـ تحقيق عبد العلي عبد الحميد حامد. ط/ دار الريان للتراث الطبعة الأولى.
• الجامع الصحيح ــ للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ط/ المكتبة السلفية بالقاهرة .
• الجامع الكبير للطبراني جامع كرامات الأولياء ــ تأليف يوسف بن إسماعيل النبهاني ١٢٦٥-١٣٥٠هـ تحقيق إبراهيم عطوة عوض طبعة الحلبي ١٣٩٤هـ. وهذا الكتاب من كتب المتصوفة.
• جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديث من جوامع الكلم لزين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن رجب الحنبلي ط/ رئاسة البحوث العلمية والدعوة و الإفتاء والإرشاد بالسعودية.
• الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ــ لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ٦٦١-٧٢٨هـ ط/ المجد التجارية.
• الجواهر الغوالي ص ٢٦١.
• الجواهر المضية في طبقات الحنفية ــ لمحي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد بن ناصر الله القرشي المتوفى عام ٧٧٥هـ / تحقيق عبد الفتاح الحلو ط/ عيسى البابي الحلبي بمصر لعام ١٣٩٨هـ
• حاشية بن قاسم على كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي ط/ دار العربية بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ
• حاشية بن عابدين المسماة رد المحتار في فقه الإمام أبي حنيفة ــ

لمحمد أمين الشهير بابن عابدين ط/ مصطفى الحلبي الطبعة الثالثة ١٣٨٦هـ.

- حكم الاشتغال بالنجوم للخطيب البغدادي مخطوط.
- خلق الإنسان بين الطب والقرآن د/ محمد علي البار ط الدار السعودية ١٤٠٩هـ.
- درء تعارض العقل والنقل ـ لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ط/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.
- الدرة البيضاء ضمن المجموعة النادرة ضمن أشرف الوسائل.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للحافظ عبد الرحمن جلال الدين السيوطي المتوفى عام ١١٩هـ ط. دار الفكر الطبعة الأولى.
- دلائل الإمامة ـ لأبي جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري [الرافضي] ط/ أمير قم ١٣٦٣هـ.
- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصفهاني المتوفى عام ٤٣٠هـ تحقيق محمد روّاس قلعة جي. الطبعة الأولى .بمطبعة المكتبة العربية بحلب.
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال الشريعة. لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق د/ عبد المعطي قلعجي، ط/ دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى لعام ١٤٠٥هـ.
- الدين الخالص للسيد محمد صديق خان ط/ المدني.

- رجال الكشي (معرفة أخبار الرجال) لمحمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي ط/ المطبعة الصفوية، ببلدة بيمباي دهونلي.
- الرد على الجهمية للإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي تحقيق زهير الشاويش تخريج الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ط/ المكتب الإسلامي.
- الرسالة القشيرية في علم التصوف لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ط/ دار الكتاب العربي بيروت لبنان.
- الرسالة اللدنية لأبي حامد الغزالي ط/ مكتبة الجندي بمصر. الرفاعية د/ عبد الرحمن دمشقية الطبعة الأولى.
- الروح للإمام شمس الدين أبي عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ط/ دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع والمثاني لأبي الفضل محمود الألوسي البغدادي المتوفى عام ١٢٧٠هـ، ط/ دار الفكر.
- زاد المعاد في هدي خير العباد لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي المشهور بابن القيم الجوزية / تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط ط/ مكتبة المنار الإسلامية الطبعة الثامنة ١٤٠٥هـ.
- الزواجر عن اقتراف البكائر تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر المكي الهيثمي المتوفى عام ٩٧٤هـ ط/ البابي الحلبي بمصر،

الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ

• سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني ط/ المكتب الإسلامي عمَّان الأردن.

• سلسلة الأحاديث الضعيفة ـ للشيخ ناصر الدين الألباني ط/ مكتبة المعارف الرياض الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ.

• سنن أبي داود ـ للحافظ أبي داود سليمان السجستاني الأزدي، تحقيق وترقيم محمد محيي الدين عبد الحميد ط/ دار إحياء التراث العربي.

• سنن ابن ماجة ـ للحافظ محمد بن عبد الله القزويني ابن ماجه ٢٠٧ـ ٢٧٥هـ تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي.

• سنن النسائي بشرح جلال الدين السيوطي وحاشية السندي ط/ دار الكتاب العربي بيروت.

• سنن الدارمي للحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي المتوفى عام ٢٥٥هـ، تحقيق عبد الله هاشم المدني ط/ شركة الطباعة والفنية المتحدة.

• سير أعلام النبلاء ـ للحافظ الذهبي ط/ مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى.

• السيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الأنباري، عبد الحفيظ شلبي.

• شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للحافظ أبي القاسم هبة

الله بن منصور الطبري اللالكائي تحقيق: د/ أحمد بن سعد بن حمدان ط/ دار طيبة.

- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تأليف: سيدي محمد الزرقاني . ط/ عبد الحميد أحمد حنفي بمصر.
- شرح السنة لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ٤٣٦-٥١٦هـ تحقيق شعيب الأرناؤوط الطبعة الأولى دار المكتب الإسلامي.
- شرح الطحاوية ـ لأبي العز الأذرعي الحنفي، تخريج محمد بن ناصر الدين الألباني.
- شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري الحنفي ط م / دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ
- شرح منتهى الإرادات المسمى دقائق أولي النهى الشرح المنتهى للعلامة فقيه الحنابلة في فقه منصور بن يونس بن إدريس البهوتي ط/ دار الفكر بيروت لبنان.
- شرح النووي على صحيح مسلم تأليف الإمام النووي المطبعة المصرية ومكتبتها.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي. تحقيق أحمد قرة على ـ أسامة الرفاعي ـ جمال السيروان ـ نور الدين قرة علي عبد الفتاح السيد. ط/ مؤسسة علوم القرآن بدمشق.

- شفاء العليل ترجمة القول الجميل ترجمة القول الجميل [نقلا عن النقشبندية]
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطا. ط/ ١٤٠٢هـ. الشربتلي.
- صحيح البخاري تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي المطبعة السلفية.
- صحيح مسلم تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ط/ دار إحياء التراث العربي فيصل الحلبي.
- ضعيف الجامع للشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني ط/ المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.
- طبقات علماء الحديث لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي الدمشقي الصالحي، المتوفى عام ٧٤٤هـ، تحقيق أكرم البوشي، ط/ مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- الطبقات الكبرى ـ لابن سعد ط/ دار بيروت ١٤٠٥هـ.
- الطبقات الكبرى ط/ دار الجيل بيروت تأليف عبد الوهاب بن أحمد علي الأنصاري المعروف بالشعراني الطبعة الاولى ١٤٠٨هـ.
- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية للإمام ابن القيم الجوزية ـ تحقيق د/ محمد جميل غازي ط/ المدني جدة.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين ـ لشمس الدين عبد الله محمد

بن أبي بكر المعروف بابن القيم / تحقيق عمر بن عمر بن محمود أبو عمر: دار القيم ١٤٠٩هـ.

- عالم السحرة والمشعوذين ــ د/ عمر بن سليمان الأشقر ط/ دار النفائس، الكويت الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- العدة شرح العمدة لابن دقيق العيد، صححه وعلق عليه علي بن محمد الهندي. ط/ المطبعة السلفية.
- علماء نجد خلال ستة قرون للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام/ ط/ النهضة الحديثية بمكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.
- عيون المعجزات / للشيخ حسين بن عبد الوهاب، ط منشورات مكتبة الدواري بقم.
- غريب الحديث لابن إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي، تحقيق دار سليمان بن إبراهيم العابد ط/ المدني جدة.
- فتاوى الحديثية للشيخ شهاب الدين بن حجر الهيثمي ٩٠٩-٩٧٤هـ الطبعة الأولى مطابع الحلبي بمصر ١٣٥٦هـ.
- فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم جمع وترتيب محمد بن عبد الرحمن ابن قاسم ط/ مطابع الحكومة بمكة المكرمة ١٣٩٩هـ
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، للحافظ بن حجر العسقلاني ط/ دار الفكر بيروت لبنان.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير لمحمد

ابن علي الشوكاني المتوفى ١٢٠٥هـ ط/ الحلبي ١٣٨٣هـ.

- الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير لجلال الدين السيوطي. ط/ دار الكتاب العربي بيروت.
- الفجر المنير
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.
- الفروع في فقه الإمام أحمد للشيخ العلامة شمس الدين المقدسي أبي عبد الله محمد بن مفلح المتوفى ٧٦٣هـ ط/ عالم الكتب بيروت ١٤٠٢هـ الطبعة الثانية، راجعة عبد الستار أحمد فراج.
- فضل علم السلف على علم الخلف، للحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق مروان العطية. ط/ دار الهجرة بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير.
- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، ط/ دار الجيل بيروت لبنان.
- قراءة النجوم والخط والطالع من الحقيقة والخيال مجدي محمد الشهاوي ط/ مكتبة القرآن.
- قلادة الجواهر في سيرة الرفاعي وأتباعه الأكابر للصيادي ط/ دار الكتب العلمية.

- كتاب الزهد للإمام وكيع الجراح ـ تحقيق عبد الرحمن عبد الجبار الفيرواني، ط/ مكتبة الدار بالمدينة المنورة.
- كتاب السنة للإمام أبي بكر بن أبي عاصم الضحاك بن محمد الشيباني توفي ٢٨٧هـ مع ضلال الجنة في تخريج السنة لمحمد بن ناصر الدين الألباني ط/ المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ
- كتاب الكافي لأبي جعفر الكليني الرازي [الرافضي] المتوفى ٣٢٨هـ ط/ دار الكتب الإسلامية طهران.
- كشاف القناع عن متن الإقناع للشيخ منصور البهوتي الحنبلي ١٠٠٠-١٠٥١ ط/ الحكومة السعودية ١٣٩٤هـ.
- كنـز العمال في سنن الأقوال والأفعال للعلامة علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري المتوفى عام ٩٧٥هـ. ط/ مؤسسة الكتب الرسالة ١٣٩٩هـ
- كيمياء السعادة ملحق بالمنقذ من الضلال ط/ مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان. الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- لباب التأويل في معاني التنـزيل المعروفة بتفسير الخازن، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي المشهور بالخازن، المتوفى عام ٧٢٥هـ. الطبعة الثانية بمطبعة البابي الحلبي عام ١٣٧٥هـ
- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ط/ دار الفكر.

- لطائف المنن لابن عطاء الله السكندري [الصوفي] تحقيق د/ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر سابقاً ط/ حسان مصر.
- مجلة البحوث العلمية، الصادرة عن رئاسة البحوث العلمية والدعوة والإرشاد بالسعودية. العدد ٢٠.
- مجمل اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي المتوفى عام ٣٩٥هـ. تحقيق زهير عبد المحسن سلطان. الطبعة الأولى مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ١٤٠٤هـ.
- مجمع البحرين، لفخر الدين الطريجي، تحقيق السيد أحمد الحسيني، الناشر مرتضوي ١٣٦٢هـ ش.
- مجمع الزوائد للحافظ نور الدين علي بن بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر ط/ مؤسسة بن المعارف بيروت لبنان.
- مجموع الفتاوى ـ لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ط/مكتبة المعارف الرباط المغرب.
- مدارج السالكين للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد بن عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بفاس ط/ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب ١٣٩٥هـ

• مروج الذهب ومعادن الجوهر تصنيف أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي المتوفى عام ٣٤٦هـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. الطبعة الرابعة بمطبعة السعادة بمصر.
• المسائل المنثورة [فتاوى الإمام النووي] ترتيب تلميذه الشيخ علاء الدين العطار، تحقيق محمد الحجار. ط/ المطبعة العربية بحلب، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.
• المستدرك على الصحيحين للحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري. ط/ دار المعرفة مع التلخيص للحافظ الذهبي.
• مسند أبي يعلى الموصلي، تصنيف الإمام أحمد بن علي المثنى التميمي المتوفى عام ٣٠٧هـ تحقيق: حسين يليم أسد. ط/المأمون للتراث الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
• مسند الإمام أحمد بن حنبل مع منتخب كنز العمال ط/ دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ بالإضافة إلى تحقيق أحمد شاكر. ط/ دار المعارف بمصر ١٣٧٥هـ.
• المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ـ للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني المتوفى في عام ٣٨٢هـ، تحقيق الأستاذ حبيب الرحمن الأعظمي، المطبعة المصرية بالكويت.
• مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لأحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبري زاده ط/ الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى.

- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى عام ٥٠٢هـ بتحقيق محمد كيلاني ط/ الحلبي ١٣٨١هـ.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى عام ٩٠٢هـ تصحيح وتعليق وتقديم عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق ط/ دار الكتب العلمية.
- مقاييس اللغة ـ لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى ٣٩٥هـ، تحقيق عبد السلام هارون، الطبعة الثانية لعام ١٣٩١هـ ط/ الحلبي بمصر.
- المقدمات والممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام الشرعيات والتحصيلات المحكمات لأمهات مسائلها المشكلات، لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، تحقيق د/ محمد حجي، ط/ دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- مقدمة ابن خلدون، المجلد الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر. ط/ دار الكتاب اللبناني.
- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، للشيخ حافظ بن أحمد حكمي ط/ مكتبة المحمدية.
- معالم السنن مع مختصر المنذري لأبي سليمان الخطابي، تحقيق محمد حامد الفقي ط/ دار مكتبة السنة المحمدية.

• المعجزة والكرامة لابن تيمية ط/ دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

• المُغْرِب في ترتيب المعرب لأبي الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطريزي الحنفي الخوارزمي المتوفى في عام ٦١٦هـ، ط/ دار الكتاب العربي بيروت.

• مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني ط/ دار إحياء الكتب العلمية عيسى البابي الحلبي وشركاه.

• المنقذ من الضلال ـ لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى في عام ٥٠٥هـ ط/ مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

• المواهب السرمدية في مناقب النقشبندية [صوفي] لمحمد أمين الكردي الأربلي الشافعي ابن فتح زاده ط/ السعادة بمصر ١٣٢٩هـ.

• موطأ الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله تعالى ـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط/ دار الحديث.

• ميزان الاعتدال في نقد الرجال لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى عام ٧٤٨هـ. تحقيق علي محمد البجاوي، ط/ دار إحياء الكتب العربي عيسى البابي الحلبي بمصر. عام ١٣٨٢هـ.

• النبوات ـ لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ط/ دار الكتب العلمية ١٤٠٢هـ.

• النهاية في غريب الحديث، للإمام أبي السعادات المبارك بن محمد

الجزري بن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي ومحمد الطناحي ط/ دار الباز.

• النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد ـــ تأليف أبي سليمان جاسم الفهيد الدوسري، ط/ دار الخلفاء للكتاب العربي بالكويت الطبعة الأولى ١٤٠٤هـــ.



فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات